

الأكاديمية العربية الدولية



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية المقررات الجامعية

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل العربية على أشرف لسان، وأنزل كتابه الحكم في أساليبها الحسان، والصلة والسلام على أفضل العرب لهجة، وأصدقهم حجة، وأقوم الدعاء إلى الحق محجة، وعلى آله الأمجاد، وصحبه الذين فتحوا البلاد، ونشروا اللغة التنزيل في الأغوار والأنجاد، وحبوها إلى الأعجمين حتى استقامت ألسنتهم على النطق بالضاد.

أما بعد :

فهذه أبواب وفصول في فقه اللغة العربية، يسر الله جمعها، وتأليف بعضها إلى بعض منذ فترة طويلة، وذلك أيام الطلب؛ حيث وضعتها لنفسي، ولمن أرادها من زملائي.

وظللت حبيسة الأدراج حتى شاء الله بعثها من مرقدها؛ لترى النور.

وبعد العزيمة على إخراجها ظنت أن الأمر يسير، وأنه لا يحتاج إلى جهد كبير، وأنه مجرد ترتيب، وعزوه نقل، وإعادة صياغة؛ فلما توغلت فيه رأيت أنني أمام بحر لا ساحل له.

فقلت هما أمران أحلاهما من

وقال أصيحيابي الفرار أو الردى

وإن من أعظم نعم الله على المؤلف أن يرى عند عزمه على التأليف أنه سهل ميسور، وأنه لا تمر عليه مدة وجيزة إلا أنجذه وأنته؛ فإذا ما ابتدأ فيه تفتّق ذهنه

عن مسائل لم يحلم بها، وطرأت عليه أبحاث لم يكن يتخيّلها، وإنّه في وادٍ متشعب يرى أنه لا بد له من سلوكه.

ولو علم بادئ الأمر ما سيلقاه من المشقة والتعب لأبعد عن فكره خيال التأليف، ونأى بنفسه عن مسالك التكليف^(١)، مفضلاً منادمة الأحباب، ودعةً التنعم بمحفل بارد وشراب.

ولم تكن صعوبة ذلك البحث في دقته، وغموضه، و حاجته إلى الإبداع، والاجتهد وطول الاباع بقدر ما كانت في تشتته، وتفرق موضوعاته، وتجددها، وكون بعضها مطروقاً في كتب الأوائل، وبعضها في كتب المحدثين.

وتكمّن صعوبته - كذلك - في كون بعض تلك الموضوعات مفرداً في كتاب مطول، وكون بعضها الآخر مختبراً مختصراً في كتاب يضم عدداً من الموضوعات. ومن هنا كانت الرغبة في جمع ما تيسر من شتات ذلك العلم، وترتيب منثوره وتقرير ما بعد من مسائله، وتقصير بعض تطويله.

ولا يخفى أن ذلك كلّه من مقاصد التأليف كما أشار إلى ذلك القائل بقوله:

لكل لبيبٍ في النصيحة خالصٌ	ألا فاعلمن أن التأليف سبعةٌ
وإبداعُ حبرٍ مقدمٍ غير ناكصٍ	فسرخ لاغلاقٍ وتصحيحٍ مخطئٍ
وتقصيرٌ تطويلٌ وتميمٌ ناقصٌ	وترتبٌ منثورٌ وجمعٌ مُفرقٌ

ولقد كان الحرص شديداً على تيسير تلك المباحث، وتقريبيها لمزيدتها،

١- أشار إلى هذا المعنى اللطيف الشيخ محمد طاهر الكردي رحمه الله الخطاط بمعرفة مكة في كتابه (مقام إبراهيم) ص ١٥٤.

وإبعادها عن جفوة المؤلفات اللغوية ، وعنف ممارستها.

وإن مما دفعني إلى الكتابة في هذا الشأن قضاء بعض الحق للعربية ، وبيان عظمتها ، والوقوف على شيء من أسرارها ، والتأكيد على بيان سعتها ، واستيعابها لكل جديد ، ورد الدعاوى التي تنادي بوأدها في ربيع حياتها.

ومن الدوافع إيقاف القارئ على شيء من عقرية علماء السلف الذين كان لهم قصب السبق في دراسة العديد من القضايا اللغوية والصوتية التي تفوق كثيراً من الدراسات الحديثة.

ومن أعظم الدوافع لذلك -أيضاً- إعانة الدارسين لفقه اللغة ، وتسهيل وصولهم إليه خصوصاً من يتصدى لتدريس هذا العلم أو دراسته؛ فهم يعانون من تفرق مباحثه في كتب شتى؛ فلعل هذا الكتاب يعينهم على ما هم بصدده ، فيصير هذا العلم لهم على طرف الثمام.

ولقد أفت كثيراً من كتب العلماء والباحثين الذين ألفوا في فقه اللغة ، سواء من القدماء أو المحدثين من سير ذكر لهم ولمؤلفاتهم في ثانياً هذا الكتاب.

أما عنوان الكتاب فقد حمل المسمى الآتي :

(فقه اللغة: مفهومه - موضوعاته - قضاياه)

أما خطته فجاءت مشتملة على مدخل ، وأربعة أبواب ، وخاتمة ، وذلك على النحو التالي :

- مدخل : ويحتوي على قبس من التنزيل في التنويه بشأن العربية ، وعلى بعض أقوال السلف ، والعلماء والشعراء في تعظيم شأن العربية.

- **الباب الأول**: دراسة عامة لغة وفقه اللغة.

- **الباب الثاني**: دراسات عامة لبعض موضوعات فقه اللغة.

- **الباب الثالث**: دراسات في المعاجم العربية.

- **الباب الرابع**: مشكلات تواجه العربية.

وتحت كل باب من الأبواب السابقة عدد من الفصول، وتحت كل فصل عدد من المباحث.

- **الخاتمة**: وتتضمن ملخصاً يجمع أطراف ما ورد في هذا الكتاب.

وأخيراً لا يسعني إلا أنأشكر الله -عز وجل- على إعانته، ولطفه، وتيسيره، وأسئلته أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به؛ إنه سميع قريب.

وبعد شكر الله أتوجه بالشكر الجزيل، وبالدعاء الخالص بكل من أuan على إخراج هذا الكتاب نسخاً، وتصحيحاً، ومقابلة، وتوجيهها، فأسأل الله أن يبارك فيه، وأن يجعله هادياً مهدياً مباركاً أينما كان.

وإلى موضوعات الكتاب، والله المستعان، وعليه التكلال، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن إبراهيم محمد

/ ١٤٢٥هـ

الزلفي ص.ب ٤٦٠

الرمز البريدي ١١٩٣٢

www.toislam.net

مدخل

قبس من التنزيل في التنويه بشأن العربية

قال الله -عز وجل- : «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)» يوسف.

وقال : «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» طه : ١١٣.

وقال : «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)» الشعراة.

وقال : «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)» فصلت.

وقال : «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)» الزخرف.

نماذج من عنایة السلف بالعربية:

قال عمر بن الخطاب رض : «تعلموا العربية؛ فإنها تزيد المروءة» ^(١).

وقال شعبة رحمه الله : «تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في العقل» ^(٢).

وقال عبد الملك بن مروان رحمه الله : «أصلحوا ألسنتكم؛ فإن المرء تنويه النائبة، فيستغير التوب والدابة ، ولا يمكنه أن يستعيير اللسان» ^(٣).

العربية في أعين العلماء والشعراء:

قال ابن فارس رحمه الله : «قال - جل ثناؤه - ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلِمَهُ الْبَيَانَ

١- الجامع للخطيب البغدادي ٢٢٥/٢

٢- أمالي الزجاجي ص ١٩

٣- نوادر الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص ٦٣

(٤) ﴿الرحمن﴾.

فقدم - جل ثناؤه - ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه من شمس، وقمر، ونجم، وشجر، وغير ذلك من الخلائق الحكمة، والنشايا المتقدة؛ فلما خص جل ثناؤه - اللسان العربي بالبيان عُلِّم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقة دونه؛ فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي؛ لأن كل من أفهم بكلام على شرط لغته فقد بين - قيل له: إن كنت تريده أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعرِّب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أحسن مراتب البيان؛ لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمى متكلماً فضلاً عن أن يسمى بِيَّنا أو بليغاً.

وإن أردت أن سائر اللغات تُبَيِّن إِبَانَةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فهذا غلط؛ لأنَّا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة»^(١).

وقال الشاعري رحمه الله : «من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلامه ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «إِنَّ اللَّهَ لَمَا أَنْزَلَ كِتَابَهُ بِاللُّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَجَعَلَ رَسُولَهُ مُبَلِّغاً عَنِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِلِسَانِهِ الْعَرَبِيِّ، وَجَعَلَ السَّابِقِينَ إِلَى

١- الصاحبي ١٩.

٢- فقه اللغة وسر العربية ص ٥.

هذا الدين متكلمين - لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين»^(١).

ويقول - أيضاً : «إن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عمر بن يزيد قال : كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أما بعد : فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القرآن؛ فإنه عربي.

وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال : تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم.

وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال؛ ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله ، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله»^(٢).

وقال : «ومعلوم أن تعلم العربية ، وتعليم العربية فرض على الكفاية ، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن؛ فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ، ونصلح الألسنة المائلة عنه ، فيحفظ لنا

١- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ص ١٦٣.

٢- اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٧.

طريقة فهم الكتاب والسنة ، والاقتداء بالعرب في خطابها»^(١).

وقال حافظ إبراهيم بِحَمْلَةِ اللَّهِ على لسان اللغة العربية :

وناديت قومي فاحتسبت حياتي
عقمت فلم أجزع لقول عداتي
وما ضقت عن آي به وعظات
وتنسيق أسماء لمخترعات
فهل سألوا الغواص عن صدفاته^(٢)

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ

وقال الشيخ العلامة محمد الخضر حسين بِحَمْلَةِ اللَّهِ في قصيده : حياة اللغة

العربية :

من قوانين المدى أبهى دررٌ
كلِمُ التنزيل في أسمى سور
فلاليٌ البحر ليست تنحصر
فصحاء العرب سيلٌ من همر
أنجبت أرض قريش أو مضر
من خطيب مصنوعٌ أو شاعر مُقلِقٌ^(٣)

لغة أودع في أصدافها
أفلم ينسج على منوالها
هي بحرٌ غصنٌ على حليتها
فاض من نهر مبانيها على
فاسأل التاريخ ينبيك بما
ولعلمة العراق الشيخ محمد بهجة الأثري بِحَمْلَةِ اللَّهِ قصائدٌ عذابٌ في العربية

١- مجموع الفتاوى ١٥٨/٣١.

٢- ديوان حافظ إبراهيم ٢٥٣/١ وسيرد ذكر القصيدة كاملة.

٣- ديوان خواطر الحياة ص ١١١ وسيرد ذكر القصيدة كاملة.

ضَمَّنَهَا دِيْوَانُهُ الْمُسْمَى (ديوان الأثري)، ومنها: قصيدة له عنوانها سيدة اللغات تقع في ٣٥ بيتاً، ومنها قوله:

سلام أخينَيْ بالجمال هيوم
من اللفظ منسقِ البيان رخيم
كما هزَّ عَطْفَ الزَّهْرِ رَوْحُ نسيم
صفاءُ مضيءِ الصفحتين يتيم
منافثَ سحرِ في الملاحِ صميم
ورُمْ سِحرَ لفظِ بالحياة زعيم
وطيبَ مذاقِ واختلافَ طعومِ
تررقق عذباً؟ أم رحيق كروم؟
يزيد على الأيام حسنَ رسومِ
مصنفَيْ وروئَيْ طبعَ كلَّ حكيمِ
صحوتَ على معنى أغرَّ عظيمِ
وعزَّ بمعطاءِ الحياةِ كريمِ
وآتى به الدنيا أريجَ شميمِ
ويحيى من الأرواحِ كلَّ رميمِ^(١)

وقال في قصيدة رائعة أخرى عنوانها: (لغة مدت الظلال على الأرض)

سلامُ على أُمِّ اللغاتِ على المدى
مشوقٌ إلى الجَرْسِ الرقيقِ ومفصحٌ
تراقصُ مفترِ المباسمِ حَرْفُهُ
إذا قلتْ درْ قلتْ بعضُ صفاتِها
إذا قلتْ سحرَ قلتْ فاقَ استرافقُهُ
دعَ السحرَ من سود العيونِ تروده
أَمَّ لغاتِ العالمينِ بلاغةً
بيانك؟ أم ماءُ من الخلدِ كوثُرُ
تجاوزَ أعناقِ الدهورِ وحسنُهُ
سقى كُلَّ مَاحَ البيانِ زَلَالُهُ
تنزَّلَ قرآنُ بها ما تلوته
تكرمَ بالوحىِ الأمينِ مبينُهُ
تمَلاً منه بالرواءِ محمدُ
سرى يفعم الآفاقَ مسكاً وعنبراً

١- ديوان الأثري ص ١٢١-١٢٤.

وتقع في ١١٥ بيتاً، ومنها قوله:

ض وأذكت مشاعرَ الإنسانِ
من درارِ ولؤلؤِ وجمانِ
مترفاتِ الأزياءِ والألوانِ
حي وأنفاسِ مصطفىِ الرحمنِ
أماءِ البيانِ من عدنانِ
أترى كيف يألقُ القرآنِ؟
ذَّ وأحلَّ ما تطعم الشفتانِ
عظمتْ قوَّةَ على الرَّدَيَانِ
وارتقى بالبلاغةِ الجرجانِ
ثاقبِ الفكرِ المعِيِّ هِجانيِ
يتخالن في الحبیرِ اليمانِ
يدركُ اللمحُ كلَّ قاصِي ودانِي؟^(٢)

لغةٌ مدَّتِ الظلَّالَ على الأرْ
وأفاضتِ على اللُّغَى زائناتِ
من غوالِي التنزيلِ مستكرماتِ
من فواغي^(١) الحديثِ من نسمِ الوحَدَةِ
من شذورِ الفصاحِ صوغِ الأواليِ
أَلَّقتْ والسنَا لها سرمديِّ
وحلَّتْ في اللَّهَا أطِيبِ ما لَدَها
كلما طالَ في العصورِ مداها
سارَ شوطاً بنحوها سيبويهِ
وعلى ألفِ ألفِ فذِ همامِ
قد جلوها عرائساً فاتناتِ
أين مني عدُّ النجومِ؟ وائِي

١- جمع فاغية، وهي الرائحة الطيبة.

٢- ديوان الأثرى ١٢٥-١٣٤.

المُرْفَعُ هُمْ

عفا الله عنهم

الباب الأول:

دراسة عامة للغة وفقه اللغة

وتحتة أربعة فصول:

الفصل الأول: تعاريفات ومقدمات.

الفصل الثاني: دراسات في فقه اللغة.

الفصل الثالث: دراسة اللهجات العربية، والمنطق العربي.

الفصل الرابع: اللغة العربية، فضلها، عوامل سيادتها، أثر الإسلام فيها.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الأول: تعاريفات ومقدمات

وتحتة سبعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم مصطلح فقه اللغة.

المبحث الثاني: موضوعات فقه اللغة.

المبحث الثالث: أهداف فقه اللغة، وثمراته، وغاياته.

المبحث الرابع: مناهج البحث اللغوي.

المبحث الخامس: علاقة فقه اللغة بالعلوم الأخرى.

المبحث السادس: اهتمام الإنسان باللغة.

المبحث السابع: جهود العلماء في التأليف في اللغة العربية.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الباب الأول: دراسة عامة لغة وفقه اللغة

الفصل الأول

تعريفات ومقدمات

المبحث الأول:

مفهوم مصطلح فقه اللغة

أولاً: تعريف مفهوم اللغة باعتبار مفرديه:

١- تعريف كلمة (فقه) : الفقه هو العلم بالشيء ، والفهم له ، والفتنة فيه.

يقال : فَقْهُ الرَّجُلِ فِقَاهَةٌ إِذَا صَارَ فَقِيهًا ، وَفَقِهٌ : أَيْ فَهْمٌ فَقَاهَا^(١).

وبعض العلماء يرى أن الفقه أخص من العلم ، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله :

«الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد؛ فهو أخص من العلم»^(٢).

وقد وردت مادة (فقه) في القرآن الكريم عشرين مرة تحمل المعاني السابقة ،

فمن ذلك قوله - تعالى - : «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا».

وقوله - عز وجل - : «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي

الدِّينِ».

وقوله - تعالى - : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ».

وقد غالب استعمال (الفقه) على علوم الدين؛ لشرفها ، وذلك من باب

١- انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٠.

٢- المفردات في غريب القرآن ص ٤٠.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

تخصيص الدلالة، ولكنه يستعمل في غير علوم الدين بقرينة.

٢- تعريف كلمة (اللغة): اللغة مشتقة من لغًا يلغو: إذا تكلم؛ فمعناها الكلام؛ فهذا تعريفها في اللغة^(١).

أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح ابن جنبي في كتابه (الخصائص) حيث قال:

«حد اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(٢).

وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم - يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة؛ حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة:

أ- أصوات منطقية.

ب- وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض.

ج- وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها.

د- وأن لكل قوم لغة.

فهذه - تقريرًا - هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتسع، فتدخل في اللغة كل وسيلة تفاهم، ولا تقتصر على الأصوات، فتجعل فيها الإشارات، وتعبيرات الوجه، ودقائق الطبول وغيرها؛ فإن الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطقية؛ لأن غيرها من الوسائل محدودة، وقليلة القيمة.

وعرفها ابن الحاجب بأنها: «كل لفظ وضع معنى»^(٣).

١- انظر لسان العرب ٢٥١/١٥.

٢- الخصائص ١/٨٧.

٣- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لأبي الثناء الأصفهاني ١٥٠/١.

ويراها بعض المحدثين: «أنها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تُخزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين»^(١).

ويراها آخر بأنها: «معنى موضوع في صوت»^(٢).

ثانياً: **تعريف فقه اللغة**: فقه اللغة - باعتبار تركيبه - يُعرف تعريفاً لغوياً، وتعريفاً اصطلاحياً.

تعريفه لغة^(٣): فقه اللغة من الناحية اللغوية هو: فهم اللغة، والعلم بها، وإدراك كنهها.

تعريفه في الاصطلاح: يطلق فقه اللغة في الاصطلاح على العلم الذي يعني بدراسة قضايا اللغة؛ من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتركيبها، وفي خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغيرات، وما ينشأ من لهجات، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك مما يجري ويدور في فلكه مما سيأتي ذلك عند الحديث عن موضوعات فقه اللغة.

١- علم اللغة د. حاتم الضامن ص ٣٤.

٢- علم الدلالة لأحمد مختار ص ٥ وانظر الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية د. هادي الشجيري ص ٥٦-٧٧.

٣- انظر تفاصيل ذلك في مقدمة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج ص ١٢-٤٤، وفقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل يعقوب ص ٢٨-٣٦، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

ويكن أن يعرف تعريفاً موجزاً، فيقال: هو العلم الذي يعني بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، وموضوعاتها.

ثالثاً: مصطلح علم اللغة: هناك مصطلح آخر يرد في بعض المؤلفات الحديثة مقابلاً لمصطلح (فقه اللغة) ألا وهو (علم اللغة).

فبعض المؤلفين المحدثين يفرق بين المصطلحين، وبعضهم يجعلهما شيئاً واحداً، باعتبار أن العلم والفقه شيء واحد.

والحقيقة أن هذا الخلاف طارئ على العربية؛ إذ الكلمتان من - الناحية اللغوية - معناهما واحد، وقد وردتا في تراثنا العربي كذلك؛ فلابن فارس كتاب: (الصاحب في فقه اللغة) وللسيوطي كتاب: (المزهر في علوم اللغة).

ولم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس، بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة: من خدمة العربية، وبيان خصائصها، والوقوف على سنن العرب في كلامهم، والحديث عن القضايا اللغوية العامة.

إذا استُخدمَ مصطلح (فقه اللغة) باعتباره شاملًا لدراسة اللغة بعامة فهو الأنسب؛ لأنَّه مستخدم في عريتنا، وارد في تراثنا.

وإذا استُخدم اصطلاح (علم اللغة) فإنما يعني به المرادف لفقه اللغة؛ بناءً على المعنى اللغوي، ولا مشاحة في الاصطلاح.

رابعاً: الخلط بين المصطلحين: لقد حصل خلط بين المصطلحين السابقين بسبب ترجمة بعض المصطلحات الغربية ومحاولة تطبيقها على لغتنا.

فالغربيون يفرقون بين علمين يتناولان اللغة، أحدهما: يعني بدراسة

النصوص اللغوية القديمة، واللغات البائدة، ويهتم بالتراث، والتاريخ، والنتاج الأدبي واللغوي، وقد ترجم هذا باسم (علم اللغة).

والثاني: يعني بدراسة اللغة في ذاتها: وصفاً وتاريخاً، ومقارنة، ودراسة للهجات والأصوات مستعيناً بوسائل علمية، وآلات حديثة.

ومن هنا حاول بعض الباحثين تطبيق هذا على العربية ، والتفريق بين علمين
يهتمان بالعربية ؛ متassين أموراً منها ما يلي :

أـ الاختلاف الكبير بين العربية وغيرها.

ب - أن أقدم نصوص العربية وصل إلينا من العصر الجاهلي.

ج - أن العربية نزل بها القرآن الكريم.

د - وأنها إلى يومنا هذا لغة واحدة حافظت على خصائصها، وينتسب لها هيبتها التي حفظها لها الكتاب العزيز.

هـ - وأن دراسة العربية في العصور السابقة لا تختلف عن دراستها في عصرنا هذا إلا ما طرأ من عamيات ، ولهجات.

بخلاف غيرها من اللغات الأخرى؛ إذ الإنجليزية المعاصرة لا تمت إلى الإنجليزية منذ قرون إلا بصلات واهية.

بل إن لغة شكسبير - وهو من كبار أدباء الإنجليز وقد مات في القرن السابع عشر - لا يكاد يفهمها إلا نفر من المثقفين.

أما نحن، العرب - على اختلاف أقدارنا من الثقافة - فنقرأ القرآن، ونفهمه إلا
وكل مثل ذلك في الفرنسية، والإيطالية، وسائر اللغات الأوروبية الحديثة.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

قليلًا ما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، وكذلك الحال بالنسبة للحديث الشريف.

وكذلك نقرأ أدب الجاهلية وأدب صدر الإسلام وما بعده، فنفهمه - في الجملة - على اختلاف الثقافة فيما بيننا.

وخلاصة القول في هذه المسألة أن مصطلح (فقه اللغة) أكثر ملائمة، وأعم وأشمل في دراسة القضايا التي يتناولها ذلك العلم.

ومع ذلك فلا تشريب على من استعمل المصطلح الآخر (علم اللغة).

المبحث الثاني:

م الموضوعات فقه اللغة

فقه اللغة هو ذلك العلم الذي يُدرس، ويتناول موضوعات مُعينة سبق الحديث عن بعضها.

وفيما يلي ذكر لموضوعات فقه اللغة بشيء من الإيضاح الجمل.

- ١- القول في أصل اللغة، والخلاف في ذلك.
- ٢- خصائص اللغة العربية، وما تنطوي عليه من أسرار وجمال.
- ٣- معرفة سنن العرب في كلامهم، وأساليبهم.
- ٤- علم الأصوات اللغوية.
- ٥- لهجات العرب، واختلافها.
- ٦- بنية الكلمة العربية وهو ما يسمى بالصرف.
- ٧- الجملة، أو التركيب وهو ما يسمى بال نحو.
- ٨- دلالة الألفاظ، أو معانيها.
- ٩- تطور دلالة الألفاظ، وانحطاطها.
- ١٠- الاستقاق بأنواعه.
- ١١- المشترك والمترادف والمتضاد، والنحو.
- ١٢- التعرير وضوابطه.
- ١٣- المعاجم العربية، ومدارسها، ومناهج أصحابها.
- ١٤- مسألة تنقية اللغة.

- ١٥ - ما تواجهه العربية من عقبات ومشكلات، وما يحاك ضدها من مؤامرات.
- ١٦ - مواكبة العربية للجديد، واستيعابها للمصطلحات الجديدة كالمصطلحات الطبية، والصناعية وغيرها.
- ١٧ - جهود العلماء في هذا الباب في القديم والحديث.
- ١٨ - قضايا الدعوة إلى العامية، وترك الإعراب، وإصلاح الخط العربي، وما إلى ذلك.
- ١٩ - العناية بالدراسات التي تقوم بها المجامع اللغوية، وما يتمخض عنها من نتائج وقرارات.

هذه على سبيل الإيجاز موضوعات فقه اللغة، مع ملاحظة أن كثيراً من تلك الموضوعات داخل في بعض، وسيأتي - إن شاء الله - تفصيل لتلك الموضوعات.

المبحث الثالث:

أهداف فقه اللغة، وثمراته، وغاياته

لسائل أن يسأل: ما الهدف من دراسة فقه اللغة، وما الثمرة المرجوة من ذلك؟ وما الغاية التي يراد الوصول إليها من خلاله؟
والجواب أن يقال:

- ١- أن ذلك باب عظيم من أبواب العلم، يحمل بالفضل أن يقف عليه، ولو لم يتعمق فيه.
- ٢- الوقوف على شيء من بديع صنع الله - عز وجل -: فدراسة الأصوات اللغوية - على سبيل المثال - تطلعنا على الجهاز الصوتي الذي يعد آية من آيات الإبداع الإلهي.
- ٣- التمكن من النطق السليم: فمعرفة مخارج الأصوات، وصفاتها وما يترتب على ذلك من مباحث مهمة - تعين على النطق السليم للغة.
- ٤- الاعتزاز باللغة العربية: فدراسة اللغة دراسة علمية تجعلنا ندرك ميزاتها، وتمكننا من معرفة أسرارها.
وذلك يدعو إلى الاعتزاز بالعربية اعتزاً مبنياً على واقع مدروس.
- ٥- مواجهة ما يحاك ضد العربية: كاتهامها بالصعوبة، والجمود، وكالمصادمة بترك الإعراب، والتوجه إلى العامية، وكتابة الحروف بحروف جديدة إلى غير ذلك من الدعوى التي تحاك ضد العربية، والتي يراد منها هدم الدين، أو التشكيك فيه، أو إضعاف أثره في نفوس أهله.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

ولا ريب أن مواجهة مثل هذه الدعاوى وأمثالها نوع من الجهد الذى يُكُسِّبُ صاحبَه شكوراً، وتزداد به صحيحةُ أعماله نوراً.

٦- تعظيم السلف الصالح: فالوقوف على ما بذلوه من جهود جبارة في سبيل خدمة لغة القرآن يبعث في نفس المطلع على ذلك إجلالاً أولئك السَّرَّاء وتعظيمهم، والحرص على أن يبني كما بنوا.

٧- سد الحاجة، ومواكبة التطور: فالعلم باللغة، والوقوف على دلالتها يسد حاجة عظيمة، سواء في تعریف الألفاظ، أو الاستغناء عن المصطلحات الداخلية، أو في بيان المقصود مما يفدي إلى أمتنا من ألفاظ، أو أخلاق، أو مصطلحات، كمصطلاح العلمانية مثلاً، أو مصطلاح الإرهاب أو غير ذلك؛ فإذا نقلناه كما هو معروف عند الغرب أحدث عندنا خلطاً وبلبلة.

أما إذا أعطي معناه الصحيح المحدد أراحتنا من كثير من البلايا.

٨- خدمة العلوم الأخرى: ففقه اللغة له علاقة بكثير من العلوم - كما سيأتي بيان ذلك - فالوقوف عليه، ومعرفته يخدم كثيراً من التخصصات والعلوم الأخرى.

المبحث الرابع:

مناهج البحث اللغوي^(١)

للبحث اللغوي مناهج مختلفة أشهرها أربعة:

- ١- المنهج الوصفي: وهو بحث ظاهرة لغوية معينة في فترة محددة. وذلك بمشاهدة تلك الظاهرة، ووصفها، والحديث عن جوانبها، وكشف خصائص تلك الظاهرة.
ومن الأمثلة على ذلك: البحث في نطق الأصوات الحلقية في منطقة ما، أو دراسة أساليب النفي في ديوان شاعر، أو دلالة بعض الألفاظ في العصر الجاهلي. فهذه وما شاكلها تعد بحوثاً وصفية، وكثير من البحوث العربية تسير على هذا المنهج، وكذلك أكثر البحوث الحديثة.
ويعد المنهج الوصفي أهم مناهج البحث في اللغة، وأكثرها استعمالاً.
- ٢- المنهج التاريخي: وهو الذي يبحث في قضية لغوية من حيث تطورها، وتغيراتها خلال التاريخ.
مثال ذلك: اختيار مجموعة من الألفاظ، ودراسة دلالتها في الشعر الجاهلي، ثم معانيها في العصور الإسلامية إلى عصرنا الحاضر.
- ٣- المنهج المقارن: ويعني المقارنة بين لغتين أو أكثر من اللغات التي تنتهي

- ١- أكثر هذا البحث مستفاد من محاضرات أستاذنا أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية، وهي مخطوطة موجودة عندي.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

إلى مجموعة واحدة، محاولاً توضيح ما بينهما من خلافات أو تقارب في الأصوات، أو البنية، أو الدلالات، أو التراكيب.

ويلاحظ أن المنهج التاريخي والمقارن يعتمدان أساساً على البحث الوصفي.

٤- المنهج العام: وهو الذي يفيد من المناهج السابقة، ويحاول إيجاد قواعد عامة تصدق على أكثر اللغات.

كما أن الموضوعات التي لا تدخل في أي من المناهج الثلاثة السابقة تدرج تحت المنهج العام في دراسة اللغة كالحديث عن نشأة اللغة، واكتساب الطفل للدلالات، وتقسيم اللغات، والصراع بينها، وكحدوث اللهجات وأسباب ذلك، وضعف اللغة، أو قوتها إلى غير ذلك.

المبحث الخامس:

علاقة فقه اللغة بالعلوم الأخرى^(١)

العلوم الإنسانية متربطة، وببعضها - في الأغلب - داخل في بعض، وقد لا يستغني واحد منها عن غيره، بل كل علم يُفيد من مباحث العلم الآخر ونتائجـه. والبحث اللغوي يستعين بعدد من العلوم تساعدـه على تحقيق أغراضـه، ويساعدهـا هو على ما هي بصدرـه من درسـ، وبحثـ.

ومن العلوم التي لها رابطـة، وعلاقة بفقـه اللغة ما يليـ:

١- علاقة فـقه اللغة بالـعلوم الشرعـية عمومـاً: كـعلم الحديثـ، وـعلم التـفسـيرـ، وـعلوم القرآنـ عمومـاً، وـعلم العـقـيدةـ، وـعلم الفـقـهـ، وـغيرـها من عـلوم الشـرـيعةـ؛ فإنـ لها اـرـتـباطـاً وـثـيقـاً بـفقـه اللغةـ؛ من حيث دـلـالـةـ الـأـلـفـاظـ، وـمـعـرـفـةـ الغـرـيبـ، وـاصـطـلاـحـاتـ النـاسـ، وـعـرـفـهـمـ في الـأـلـفـاظـ إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ مـاـ لـيـتسـعـ المـجـالـ لـتـفصـيلـهـ.

يقول الزمخـشـريـ في بيان فـضلـ العربيةـ، وأنـهـ لاـ غـنـاءـ لـعـلمـ منـ عـلومـ الشـرـيعةـ عنـهاـ: «وـذـلـكـ أـنـهـمـ لـاـ يـجـدـونـ عـلـمـاـ مـنـ عـلومـ الإـسـلامـيـةـ فـقـهـاـ، وـكـلـامـهـاـ، وـعـلـمـيـ تـفـسـيرـهـاـ وـأـخـبـارـهـاـ إـلـاـ وـافـتـقارـهـ إـلـىـ عـرـبـيـةـ بـيـنـ لـاـ يـدـفعـ، وـمـكـشـوفـ لـاـ يـتـقـنـّـعـ.

١- انظر علم اللغة د. علي عبدالواحد وافي ص ٣٠-٣٣، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالرواية عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء، وغيرهم من النحوين البصريين، والاستظهار في مأخذ النصوص بأقاويلهم، والتشبث بأهداب فسْرهم وتأویلهم.

ويهذا اللسان مناقلتهم في العلم، ومحاورتهم وتدريسهم، ومناظرتهم، وبه
تقطر في القراطيس أقلامهم، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم؛ فهم
ملتبسون بالعربية أية سلكوا غير منفكين عنها أينما وجهوا، كلٌّ عليها حيث
سيروا»^(١).

٢- علاقـة فـقهـة اللـغـة بـعـلـم الطـبـ: فـهـو مـا يـفـيـد مـن فـقـهـة اللـغـة مـن جـهـة تـقـرـيبـ الأـلـفـاظ الطـبـية، وـاـخـتـصـارـ المـصـطـلـحـاتـ الطـوـيلـةـ عن طـرـيقـ النـحـتـ، أوـ التـعـرـيفـ. كـمـا أـنـ عـلـمـ فـقـهـةـ اللـغـةـ يـفـيـدـ مـنـ عـلـمـ الطـبـ وـالـتـشـرـيـعـ وـوـظـائـفـ الـأـعـضـاءـ مـنـ جـهـةـ كـيـفـيـةـ إـصـدـارـ الـأـصـوـاتـ عـنـدـ النـاطـقـينـ، وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ مـنـ مـبـاحـثـ تـعـيـنـ عـلـىـ فـهـمـ اللـغـةـ.

٣- علاقة فقه اللغة بعلم النفس: فهو من العلوم التي تعين على فهم اللغة، وتحليلها، وإدراك كثير من مسائلها؛ فاللغة من أنواع السلوك البشري، وهي تكشف عن نفسية المتكلم، وأسراره.

ويرى علماء النفس أن كثيراً من المسائل اللغوية يمكن فهمها من خلال الظواهر النفسية؛ فالفرح، والغضب، والانفعال تعكس آثارها على اللغة.

١- المفصل للزمخشري ص ٣

٤- علاقة فقه اللغة بالتاريخ والجغرافيا: فإنها يساعدان الباحث اللغوي كثيراً، فهو استطاعهما يمكن تفسير قضايا انتشار اللغة، وانحسارها، وحدوث اللهجات، ودخول الألفاظ الجديدة وغيرها.

وبالاستعانة بهذين العلمين يمكن تفسير ظاهرة دخول الألفاظ الأعجمية إلى اللغة العربية قبل الإسلام، وانتشار العربية في كثير من المناطق بعد الفتوحات الإسلامية، ويمكن معرفة أسباب بقاء العربية قوية في بعض البلاد الإسلامية، وأسباب ضعفها في غيرها، ونستطيع أن ندرك بها السر في انتشار كثير من الألفاظ غير العربية في لهجاتنا المعاصرة.

وهكذا تتضح العلاقة بين فقه اللغة وغيره من العلوم الأخرى.

المبحث السادس:

اهتمام الإنسان باللغة

يرجع اهتمام الإنسان باللغة إلى عصور سحرية؛ فقد نقل عن كثير من الأمم والشعوب عنايتهم باللغة، واشتغالهم بقضاياها، وظواهرها.

وإذا كنا لا نعرف عن الدراسات العربية إلا الجهد التي بذلت بعد ظهور الإسلام - فإن التاريخ قد سجل لنا نبذأً تدل على اهتمامات مبكرة لغير العرب.

فقد نقل عن الهند اهتمامهم بأصوات لغتهم، ونحوها، ومفرداتها.

وأقدم ما وصل من آثارهم يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

وقد كانت دراساتهم الصوتية مما بني عليه العلم الحديث.

كما أنهم ألفوا في المعاجم.

وكذلك اليونانيون؛ حيث اهتموا باللغة، وألفوا معاجم لغتهم قبل الميلاد، وارتبطت دراستهم اللغوية بالفلسفة.

وكذلك كان للمصريين القدماء، والسريانين، والصينيين اهتمام قديم بال نحو واللغة.

أما العبرانيون فلم يعنوا بها إلا بعد ظهور الإسلام.

وفي القرون الوسطى حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي كانت البحوث اللغوية في أوروبا محصورة في دائرة الاهتمام باللغتين اليونانية واللاتينية.

وبعد اكتشاف اللغة السنسكريتية وحل رموزها عام ١٧٨٦ م على يد (سيرويليم جونز) الذي كان يعمل قاضياً في المحكمة العليا البنغال - تبين للباحثين وجود علاقة بين هذه اللغة وبين اليونانية واللاتينية؛ فوجهوا اهتمامهم إلى دراسة أوجه الشبه بين

هذه اللغات على ضوء المنهج المقارن، وإلى البحث عن تقسيمات للغات العالم، ومحاولة الوصول لِللغة الأولى.

وقد نادى طائفة من علماء اللغة الأوربيين بإهمال البحث في الغبيات - أي في مسألة نشأة اللغة ونحو ذلك - والاتجاه إلى دراسة اللغة في ذاتها؛ فنشأ ما سمي بـ: (علم اللغة الحديث) وتحددت مناهجه، ومباحثه.

أما العرب فلم يُؤثّرُ عنهم قبل الإسلام إلا عنائهم بالشعر، والخطابة، وقد حفظوا لغتهم من التغيير؛ فعدوا الخطأ فيها عيباً يتغير به، وشهرروا بأصحاب الفهادة واللغة، وأعلنوا بدائع شعرهم وخطبهم في أسواقهم المشهورة أيام مواسم الحج، فكان عِلْمُهُمُ الْحَقُّ هو أدب لغتهم، وهو علمهم العقلي الوحيد؛ فلم يعنوا بجمع اللغة، أو التأليف فيها^(١).

وإنما بدأ اهتمامهم باللغة وعلومها بعد ظهور الإسلام، وأقدم ما روی عنهم في ذلك محاولات تفسير غريب القرآن كتلك المسائل التي دارت في فناء المسجد الحرام بين عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - ونافع ابن الأزرق كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه (الإتقان)^(٢).

وكذلك ما كان من أولى محاولات وضع النحو التي تنسب لأبي الأسود الدؤلي كما ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست^(٣).

١- انظر أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص ٢١.

٢- الإتقان ١٤٠.

٣- ص ٤٦.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث السابع:

جهود العلماء في التأليف في اللغة العربية

يكاد يكون القرن الثاني الهجري بداية النشاط الفعلي لجمع اللغة ، والتأليف فيها؛ ذلك أن دخول كثير من غير العرب في دين الإسلام أحدث ما سمي بـ (اللحن) حيث سرى ذلك إلى الألسن؛ فأصابها الخطأ والفساد؛ فهب اللغويون يجمعون اللغة ، ويدونونها، فارتحلوا إلى البوادي التي لم يختلط أهلها بالأعاجم ، وشافهوا الأعراب ، ودونوا عنهم اللغة.

وقد حفظت لنا المصادر أسماء عدٍ من الأعراب الذين سمع عنهم اللغويون ، كما عُرف في تلك الفترة كثير من اللغويين الذين عنوا بجمع اللغة وتدوينها.

وستوضح تلك الجهود من خلال ما يلي :

أولاً: أبرز اللغويين الذين عنوا بجمع اللغة:

- ١- عبدالله بن إسحاق الحضرمي ت ١١٧ هـ
- ٢- عيسى بن عمر ت ١٤٩ هـ
- ٣- أبو عمرو بن العلاء ت ١٥٤ هـ
- ٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ
- ٥- عمرو بن عثمان بن قبر المعروف بـ: سيبويه ت ١٨٠ هـ.
- ٦- يونس بن حبيب ت ١٨٦ هـ
- ٧- علي بن حمزة الكسائي ت ١٨٩ هـ

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

٨- النضر بن شميل ت ٢٤٠٢ هـ

٩- الفراء ت ٢٤٠٧ هـ

١٠- أبو عبيدة ت ٢٤١٠ هـ

١١- أبو عمر الشيباني ت ٢٤١٣ هـ

١٢- عبد الملك بن قریب - الأصمی - ت ٢٤١٣ هـ

١٣- أبو زید القرشی ت ٢٤١٥ هـ

ثانياً: نوعية التأليف في ذلك الوقت:

ألف أولئك العلماء عدداً من الكتب، وكل واحد منهم له طريقة في التأليف.

١- فمنهم من كان يجمع الألفاظ تحت باب واحد كالوحوش، أو السیوف، أو النخل.

٢- ومنهم من يجمع في كتاب عدة أبواب.

٣- ومن تلك المؤلفات ما يتناول إحدى ظواهر اللغة كالهمز، أو الأضداد.

٤- ومنها ما يتناول الغريب ككتب غريب القرآن، أو غريب الحديث.

٥- ومنها ما كان على شكل نوادر أو أمالٍ، إلى غير ذلك من التأليف.

ثالثاً: نماذج من تلك التأليف:

١- الشاء والإبل والخيال، وخلق الإنسان للأصمی.

٢- النوادر والهمز والمطر لأبي زید القرشی.

٣- معانی القرآن، والمنقوص، والمدود، والأيام، والليالي والشهور والمذكر والمؤنث، للفراء.

٤- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٥- معاني القرآن للأخفش.

ومثل ذلك كثير من الكتب والرسائل اللغوية التي وصلتنا من القرنين الثاني والثالث للهجرة.

وقد كانت هذه الحركة مبنية على أساس علمي صحيح مأخوذ من سماع اللغة عن الموثوق بهم وبعد تم تدوينها بأسلوب وصفي دقيق.

وقد كانت هذه المادة هي الأساس الذي بنيت عليه علوم اللغة من نحو وصرف ومعاجم وغيرها؛ إذ توقفت حركة الجمع بعد ذلك، واكتفى العلماء بالمادة المجموعة يضعون قواعدهم على أساسها.

رابعاً: أبرز المؤلفات اللغوية في القرن الثاني الهجري:

ومع هذه المؤلفات المذكورة العظيمة النفع إلا أنها لا ترقي إلى درجة عملين عظيمين تُوجّب بهما القرن الثاني :

أولهما - كتاب (العين) للخليل بن أحمد: وهو أول معجم عربي، بناء مؤلفه على طريقة مبتكرة من الترتيب الصوتي؛ إذ استطاع الخليل أن يرتب مخارج الأصوات من أقصى الحلق إلى الشفتين، ويقيّم معجمه على نظام التقاليب - وهو ما سيتبين أكثر عند دراسة المعاجم العربية - .

كما أنه بِحَمْلِ اللَّهِ استطاع أن يحدد المهمل من كلام العرب، والمستعمل.

ولعظيم هذا العمل صعب على كثير من أعداء الإسلام والعربيّة أن ينسبوه إلى الخليل؛ فراحوا يكيلون التهم، ويدّعون أن الخليل اقتبسه عن غيره من الأمم

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

السابقة التي عرفت النظام الصوتي والمعجمي.

وسيأتي الكلام على ذلك مفصلاً - إن شاء الله - عند الحديث عن المعجم.

- أما الكتاب الآخر فهو (كتاب سيبويه): وهو عمرو بن عثمان بن قنبر

الملقب بـ: سيبويه.

وكتابه يعد - بحق - دستور النحو العربي ، والذي اخذه العلماء بعد سيبويه

أساساً لمؤلفاتهم شرعاً وتحليلاً.

وكل ما أضيف إلى النحو العربي بعد هذا الكتاب لا يقارن بالكتاب.

وقد عاجل سيبويه بِحَمْلِ اللَّهِ في كتابه القضايا النحوية ، والصرفية.

كما تحدث عن الأصوات: مخارجها ، وصفاتها في آخر الكتاب.

كما أنه اشتمل على مسائل في التقديم والتأخير، ومعاني الحروف ، ومحاسن العطف ، ونحوها؛ فكان عمدة علماء البلاغة من بعده، فهو يعد عملاً لغوياً متاماً؛ ولقد كان كتابه محل القبول ، والثناء ، وكان له منزلة مرموقة.

وما ذكره ابن جني في الثناء عليه وعلى علمه قوله: «ولما كان النحويون بالعرب لاحقين ، وعلى سمتهم آخذين ، وبالفاظهم متحلين ، ولمعانيهم وقصودهم آمين - جاز لصاحب هذا العلم - يعني سيبويه - الذي جمع شعاعه ، وشرع أوضاعه ، ورسم أشكاله ، ووسم أغفاله ، وحلج أشطانه ، ويعج أحضانه ، وزم شوارده ، وأفاد نوادره - أن يرى فيه نحوأ مما رأوا» أهـ (١).

وقال الزمخشري مثنياً على سيبويه :

ألا صلَى اللهُ صلاةً صدقِ
على عمرو بن عثمان بن قنبرْ
فإن كتابه لم يُعْنَ عنـه بـنـو قـلـمـ ولا أـعـوـادـ مـنـبـرـ
هذه نبذة موجزة عن جهود العلماء في التأليف في اللغة، تلك التأليف التي
كانت كالمقدمات، والإيرادات لظهور (فقه اللغة) كعلم مستقل.
وهذا ما سيتبين في الفصل التالي.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثاني: دراسة عامة في فقه اللغة

وتحتة سبعة مباحث:

المبحث الأول: بداية ظهور فقه اللغة كعلم مستقل، وأشهر المؤلفات فيه.

المبحث الثاني: أصل نشأة اللغة، وأشهر النظريات في ذلك.

المبحث الثالث: فصائل اللغات.

المبحث الرابع: اللغات السامية.

المبحث الخامس: بداية البحث التاريخي والمقارن للغات السامية، وفائدة ذلك.

المبحث السادس: الموطن الأول للساميين.

المبحث السابع: الخصائص المشتركة للغات السامية.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثاني

دراسات عامة في فقه اللغة

المبحث الأول:

بداية ظهور فقه اللغة كعلم مستقل، وأشهر المؤلفات فيه

ظل العلماء العرب مهتمين بالتأليف اللغوي من جوانبه المختلفة إلى أن كان القرن الرابع الهجري الذي يعد عصر ازدهار العلوم اللغوية؛ ففي هذا القرن وُجد عدد كبير من علماء اللغة الذين أثروا المكتبة العربية بتأليفهم اللغوية. ولعل تأليف المعاجم كان أبرز ما أذاك؛ فمن المعاجم التي ألفت:

١- الجمهرة لابن دريد ت ٣٢١ هـ

٢- ديوان الأدب للفارابي ت ٣٥٠ هـ

٣- البارع للقالي ت ٣٥٨ هـ

٤- التهذيب للأزهري ت ٣٧٠ هـ

٥- الصحاح للجوهري ت ٤٠٠ هـ

كما ألف عدد من الكتب في القراءات القرآنية، والنحو والصرف، والأصوات، وغيرها.

أما البداية الحقيقة لفقه اللغة، وظهوره كعلم مستقل - فكانت على يد عمالين من علماء اللغة الكبار في القرن الرابع؛ حيث كان لهما أكبر الأثر في التأليف في (فقه اللغة) وتعد مؤلفاتهما البداية الحقيقة لإنفراد هذا العلم بكتب خاصة.

الأول: أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ: الذي ألف مجموعة من

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

الكتب اللغوية وغيرها، ومنها كتاب : (الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها).

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أمور عديدة لعل أهمها كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح (فقه اللغة).

وبه تأثر المؤلفون من بعده، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً.

وقد عالج ابن فارس رحمه الله في كتابه (الصاحب) عدداً من الموضوعات التي تعدد من صميم فقه اللغة، وجمع في كتابه ما تفرق في كتب من سبقه.

قال رحمه الله في مقدمة كتابه : «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين - رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء - .

وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»^(١).

ثم بعد ذلك شرع رحمه الله في أبواب الكتاب التي تعد النواة الأولى في فقه اللغة، وذلك كحديثه عن نشأة اللغة، والخط العربي، وعن خصائص اللغة، ومزاياها. وك الحديث عن اختلاف اللغات، وأقسام الكلام، ومعاني الحروف.

وك الحديث عن الخطاب المطلق والمقييد، وعن الحقيقة والمجاز، والقلب، والإبدال، والعموم، والخصوص، والمحذف والاختصار، والاتباع، والنحو، والإشباع، وغيرها.

وبالجملة فإن الكتاب يحتوي على ٢٠٧ من الأبواب.

١- الصاحبي ص ١٢.

كل ذلك مع أن الكتاب في مجلد واحد، ويقع بعد التحقيق في ٢٣٨ صفحة.
وقد طبع عدة طبعات، ولعل من آخرها طبعة دار الكتاب العلمية ١٤١٨ هـ
- ١٩٩٨ م.

وقد علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج.
كما أن ابن فارس رحمه الله أثرى المكتبة العربية بمعجم سماه (مقاييس اللغة).
وهو من أضخم المعاجم العربية.
وله معجم آخر اسمه (جمل اللغة).
وهذه الكتب تدل على عقلية جباره، وموهبة فذة مبتكرة.
وسيأتي مزيد حديث عن ابن فارس وعن معجميه عند الحديث عن المعاجم
العربية.

الآخر: أبو الفتح عثمان بن جنني : كان أبوه جنٌّ مملوكاً رومياً لسليمان ابن
فهد بن أحمد الأزدي الموصلي.

وجنٌّ بكسر الجيم وتشديد النون مكسورة، وسكون الياء - معرَّب كِنْيٍ.
ولد في الموصل سنة ٣٠٠ هـ، وقيل ٣٢٢ هـ وتوفي في بغداد عام ٣٩٦ هـ.
كان ابن جنني رجل جدُّ، وامرأ صدقٍ في فعله وقوله؛ فلم يعرف عنه اللهو،
والشرب ، والمجون.

وكان عف اللسان والقلم يتتجنب البذى من الألفاظ ، ولم يكن همه رضاء
الملوك ومنادتهم كحال أدباء عصره.

أخذ النحو عن الأخفش ، ويعده عن أبي علي الفارسي ، وأخذ عن كثير من

رواة اللغة والأدب.

اجتمع ابن جني بالمتibi في حلب عند سيف الدولة، وفي شيراز عند عضد الدولة البوهي.

وكان المتibi يجله، ويقول فيه: «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس»^(١).

وكان إذا سُئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: «سُلوا صاحبنا أبا الفتح».

وكان يقول: «ابن جني أعرف بشعري مني»^(٢).

وكان ابن جني يعجب بشعر المتibi، ويستشهد بشعره في المعاني، وهو أول من شرح ديوانه، وله في ذلك شرحان: كبير وصغير.

أما مذهبه الكلامي فقد كان معتزلياً كما ذكر ذلك السيوطي في المزهر.

ويذكر بعض مترجميه أن لا يتقييد بأصول المعتزلة، ويذهب إلى ما يراه الحق. يعد ابن جني من كبار علماء العربية وأفذاذها.

وكان محل الثناء من قبل كثير من العلماء، قال عنه الثعالبي: «هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب»^(٣).

وقال عنه الفيروز أبادي: «الإمام الأوحد، البارع المتقدم»^(٤).

١- معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٨٩/٢ و ١٠٢.

٢- شذرات الذهب لابن العماد ٣/١٤١.

٣- يتيمة الدهر للثعالبي ١/١٦٤.

٤- البلقة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز أبادي ص ١٣٧.

وله كتب كثيرة في فنون مختلفة لم تعرف العربية لها نظيراً.

وله فيما يعد من صميم فقه اللغة كتابان جليلان.

أولهما: كتاب (الخصائص): حيث عالج فيه كثيراً من قضايا فقه اللغة، وقد نظريات وآراء تجاري أو تفوق أحدث ما قال به العلماء في العصر الحديث.

وقد تحدث في كتابه المذكور عن موضوعات كثيرة تعد من صميم فقه اللغة.

ومنها حديثه عن أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتدخل اللغات، والاشتقاق الأكبر، والإدغام، والعلاقة بين الألفاظ والمعاني، والتقديم والتأخير، واستخلاص معاني الأوصاف من المعاني، والإبدال.

وقد طبع عدة طبعات، وطبع أخيراً بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي، ونشرته

دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م

وهذه الطبعة تميز بحسن إخراجها، ودقة فهارسها، حيث يستطيع الباحث أن من خلالها الوصول إلى آراء ابن جني عبر الفهارس بدون كلفة.

أما كتابه الثاني فهو: (سر صناعة الإعراب): وقد خصه ابن جني لدراسة الأصوات؛ فكان أول عالم في العربية يفرد هذا البحث بكتاب مستقل؛ حيث كان قبله يُدرس ضمن بحوث النحو كما في كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد.

وقد قدم ابن جني في كتابه مباحث قيمة في علم الأصوات مستفيداً من سابقيه، ومضيفاً إليه الكثير؛ فهو في مقدمته يتحدث عن الفرق بين الصوت والحرف، وهو يُشبّه الحلق والفم بالنار، ويذكر أن الحركات أبعاض حروف المد.

ثم يتحدث عن الحروف، ومخارجها، وأجناسها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة، والمستقبحة، وذكر خلاف العلماء فيها مستقصىً مشروحاً.

وبعد ذلك يعقد لكل حرف من حروف العربية مرتبة على الحروف الألفبائية باباً يتكلم فيه على صفاته، ومخرجه، وما يعرض له من قلب، أو إبدال، أو إدغام، كما يتعرض لكثير من القضايا النحوية.

كما تحدث عن تصريف حروف المعجم، واشتقاقها، وجمعها، كما تحدث عن مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك وما يكتنع، وما يحسن وما يقبح إلى غير ذلك مما حفل به ذلك الكتاب.

والناظر في هذا الكتاب يلحظ فيه مزايا عديدة منها على سبيل الإجمال: غزاره المادة، والوضوح، والسهولة، والشمول، والاستقصاء.

وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً في مجلدين طبعة طيبة معتمى بها كثيراً، حيث درسها وحققتها د. حسن هنداوي، وقد قدم للكتاب بمقعدة رائعة بين فيها شيئاً من سيرة ابن جني، وأردفها بحديث ماتع عن الكتاب، وعن سبب تسميته، وعن بعض مزاياه.

كتب أخرى مؤلفة في فقه اللغة:

ظهر بعد الكتب السالفة كتب كثيرة في فقه اللغة منها على سبيل المثال ما يلي :

١- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ٤٣٠هـ: ويعد الكتاب الثاني الذي وصل إلينا حاملاً مسمى (فقه اللغة) بعد كتاب (الصاحب) لابن فارس. وعنوان هذا الكتاب لا يطابق مسماه تماماً؛ إذ هو معجم للمعاني في مجمله،

و فيه بعض الفصول في فقه اللغة، كحديثه عن أساليب العربية في التعبير من حقيقة ومجاز، وتقديم وتأخير، وحذف واختصار. وفيه حديث عن الإبدال، والقلب، والنحو، وغيرها.

وقد طبع طبعات عديدة، منها طبعة دار الكتب العلمية بيروت، وطبعة دار مكتبة الحياة، وجاء عنوان الكتاب فيها (فقه اللغة وأسرار العربية)، ولعل أجود الطبعات طبعة دار الكتاب العربي، تحقيق ومراجعة د. فائز محمد، و د. إميل يعقوب.

٢- المخصص لابن سيدة ت ٤٥٨هـ: وهو معجم قيم ضمنه بعض المباحث في نشأة اللغة، والتراصف، والتضاد، والاشراك، والتعريف، والتذكير، والتأنيث، والمقصور والمنقوص.

٣- المُعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي ت ٤٥٠هـ: وقد قدم له بالحديث عن الألفاظ المُعرَّبة، ومذاهب العرب في استعمال الأعجمي، وكيف نتعرف على ذلك.

وسيأتي الكلام عليه عند الحديث عن المُعرَّب.

٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ت ٩١١هـ.

وهذا الكتاب موسوعة في علوم اللغة، وقد ضمنه موضوعات لغوية عديدة اقتبسها من كتب السابقين، ورتبتها وعرضها عرضاً جيداً؛ حيث جعل مؤلفه في خمسين نوعاً: ثمانية في اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر من حيث لطائفها ومُلْحُّها، وواحد راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفارидها، وثمانية راجعة إلى حال

اللغة ورواتها، ونوع معرفة الشعر والشعراء، والأخير لمعرفة الأغلاط. وفي ضمن هذه الأنواع مادة واسعة حول نشأة اللغة، والمصنوع والفصيح، والغريب، المستعمل والمهمل، واللغات، واللهجات، والإبدال، والقلب، والنحت، والاشتقاق، والمحاذ والتراويف، والمشترك، المتضاد وغيرها من البحوث اللغوية.

وقد طبع عدة طبعات منها طبعة دار الجليل بيروت، شرح وتحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البحاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

المؤلفات الحديثة في فقه اللغة :

وفي عصرنا الحديث ألف كثير من العلماء، وأساتذة المختصين في الدراسات اللغوية كتاباً في اللغة وعلومها، ومنهم من تأثر بالمناهج الأوروبية الحديثة، ومنهم من جمع بين التراث والمناهج الحديثة.

ومن المؤلفات الحديثة في هذا الشأن ما يلي:

١- كتابات الشيخ العلامة محمد الخضر حسين التونسي ١٣٧٧-١٤٩٣ هـ
شيخ الجامع الأزهر، وعضو المجمع اللغوي في القاهرة، والمجمع العلمي العربي في دمشق.

فقد كتب هذا العالم الجليل عدداً من الكتب وعالج فيها كثيراً من قضايا اللغة، وكتاباته تتميز بالعمق، والتحليل، والربط، والقوة.

كما أنها تسم بجزالة الأسلوب، والغوص على المعاني، والإلمام بالبحث من كافة وجوهه حتى إنه ليكاد يضارع كتابات الأوائل في هذا الباب، مع أنه بارع -

كذلك - في علوم الشريعة، والاجتماع، وغيرها. وتکاد تكون كتاباته أحسن ما كتب في العصر الحديث مع أنها لم تأخذ حظها من الشهرة والذیوع.

ومما كتبه رحمه الله في هذا الصدد من كتب ما يلي:

أ - القياس في اللغة العربية: وهذا الكتاب من أعظم ما كتب في بابه، فهو على صغر حجمه؛ حيث يقع في ١٥٨ صفحة من القطع المتوسط إلا أنه قد حوى أبحاثاً نفيسة، وتحريات عالية قل أن توجد في غيره.

وما تضمنه ذلك الكتاب من أبحاث: مقدمة في فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية - اللغة - أصل نشأة اللغة - تأثير الفكر في اللغة - تأثير اللغة في الفكر - هل يمكن اتحاد البشر في لغة؟ - اللغة العربية لا تموت - اللغة في عهد الجاهلية - تأثير الإسلام في اللغة - فضل اللغة العربية - الحاجة إلى القياس في اللغة - أنواع القياس.

إلى غير ذلك من الأبحاث النفيسة التي لاقت استحساناً من العلماء في عصره.
ب - حياة اللغة العربية: وقد تحدث في هذا الكتاب عن دلالة الألفاظ، وتأثير اللغة في الهيئة الاجتماعية، وأطوار اللغة العربية، وفصاحة مفرداتها، وحكم تركيبها، وتعدد وجه دلالتها، وتعدد أساليبها، وطرق اختصارها، واتساع وضعها، وإبداع العرب في التشبيه، واقتباسهم من غير لغتهم، وارتقاء اللغة مع المدنية، والاتحاد لغة العامة والعربية.

ج - الاستشهاد بالحديث في اللغة.

د - موضوع علم النحو.

ه - التضمين.

و - تيسير وضع مصطلحات الألوان.

ز - طرق وضع المصطلحات الطبية.

ح - حول تبسيط قواعد النحو والصرف والرد عليها.

ط - الإمتاع بما يتوقف تأثيره على السمع.

وقد خرجت هذه الكتب مفردة، وجمعت في كتاب واحد يقع في ٢٨٠ صفحة، وعنوان هذا المجموع (دراسات في العربية وتاريخها).

وقد نشره المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتح عام ١٣٧٩ هـ.

كما أن للمؤلف بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قصائد عديدة في هذا الشأن وهي موجودة في بعض كتبه التي مر ذكرها، وفي ديوانه الشعري (خواطر الحياة).

وإنما أطلت بعض الشيء في ذكر مؤلفات هذا العالم لأجل لفت الأنظار إليها؛ لأنها - كما مر - لم تأخذ حقها من الديوع والانتشار.

٢- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي؛ حيث ضممه كثيراً من مباحث فقه اللغة خصوصاً الجزء الأول منه.

٣- من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس.

٤- فقه اللغة د. علي عبدالواحد وافي.

٥- علم اللغة د. علي عبدالواحد وافي.

٦- فقه اللغة في الكتب العربية د. عبد الرحمن الراجحي.

- ٧- فصول في فقه اللغة د. رمضان عبد التواب.
 - ٨- في المعاجم العربية د. أمين فاخر.
 - ٩- مقدمة لدراسة علم اللغة د. حلمي خليل.
 - ١٠- مقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج.
 - ١١- الوجيز في فقه اللغة العربية عبد القادر محمد مايو.
 - ١٢- فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي.
 - ١٣- فقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل يعقوب.
- وغيرها من الكتب التي سيرد ذكرها في ثانيا هذا الكتاب.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

أصل نشأة اللغة، وأشهر النظريات في ذلك

لقد شغلت قضية نشأة اللغة الإنسانية المفكرين على مر العصور، وتصدى للبحث عنها كثير من العلماء، والفلسفه، والمتكلمين، واللغويين.

ولقد بذلت جهود كثيرة، وأجريت تجارب متعددة لكشف هذه القضية، فلم يجمعوا على قول واحد، بل ذهبوا في البحث مذاهب شتى، وتوصلوا إلى نظريات عديدة أشهرها أربع نظريات هي^(١):

- ١- نظرية التوقيف والإلهام.
- ٢- نظرية التقليد والمحاكاة.
- ٣- نظرية الغريرة الكلامية.

وليس في أدلة أيٌّ من تلك النظريات ما تطمئن إليه النفوس، ويحل منها محل القطع، أو الظن القريب منه.

ومن هنا صاحح المحققون إدخال هذه المسألة في علم الأصول من الفضول؛ ولهذا انصرف الباحثون مؤخراً عن الخوض في هذا الموضوع، «وقررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائياً، أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلساته»^(٢).

- ١- انظر تفاصيل ذلك في كتاب: الخصائص ٩٤-٩٩، والصاحبی ص ١٣، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٢-٦٧، وابیان لابن تیمیة ص ٨٢-٨٥، والمزهر ١-٨/١، ومولد اللغة للشيخ احمد رضا ص ٢٨-٤٨، وفقه اللغة د. عبد الرافعی ص ٧٧-٩٩، وفقه اللغة العربية وخصائصها د. امیل یعقوب ص ٢٧-١٤، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.
- ٢- علم اللغة د. حاتم الضامن ص ٩٥.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

ومع صعوبة - أو تعذر - الوصول إلى رأي يرضى به الباحثون، ولا يجدون فيه نقصاً ولا عليه اعتراضاً - إلا أنه لا بد من الإشارة إلى تلك النظريات التي سبقت حول تفسير نشأة الكلام الإنساني، وذلك لأسباب عديدة منها:

١- معرفة عنایة العلماء في هذا البحث.

٢- أن هذه القضية شغلت حيزاً من التفكير، ونالت قدرًا من وافرًا من الجهد.

٣- بيان أن علماء المسلمين قد شاركوا في هذا الموضوع، وعرضوا آراءً لا تقل جدية واستدلالاً عما قدمه غيرهم قديماً وحديثاً، بل ربما فاقوا غيرهم، وسبقوه.

«نبذة موجزة عن النظريات الأربع» :

الأولى: نظرية التوقيف والإلهام: وخلاصة هذه النظرية عند القائلين بها أن اللغة الإنسانية إلهام، ووحى من الله - عز وجل - لا يَدَ للإنسان في وضعها؛ فهو أعجز من ذلك؛ فهي - إذاً - توقيفية لا مجال للاجتهداد فيها.

ولهذه النظرية أنصارها منذ أقدم العصور؛ فهي تنسب للفيلسوف اليوناني (هيرالكيت) ت٠٤٨٠ق.م.

ومال إليها بعض المحدثين منهم الأب الفرنسي (لامي) ت١٧١١م. وقد اعتمد غير المسلمين على أدلة نقلية؛ فقد ورد في التوراة أن الله - تعالى - خلق جميع الحيوانات والطيور ثم عرضها على آدم - عليه السلام - ليرى كيف يسميها؛ فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة، وطيور السماء، وذوات العقول.

وقد قال بهذه النظرية غير قليل من علماء المسلمين، ومنهم ابن فارس حيث قال بِحَمْلِ اللَّهِ : «أقول : إن لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله - جل ثناؤه - : ﴿وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا﴾ .

فكان ابن عباس يقول : علم الأسماء كلها.

وهذه هي التي يتعارفها الناس من دابة ، وأرض ، وسهل ، وجبل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خصيف عن مجاهد : قال : عَلِمَهُ اسْمُ كُلِّ شَيْءٍ .

وقال غيرهما : إِنَّمَا عَلِمَهُ أَسْمَاءَ الْمَلَائِكَةِ .

وقال آخرون : إِنَّمَا عَلِمَهُ أَسْمَاءَ ذَرِيَّتِهِ أَجْمَعِينَ .

والذي نذهب إليه من ذلك ما ذكرنا عن ابن عباس» ١- هـ^(١).

أما ابن جني فقد عرض هذه النظرية ، ولم يجزم بها كابن فارس ، بل تردد فيها هو وشيخه أبو علي الفارسي ، بين التوقيف والإلهام ، والقول بالمواضعة والاصطلاح^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بِحَمْلِ اللَّهِ في معرض حديث له عن اختلاف العلماء في هذه المسألة من الفقهاء وأهل الحديث والأصول ، وحصر الخلاف في هذه المسألة بالقول بالتوقيف ، والاصطلاح وما ترکب منهما ، قال بِحَمْلِ اللَّهِ : «فقال قوم : إنها توقيفية ، وهو قول أبي بكر عبدالعزيز والشيخ أبي محمد المقدسي ،

١- الصاحبي ص ١٣ .

٢- انظر الخصائص ٩٤/١ ٩٩-٩٦

وطوائف من أصحاب الإمام أحمد، وهو قول الأشعري، وابن فورك، وغيرهما.

وقال قوم: بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي، وهذا قول طوائف، منهم: ابن عقيل، وغيره.

وقال قوم: يجوز فيها هذا وهذا ولا نجزم بشيء، وهذا قول القاضي أبي يعلى، والقاضي أبي بكر ابن الباقياني وغيرهما.

ولم يقل: إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم، ورأس هذه المقالة أبو هاشم الجبائي^(١).

وجمع السيوطي كدأبه في كتابه المزهر - آراء القائلين بتلك النظرية - أعني التوقيف والإلهام - كابن فارس، وابن جني - مع ترددہ في ذلك - ثم أورد أقوال الأصوليين الذي يرون هذا الرأي، وأورد حججهم، والنصوص التي استدلوا بها إضافة إلى الآية الكريمة السابقة؛ حيث استدلوا بقوله - تعالى - : «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا».

وذلك يقتضي كون الباقي توقيفية، ويقوله - تعالى - : «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْجِنِّ وَالْأَنْبِيَاءِ».

فاختلاف الألسن دلالة على التوقيف.

ومن حججهم رأي عقلي في الرد على القائلين بالاصطلاح والمواضعة وهو أن الاصطلاح يحتاج إلى لغة سابقة، وهم يرون أنه إذا بطل الاصطلاح وجبا

التوقيف^(١).

ويلاحظ أن هذه النظرية تعتمد على النصوص النقلية، كما أنها لا تخلو من اعترافات، وقد رد عليهم المحتجون بردود منها:

١- أن نص التوراة يضعف دليلهم، وأنه حجة عليهم لا لهم؛ لأن فيه إشعاراً بأن آدم - عليه السلام - هو الذي وضع الأسماء.

٢- أن الآية التي احتج بها علماء المسلمين ليست دليلاً قاطعاً؛ فقد اختلف المفسرون في المراد بالأسماء.

وابن فارس نفسه ساق بعض أقوالهم - كما مر -.

٣- أنه لو كانت اللغة توقيفية لما جاز لنا أن ندخل فيها شيئاً، ألا ترى إلى لغتنا العربية اليوم ونحن ندخل فيها من مصطلحات العلوم والفنون الشيء الكثير؟ ألا ترى أننا ننقل دلالات بعض الألفاظ كالسيارة، والدرجة وغيرها؟.

إن حدوث الترافق، والاشتراك، والتضاد في اللغة - لدليل على أن اللغة ليست كلها توقيفاً من الله - تعالى -.

وبهذا وغيره يتبيّن أن الأدلة المساقة لا تنهض بهذه النظرية، ولا تقوى على الوقوف في وجه الاعترافات.

النظرية الثانية: نظرية التواضع والاصطلاح، أو يقال: الموضعية:
وتتلخص هذه النظرية في أن اللغة موضعية واتفاق بين الناس؛ بحيث يصطدرون على كذا وكذا من الألفاظ.

١- انظر المزهر ١٨-٨/١.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

وقد قال بهذه النظرية الفيلسوف اليوناني (ديمو كريت) في القرن الخامس قبل الميلاد، كما مال إليها بعض الفلاسفة الإنجليز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بِحَمْلَتِهِ مصورةً هذه النظرية: «أن قوماً اجتمعوا، وأصطلحوا على أن يسموا هذا بـكذا، وهذا بـكذا، ويجعل هذا عاماً في جميع اللغات.

وهذا القول لا نعرف أحداً من المسلمين قاله قبل أبي هاشم الجبائي»^(١).

وقد صور ابن جني هذه النظرية بقوله: «وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من الموضعة.

قالوا: وذلك لأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً؛ فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمةً ولفظاً إذا ذكر عُرف به ما مسماه؛ ليمتاز عن غيره، وليُغْنِي بذكره عن إحضاره إلى مراة العين»^(٢).

وبعد أن وضّح ذلك ذكر أن التواضع يمكن أن ينقل إلى لغة أخرى، وجعل ما يشاهد من اختراع الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء: كالنجار، والصاغ، والخائط دليلاً على هذا الرأي.

هذا وقد اعترض على هذه النظرية باعتراضات منها:

- ١- أن التواضع يحتاج إلى لغة سابقة يُتفاهم بها.
- ٢- أنه لا يكون حكماء يتواضعون بدون لغة، فهذه النظرية - إذاً - لا تحل

١- مجموع الفتاوى ٦٢/٧.

٢- الخصائص ٩٦/١-٩٧.

المشكلة، ولا تخلو من المآخذ.

٣- أن هذا القول مجرد دعوى تفتقر إلى دليل؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «فلا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب، بل ولا عن أمّة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا هذه الأسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع...»

فإن أدعى مدعىً أنه يعلم وضعاً يتقدم ذلك فهو مبطل؛ فإن هذا لم ينقله أحد من الناس»^(١).

وقال : «وحيئذرُّ فمن ادعى وضعاً متقدماً على استعمال جميع الأجناس فقد قال ما لا علم له به»^(٢).

النظرية الثالثة: نظرية المحاكاة والتقليد: وتتلخص هذه النظرية بأن نشأة اللغة بدأت محاكاةً للأصوات الطبيعية، وتقليداً للأصوات المسموعة من الحيوانات والأشجار، وصوت الرعد وغيره.

قال ابن جني رحمه الله : «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، وتنزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد.

١- مجموع الفتاوى ٦٣/٧.

٢- مجموع الفتاوى ٦٥/٧.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل»^(١).

وإلى هذه النظرية يميل كثير من الباحثين المعاصرین، ويرون أنها تساير طبيعة الأشياء التي تبدو بسيطة ثم تنموا وتطور؛ فاللغة - من منطلق هذه النظرية - بدأت تقليداً لأصوات الطبيعة، وقد يكون المتكلمون استخدموا - مع ذلك - التعبيرات والإشارات، ثم استغنى عن ذلك فيما بعد.

واستند هؤلاء - أيضاً - إلى لغة الطفل التي تبدأ تقليداً، ثم تنموا وتسقى، وأن كثيراً من الأمم البدائية يستخدمون الإشارات اليدوية، والجسمية للمساعدة في التعبير.

ولقد وجّهت نقوذ واعتراضات على هذه النظرية، ومن ذلك:

- ١- أنها تنزل بالإنسان إلى ما هو أقل منه؛ فليس من العقول - عند المعارضين - أن يقلد الإنسان صوت الحيوان والأصوات المسموعة الأخرى.
- ٢- أن اللغات الراهنة لا تشتمل إلا على قدر ضئيل من الكلمات التي تتضح فيها الصلة بين اللفظ والمعنى.
- ٣- أن كثيراً من الأمم البدائية يتكلمون بلغات لا يظهر فيها أثر الحاكمة والتقليد للطبيعة.

النظرية الرابعة: نظرية الغريرة الكلامية: وهي إحدى النظريات الحديثة، وترى أن الإنسان مزود بغريرة خاصة كانت تحمل كل إنسان على التعبير عن كل مُدركٍ حسيٍّ، أو معنوي بكلمة خاصة، ولذا اتحدت المفردات والتعابير عند

١- الخصائص ٩٨/١

الإنسان الأول، وأنه بعد نشأة اللغة لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة؛ فانقرضت. ومن قال بهذه النظرية الفرنسي (رينان) ت ١٨٩٠ م، والألماني (مولر) ت ١٩٠٠ م، وهما من أشهر علماء اللغة الأوروبيين.

وقد وجهت إليهما اعترافات منها:

١- أن المعاني الكلية المعنوية تدل على رقي لا يصدق معه أن تكون هذه هي اللغة الإنسانية الأولى التي يفترض أن تكون بسيطة؛ فهذه الأصول مرحلة لغوية متقدمة.

٢- أن الغريزة الكلامية لم يعرف كيف استُخدمت أول مرة للتعبير عن حاجة الإنسان، وهذا هو الموضوع الذي تدور حوله المشكلة كلها.
هذه هي أشهر النظريات حول نشأة اللغة، وهناك نظريات أخرى حاولت حل هذه المشكلة ولكنها لم تصل بالموضوع إلى نهاية يوقف عندها.

هل يمكن التوفيق بين النظريات السابقة؟

بعد عرض النظريات الأربع يتبيّن أن الباحثين فيها قد استنفدو طرق البحث الممكنة؛ من اعتماد على الأدلة النقلية والعقلية، والبحث في الواقع اللغوي بمختلف إمكاناته.

ومع ذلك لم يتوصل إلى رأي قاطع في تلك المسألة.
وأكبر ما يؤخذ على من بحث تلك القضية هو التعصب لرأي أو نظرية دون غيرها.

ومن عيوب البحث فيها أن النقد قد يصل إلى درجة التهكم.

ولو حاول العلماء والباحثون في هذه المسألة أن يأخذوا من كل نظرية بجانب لربما كان للمشكلة صورةً أوضح وأقرب للواقع.

ولنتأمل ذلك النقل الذي أورده السيوطي في المزهر حيث يقول: «وزعم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني أن القدر الذي يدعو به الإنسان غيره إلى التواضع يثبتُ توقيقاً، وما عدا ذلك يجوز أن يثبت بكل واحدٍ من الطريقين.

وقال القاضي أبو بكر: يجوز أن يثبت توقيقاً، ويجوز أن يثبت اصطلاحاً، ويجوز أن يثبت بعضه توقيقاً، وبعضه اصطلاحاً والكل ممكن»^(١).

ففي هذا الرأي محاولة للتوفيق بين قولين هما أشهر الأقوال في المسألة وهما القول بالتوكيف والإلهام، والقول بالاصطلاح والمواضعة.

ووهنا محاولة للتوفيق بينهما؛ إذ كل منهما يتحمل شيئاً من الصواب، ويتجه إليه اعتراض؛ فلو جمعنا النظريات، وأخذنا الجانب الإيجابي من كل منهما دون إغفال لنظرية أخرى لربما أمكن الوصول إلى تصور أفضل.

فمما لا شك فيه أن الله - تعالى - علم آدم - عليه السلام - الأسماء، ولو تركنا البحث والخلاف في معنى الأسماء، وتصورنا قدرًا من اللغة تعلمها آدم وأولاده من بعده ثم ذريتهم، وأضفنا إلى ذلك أن الله - عز وجل - قد وهب الإنسان قدرة على التعبير بما في نفسه؛ فذلك الجهاز المسمى بجهاز النطق، وذلك العقل المدبر المحرك للإنسان قادران على التعبير بما يستجد من أمور إما عن طريق التقليد والمحاكاة - كما نرى في محاولات الأطفال - وإما عن طريق

الاصطلاح كما يحدث كلما جدّ جديد في الحياة وُضع له الاصطلاح المناسب.
وبهذا يمكن الجمع بين النظريات جميعاً في تصور نشأة اللغة الإنسانية.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثالث:

فصائل اللغات^(١)

كان لاكتشاف اللغة السنسكريتية الهندية القديمة في أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في تطور الدراسات اللغوية في أوروبا؛ ذلك أن البحث اللغوي الهندي كان يتميز بالدقة والاهتمام بالدراسات الوصفية، ويبعد عن الجدل والفلسفة.

وقد تبين للغوين وجود أوجه شبه كبيرة بين السنسكريتية واللغات الأوروبية، فدفعهم هذا إلى الاهتمام بالدراسة الوصفية والتاريخية والمقارنة للغات.

وقد كان علماء تلك الفترة في أوروبا مهتمين بالبحث التاريخي، ويحاولون وضع دراسة تاريخية تطورية لكل علم متأثرين بنظرية دارون التطورية، كما كانوا يسعون إلى وضع قوانين لعلومهم، فسار علماء اللغة على هذا النهج؛ لأجل تحديد أوجه الشبه والاتفاق بين اللغات، والبحث عن الأصول المشتركة لهذه اللغات؛ رغبة في الوصول إلى ما يسمى باللغة الأولى أو الأم، ودراسة تطور اللغات، وكتابة تاريخها اللغوي، ووضع قوانين عامة للغات.

ودفع تحديد ملامح المجموعات اللغوية في أوروبا ومعرفة العلاقات بينها - إلى البحث في لغات العالم الأخرى، حتى توصل العلماء إلى بعض التقسيمات للغات، وهو ما يسمى بالفصائل أو الأسر اللغوية.

١ - انظر مولد اللغة ص ٥٨ - ٦٧ ، وعلم اللغة د. علي واي ص ١٩٥ - ٢٤٨ ، وفقه اللغة د. عبده الراجحي ص ١٣ - ١٧ ، والوجيز في فقه اللغة العربية لعبدالقادر محمد مایو ٧٤ - ٧٨ وأكثر هذا المبحث مستفاد من محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

والغرض الذي يُسعي إليه من دراسة الفصائل اللغوية هو معرفة التقسيمات العامة للغات العالم، والمجموعة التي تنتهي إليها لغتنا، وخصائص المجموعة، وتاريخها، ثم ندرج على لغتنا؛ فندرسها بالتفصيل.

ولقد توصل العلماء إلى عدة نظريات في تقسيم اللغات في العالم ولكن أشهر تلك النظريات نظريتان:

النظرية الأولى: وهي التي تعتمد على الدراسة الوصفية والتشكيلية للغات، ولا تنظر إلى ما بينها من قربات وصلات تاريخية.

وصاحب هذه النظرية هو العالم الألماني (شليجل) وقد قسم اللغات إلى ثلاثة أقسام:

١- اللغات المتصرفة أو التحليلية: وتحتاز هذه اللغات من الناحية التصريفية بتغير المعاني مع تصرف الكلمات، وأن الألفاظ فيها يشتق بعضها من بعض، ومن الناحية النحوية وتركيب الجمل تستخدم روابط وأدواتٍ تدل على مختلف العلاقات.

ومن هذا النوع اللغات الأوربية، واللغات السامية، ومنها العربية التي بلغت من ذلك مبلغاً فاقت به سائر اللغات؛ ففي العربية - على سبيل المثال - تقول من مادة (شرب): شَرِبَ، يَشْرِبُ، شَارِبٌ، شَرَابٌ، شُرُوبٌ، شَرِيبٌ، شَرَابٌ... وكل منها يدل على معنى.

وتقول: ركب محمد وعلي القطار من مكة إلى المدينة فتدل الضمة في (محمد) على الفاعلية، والفتحة في (القطار) على المفعولية، والواو على الرابط بين

(علي) و (محمد) و (من) على الابتداء و (إلى) على الانتهاء... وهكذا.

٢- اللغات الوصلية أو اللاصقة: وهذه اللغات تتغير المعاني فيها عن طريق إضافة لواصق أو سوابق إلى الكلمات؛ لتحمل معاني جديدة.

ومن أشهر لغات هذه الفصيلة: اليابانية، وبعض اللغات البدائية.

٣- اللغات العازلة: وهي لغات لا تتصرف الكلمات فيها، ولا تلحقها الإضافات، بل تحمل كل كلمة بصورتها معنى لا يتغير.

ولا تعرف هذه اللغات الأدوات النحوية، ولعل هذا هو السبب في تسميتها بـ: العازلة؛ لأن لكل كلمة دلالة خاصة، لا تقبل التغيير.

ومن هذه اللغات الصينية، وكثير من لغات الأمم البدائية.

وزعم القائلون بهذه النظرية أنها تدل على تطور اللغات؛ فاللغة في نظرهم تبدأ من مرحلة (العزل)، ثم ترقي إلى المرحلة التي تستخدم فيها السوابق واللواحق، ثم إلى أرقى مراحلها وهي أن تكون تصريفية.

كما يرى القائلون بها أن بعض اللغات قد تتوقف عند مرحلة معينة فلا تتجاوزها، وقد استدلوا على نظريتهم هذه بلغات الأطفال، ولغات الأمم البدائية.

ولم تلق هذه النظرية قبولاً عند العلماء، ووجهوا إليها اعترافات أهمها: أن كثيراً من اللغات تعرف أكثر من قسم من الأقسام الثلاثة؛ فالعربية التي هي لغة تصريفية تعتمد اعتماداً كبيراً على الوصل، والإلصاق كحروف المضارعة، وعلامات التشنيمة والجمع، وغيرها.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقيه اللغة

وكذلك نجد فيها بعض الصيغ العازلة كالمثال الذي يسوقه النحويون: ضرب موسى عيسى، من وجوب تقديم الفاعل؛ لوجود اللبس، لعدم وجود قرينة تدل عليه، ولو قدمت (عيسى) على (موسى) أو على (ضرب) وأنت تريد أن (عيسى) هو الفاعل لتغير المعنى.

النظرية الثانية: وهي التي تعتمد على الصلات وروابط القربي، والعلاقات التاريخية والجغرافية بين الشعوب، فتحاول أن تجعل من كل مجموعة متقاربة من اللغات فصيلة مستقلة.

وهذه النظرية أكثر النظريات قبولاً، ورواجاً بين العلماء.

وأشهر تقسيم للغات سار في هذا الاتجاه هو ما قال به العالم الألماني (ماكس مولر) ت ١٩٠٠ م، فقد لاحظ أن أكثر لغات العالم تجمع بينها علاقات تاريخية، وأوجه شبه مما يمكن أن تكون متفرعة عن أصل واحد.

ومن منطلق وحدة النشأة للغات وجد (مولر) أمامه مجموعتين لغويتين متميزتين، أما اللغات التي لم تدرج تحت هاتين المجموعتين فقد صنفهما تحت مجموعة ثالثة.

وعلى هذا ففচائل اللغات في العالم ثلاثة:

١- فصيلة اللغات الهندية - الأوربية: وهي أكثر اللغات انتشاراً في العالم؛ إذ يتكلم بها أكثر سكان أوروبا وأمريكا واستراليا، وقسم كبير من سكان آسيا.

ويندرج تحت هذه المجموعة عدد من اللغات البائدة كالسنسكريتية، والفارسية القديمة، والبهلوية، واللغات الجermanية، واليونانية، والإغريقية

القديمة، كما يدخل ضمن هذه المجموعة من اللغات المستعملة الحية اللغات الهندية، والفارسية، والكردية، والأفغانية، والأرمنية، والألبانية، واللغات الأوروبية، والسلافية والاسكندنافية، وغيرها.

وقد اختلف العلماء في تحديد موطن هذه اللغات فقيل نشأت في وسط آسيا في منطقة التركستان، أو في أوروبا الشرقية، أو في بحر البلطيق كما حاولوا تصور كيفية انتقال هذه اللغات وانتشارها في تلك البقاع الواسعة في العالم.

وقد بحث العلماء كثيراً في هذه اللغات؛ لأن أكثر علماء اللغة في العصور المتأخرة يتعمون إليها.

وتمتاز هذه الفصيلة بكثرة شعبيها، واتساع الرقعة المنتشرة فيها.

وقد سلك المتحدثون بها - إن كانت في يومٍ ما لغةً واحدةً - مسالك متباينة حتى لا يكاد يوجد بين فروع هذه الفصيلة إلا أوجه شبه محدودة يدركها المتخصصون.

٢- فصيلة اللغات السامية - الحامية: وتشمل هذه الفصيلة بجموعتين لا يربط بينهما إلا روابط جغرافية؛ ذلك أن الاختلاف بين المجموعتين كبير.

أما الأولى - السامية - فلها حديث خاص، وأما الثانية - الحامية - فتنسب إلى حام بن نوح - عليه السلام - وهي تحوي اللغات المصرية القديمة، والقبطية، واللغات البربرية التي لا يزال لها بعض الاستعمال في مناطق من شمال أفريقيا، واللغات الكنوشية - الحبشيّة القديمة - والنوبية.

وأكثر هذه اللغات طفت عليها اللغات السامية.

٣- فصيلة اللغات الطورانية: وتسميتها بالفصيلة من قبيل المجاز، وإنما هي الفصيلة تضم لغات لا تربط بينها علاقات، ولكن (مولر) جمعها تحت هذا الاسم؛ تخلصاً من كثرة التسميات.

ومن هذه الفصيلة اللغات الصينية، واليابانية، والتركية، والمغولية، وغيرها. ولم يُرضِّي هذا التقسيمُ العلماء المُحدَثين، فجعلوا اللغات السامية الحاممية فصيلتين مستقلتين، وجعلوا الفصيلة الطورانية تسعه عشر قسماً؛ لتصل الفصائل إلى اثنين وعشرين.

المبحث الرابع:

اللغات السامية^(١)

والمراد بها - كما يقول الرافعي في تاريخ آداب العرب - لهجات سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأردن شمالاً إلى البحر العربي جنوباً، ومن خليج العجم شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً.

وهي منسوبة إلى سام بن نوح - عليهما السلام - باعتبار أن المتكلمين بها هم في الجملة من نسله.

وقد اختار الباحثون الغربيون هذه التسمية؛ حيث لاحظوا - وهم يقسمون لغات العالم - أوجهَ شبهٍ بين مجموعة اللغات العربية والحبشية والسريانية، والآشورية، والأرامية، وغيرها من اللغات؛ فاعتقدوا أنها - في الأصل - لغة واحدة، وأن أهلها يسكنون في بقعة واحدة، ثم تفرقوا في الأرض، وانتشروا، واختلفت ألسنتهم، وتباينت لغاتهم.

وقد اختار العالم الألماني (شلوترز) اصطلاح اللغات السامية؛ لإطلاقه على هذه اللغات، ويعد أول من استخدم هذا الوصف، وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي. وقد استمد هذه التسمية من جدول تقسيم الشعوب في الإصلاح العاشر من سفر التكوير في التوراة، وهو الجدول الذي يرجع الشعوب التي عمرت الأرض

١- انظر تاريخ آداب العرب ١/٧٤-٧٧، وفقه اللغة د. علي عبد الواحد وفي ص ٦-٨، ومولد اللغة ص ٦١-٦٧، وفقه اللغة للراجحي ص ١٧، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٠٨-١١٤، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

بعد الطوفان إلى أبناء نوح - عليه السلام - : سام، وحام، ويافث ، والذي جعل الأشوريين ، والآراميين ، والعبريين من أبناء سام.

وقد ارتكب الباحثون هذه التسمية رغم اعتراضهم على التقسيمات الموجودة في الجدول؛ لأن الجدول أدخل في الساميين شعوراً ليسوا منهم، واستبعد شعوراً من الساميين؛ لاعتبارات دينية، وسياسية.

ولكن ذلك التقسيم - كاصطلاح علمي - كتب له الشیوع علی ما فيه من تجاوزات.

تنبيه: قال أ.د علي البواب - حفظه الله - : «تناول المستشرقون وكثير من سار على نهجهم من الباحثين العرب - أن علماء اليهود الذين كانوا يعيشون في الأندلس في القرن العاشر الميلادي هم أول من تنبه إلى الصلات والروابط بين الشعوب السامية ، وأنهم أول من أدرك القرابة اللغوية بين الساميين.

وهذا ادعاء غير صحيح، وفيه مغالطة تاريخية؛ فقد عرف كثيرون من علماء المسلمين قبل القرن العاشر الميلادي وبعده صلاتٍ القربي بين الشعوب السامية، كما عرّفوا أنهم من ذرية سام بن نوح.

فالخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ - القرن الثامن الميلادي - يقول في كتابه العين: «وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية».

والجوهري من علماء القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - يقول: «وسام أحد بنى نوح - عليه السلام - وهو أبو العرب».

وابن حزم الأندلسي من علماء القرن الخامس الهجري يقول: «إن الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقيناً أن السريانية، والعبرانية، والعربية والتي هي لغة مصر وربعها لا لغة حمير - واحدة تبدل بتبدل مساكن أهلها... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل».

والإمام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ أشار في فتاواه إلى وجود علاقات لغوية بين هذه اللغات قال: «والألفاظ العربية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تقارب الأسماء في الاشتقاد الأكبر، وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مُسلِّمة أهل الكتاب، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرت أفهم كثيراً من كلامهم العربي بمجرد معرفة العربية»^(١).

فإدراك علماء العربية لأوجه الشبه بين لغتهم وغيرها وارد و معروف ، وليس من العدل أن ينسب لغيرهم.

بل إن من علماء العربية من عرف بعض اللغات السامية وغيرها ، فأبو حيان الأندلسي أَلْفَ في نحو الحبشية والتركية.

ولكن علماء العربية لم يسعوا إلى إجراء البحوث المقارنة بين العربية وغيرها ، وربما كان ذلك لاعتقادهم أن لغتهم أسمى من أن تقارن بغيرها ، وتقديسهم لها جعلهم يرثون بأنفسهم عن مقارنتها بلغات أخرى»^(٢).

١- نقض النطق لابن تيمية ص ٩٣-٩٥.

٢- محاضرات أ.د علي الباب على طلاب كلية اللغة العربية.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الخامس:

بداية البحث التاريخي والمقارن للغات السامية وفائدة ذلك

أما البحث التاريخي والمقارن للغات السامية فهو وليد القرن التاسع عشر الميلادي، وقد برزت هذه البحوث على أيدي الغربيين بعد تطوير البحوث اللغوية، وللبحث التاريخي المقارن في اللغات السامية فوائد عديدة منها:

- ١- معرفة تاريخ الشعوب السامية التي تتصل مع الشعوب بصلات القربي، وعاداتهم، وتقاليدهم، ودياناتهم، وحضاراتهم وأثر ذلك على العرب.
- ٢- أن البحث التاريخي المقارن يساعد على تفهم كثير من قضايا اللغة ويفسر بعض ظواهرها الصوتية واللفظية؛ فكثير من قضايا الدلالة كالترادف، والاشراك، والإبدال يمكن أن يكشف البحث المقارن عن بعض غموضها، وأسباب حدوثها، كما أن هذا البحث يوضح كثيراً من التبدلات الدلالية.

طريقة البحث في اللغات السامية:

وقد سار البحث في اللغات السامية في اتجاهين:

- أحدهما: تاريخي: يتناول الحديث عن موطن الساميين، وهجراتهم، وصراعهم مع الشعوب الأخرى، والمالك التي أقاموها، والآثار التي خلفوها وغير ذلك من البحوث التاريخية.

- والثاني: لغوی: يعتمد على الدراسة الوصفية لكل لغة من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتركيبها، ثم المقارنة بين هذه اللغات للخروج بقوانين

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

عامة للغات السامية ، ومحاولة معرفة اللغة الأولى.

والباحث في اللغات السامية يحتاج إلى الجمع بين الجانبين التاريخي واللغوي.

المبحث السادس:

الموطن الأول للساميين^(١)

اختلف العلماء كثيراً حول تحديد المكان الأول الذي عاش فيه الساميون، وسلكوا الإجابة على السؤال مسالك متعددة، وخرجوا بأراء مختلفة تبعاً للمنهج الذي اعتمدوه في بحث المسألة، ومن أشهر ما قيل في ذلك:

١- رأى بعض الباحثين أن يكون شمال أفريقيا أو بلاد الحبشه - الموطن الأول للساميين، وأنهم نزحوا منها إلى جنوب الجزيرة عن طريق باب المدب. وقد استندوا في ذلك على ما لاحظوا من أوجه التشابه بين الحاميين والساميين، وإلى وجود أوجه بين اللغات السامية والحامية. وهذه النظرية لا تستند على أساس قوية؛ فقد اعتُرِضَ عليها بأن التشابه بين السامية والحامية محدود، وأنه لم يكن للغات السامية وجود أو أثر يذكر عند الفتوح الإسلامية لشمال أفريقيا مما ينفي كون تلك المناطق مهدّاً للساميين.

٢- واعتمد بعض العلماء على المؤثرات الدينية؛ ففي قصة الطوفان أن السفينة رست عند منابع دجلة والفرات، فرأى بعض العلماء أن مرتفعات كردستان، أو بلاد أرمينية هي المكان المقصود، وافتراضوا أن تكون موطنًا للساميين.

١- انظر تاريخ آداب العرب ٧٤/١، وفقه اللغة د. علي وافي ص ٣٠-٣٤ و ٩-١٣، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١١٠-١١١، ومولد اللغة ٦٠-٦١، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

وبناءً على هذه النظرية فإن الموطن الأول للغات كلها هو ذلك المكان.

ولكن أصحاب النظرية يقولون أن (حام) طرد، وأن (يافت) انطلق إلى مكان آخر، ولم يبق هناك إلا (سام) والنظرية - كما يبدو - تعتمد على تصورات لا تستند إلى كثيراً إلى الواقع؛ لذا لم يكتب لها الرواج كسابقتها.

٣- وافترض بعض العلماء أن تكون بلاد كنعان - الشام - الموطن الأول للساميين، واعتمدوا في ذلك على دراسة الأساطير، والتأثيرات الشعبية.

ولكن العلماء يعترضون على هذه النظرية بأن الانتقال من بلاد الشام الخصبة إلى أرض الجزيرة انتقال شاق لا داعي له، وأن تلك الهجرات التي تمت في القرن الرابع ق.م تحتاج إلى الإبل التي ثبت أنها لم تستأنس إلا في الألف الثالث ق.م.

٤- ونظرية رابعة ترى أن سهول العراق وما بين النهرين هي البيئة الأولى التي نشأ فيها الساميون، وأول من قال بهذا الرأي العالم الإيطالي (جويدى) وتابعه على ذلك جماعة من العلماء.

وحجة جويدى في ذلك لغوية؛ فقد وجد أن كلمة (نهر) معروفة في كل اللغات السامية بنفس اللفظ على حين تختلف كلمة (جبل) من لغة سامية إلى أخرى، كما لاحظ أن كثيراً من أسماء النباتات والحيوانات تشبه ما يوجد في البابلية الآشورية التي كانت في العراق أكثر مما تشبه العربية، واستخلص من ذلك أن يكون الساميون قد عاشوا في سهول العراق.

وبخاصة إذا عرفنا أن البابلية الآشورية لها نصوص مكتوبة منذ الألف الرابع ق. م، وهي أقدم كتابات سامية.

والاعتراضات الموجهة إلى هذه النظرية قائمة على أساس أن تاريخ العراق معروف قبل البابليين عن طريق النقوش السورية، والسوريون ليسوا ساميين، وأن أحد ملوك الساميين في العراق، وهو الملك الأكادي سرجون الأول ٤٦٠ق.م - كتب عن أصله في نقش مشهور ما يفهم منه أنه وعشيرته قدموا إلى بلاد الرافدين من جزيرة العرب.

أما الألفاظ اللغوية فقد تكون مستعارة من لغات غير سامية، وقد يكون الساميون عرفوا النهر قبل أن يعرفوا الجبل، ولكن ليس من الضرورة أن يكون دجلة أو الفرات.

٥- أما أشهر الآراء وأرجحها فهو القائل إن شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأول للساميين، وقد مال إلى هذا الرأي كثير من المستشرقين، واستندوا في ذلك إلى عدة أدلة منها:

أ- المسكن: فأكثر المناطق التي حدثت على أنها الوطن الأول للساميين كانت مسكونة بشعوب غير سامية، على حين لا يُعرف قوم غير الساميين سكناً جزيرة العرب.

ب- الهجرات: فال التاريخ يتحدث عن هجرات كانت تنطلق من جزيرة العرب إلى بلاد الشام والعراق، ولم يذكر عكس ذلك، وقد استمرت تلك الهجرات حتى غمر المهاجرون أرض العراق والشام وأفريقيا.

والنقوش السورية تبين أن بلاد سومر كانت مهددة دائمًا بهجرات قبائل تأتي من الجهات الجنوبية والجنوبية الغربية.

جـ- ملائمة بلاد العرب : فقد ذكر بعض العلماء أن بلاد العرب كانت في العصور القديمة كثيفة بالسكان ، خصبة الأرض ، موفورة الخيرات ، تخترقها عدة أنهار ، وأنه على أثر بعض الظواهر الجيلوجية فقدت تلك المناطق خصيتها ، فنزع أكثر سكانها إلى مناطق أخرى.

وقد عرف العرب السدود والأنهار، وقصص القرآن الكريم تحدثنا عن (سبأ) و (عاد) و (ثمود) وغيرهم كما تحدثنا عن القصص الدينية والروايات التاريخية عن كثير من الأمم التي سكنت جزيرة العرب، وكانوا يعيشون في رغد من العيش، وأن الله - تعالى - انتقم من كثير منهم لکفرهم بنعم الله - تعالى - .

دـ أن العرب أقرب الشعوب إلى السامية: فالمستشرقون يرون أن أقرب الشعوب إلى الساميين لغة، وخلقأ هم العرب، الذين بقوا في أرضهم ولم يختلطوا كثيراً مع غيرهم، وأن كثيراً من الألفاظ السامية يعبر عن عقلية تعتمد على المشاهدات الحسية التي تنشأ في الصحراء.

هذه الأدلة دفعت بكثير من العلماء إلى الأخذ بهذا الرأي، وإلى افتراض أن أقدم موطن للساميين هو جزيرة العرب، أو أنها أقدم موطن عرف للساميين، بمعنى أنه لا يستبعد أن يكونوا قد نزحوا إليها من مكان آخر في فترة موجلة في القدم.

المبحث السابع:

الخصائص المشتركة للغات السامية^(١)

يرى العلماء أن صلات القربي، والصفات الجامعة بين اللغات السامية كثيرة وواضحة، وأشد ظهوراً مما هي بين مجموعة اللغات الهندية الأوربية، وقد مر بنا أن بعض علماء العربية تنبهوا إلى العلاقة والرابطه بين العربية وغيرها دون معرفة بتلك اللغات.

أما اللغات الهندية الأوربية فلا يستطيع إدراك الروابط بينها الباحثون المدققون.

وأسباب كثرة الروابط بين اللغات السامية عديدة منها:

- ١- أن الساميين لم يتفرقوا في مناطق شاسعة متباعدة من الأرض كما هو الحال بالنسبة للغات الهندية الأوربية.
- ٢- وأن الساميين مع تفرقهم وانتشارهم لم تقطع الاتصالات بينهم، ولم توقف هجراتهم.

- ٣- أن أكثر اللغات السامية ترتبط بالأديان والحضارات التي حرص أهلها عليها، وتمسكون بها، فارتباط العربية بكتاب الله - تعالى - وتمسك اليهود والسريان والآراميين وغيرهم بمعتقداتهم وعبادتهم جعلهم يرتبطون بلغتهم،

١- مستفاد من محاضرات أ.د علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية، وانظر فقه اللغة لـ: وافي ص ١٤-١٧.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

فلم ينلها تغير كبير، ولم تبتعد عن أصولها الأولى بعدها واسعاً.

أما أهم الخصائص التي تجمع اللغات السامية فهي ما يلي:

١ - من الناحية الصوتية: تمتاز اللغات السامية باحتواها على حروف الحلق (الهمزة والهاء والعين والخاء والغين والخاء) بحيث لا تخلو لغة سامية من بعض هذه الحروف، ويضيع منها بعضها، أو يتحول إلى صوت آخر تحت تأثير اللغات الأخرى.

وقد استنتاج العلماء أن السامية كانت تعرف حروف الحلق كما هي في العربية، وأن فقدانها من غير العربية طرأ على الساميات، خصوصاً حرف (الخاء) حيث زعم ابن فارس رحمه الله أن الخاء، والظاء مما اختصت به العرب^(١).

وقال - أيضاً - «وزعم أنس أن الضاد مما اختصت به العرب دون غيرهم»^(٢).

وحوروف التفخيم أو الإطباقي: (ص، ض، ط، ظ) من مميزات اللغات السامية، وقد أجمع الباحثون على وجود القاف والطاء والصاد في كل اللغات السامية، أما الظاء فيظن أنها متطرفة عن الصاد، والضاد من خصائص العربية فلا توجد في غيرها - كما مر -.

والحروف بين الأسنانية (ذ، ث، ظ) مما تميّز السامية؛ فالذال والثاء صوتان أصليان في السامية الأولى، وإن فقدا من بعض اللغات السامية، وتحولا إلى

١- انظر الصحبي ص ٦٣.

٢- الصحبي ص ٦٣.

أصوات أخرى كما هو الحال في العاميات العربية.

٢- ومن الناحية الصرفية تعتمد اللغات السامية على الأصوات الساكنة، ويتحدد معنى الكلمة بالسوakan، ولا يكون للحركات قيمة كبيرة في ذلك، ويغلب على اللغات السامية الأصول الثلاثية، ويوجد فيها بعض الأصول الثنائية والرباعية، كما أن اللغات السامية لغات اشتقاقية تصريفية، وتعتمد على السوابق واللوائح في الزيادة على المعنى الأصلي.

٣- وزمن الفعل في اللغات السامية ينقسم إلى ماض، ومستمر، ولا تعرف اللغات السامية في الأصل غير هذين الزمنين على حين نرى اللغات الهندية الأوربية ينقسم زمن الفعل فيها إلى عدة أقسام.

٤- وتعرفُ اللغاتُ الساميةُ حالتين فقط من حيث الجنس، وهما المذكر والمؤنث ولا تعرف نوعاً ثالثاً، وتدخل ما ليس بمذكر أو مؤنث حقيقي في أحدهما مجازاً.

٥- كما أن اللغات السامية تُقسّم الاسم من حيث العدد إلى مفرد ومتثنى وجمع، والمثنى لا يعرف في كثير من اللغات.

٦- وظاهرة الإعراب ظاهرة سامية قديمة؛ فهي معروفة في النقوش القديمة الأكادية كما هو الحال في العربية، وفقد الإعراب في بعض اللغات السامية حدثٌ متأخر.

٧- وما يربط بين اللغات السامية أنها نجد كثيراً من المفردات تتشابه معانيها، كالاشتراك في الضمائر، والأعداد، وأسماء الأسرة، وأعضاء الجسم، وبعض

الألفاظ الدالة على المعيشة.

هذه الصفات والخصائص المشتركة بين اللغات السامية جعلت الباحثين يؤكدون أنها لغات لها أصل واحد، وهذا لا يعني أنه لا يوجد اختلافات بين هذه اللغات، فبالإضافة إلى ما أصاب اللغات السامية من تغيير في أصواتها، وما دخلها من ألفاظ واستعمالات - فإن بينها فروقاً ليست قليلة في أداة التعريف، وعلامات التشيبة والجمع، وكثير من المفردات.

أما أقدم لغة سامية، أو أقرب لغة سامية إلى الأصل المشترك، أو اللغة الأولى للساميين كما يتصورها العلماء - فهو أمر مختلف فيه وإن كان أكثرهم يرى أن العربية أقرب اللغات إلى السامية الأولى؛ فال الأبجدية الصوتية التي رسمها العلماء للسامية الأولى قريبة إلى حد ما من الأبجدية العربية، والعربية لم تفقد شيئاً من مخارجها، وحافظت على ظاهرة الإعراب كاملة، كما أن المفردات والتصريف، وتركيب الجملة السامية الأولى مما حافظت عليه العربية.

وليس ذلك غريباً إذا ما تذكينا أن أرجح الآراء ترى أن جزيرة العرب موطن الساميين، ومن ثم يكون سكان الجزيرة الذين لم يغادروا أرضهم ولم يختلطوا إلا قليلاً بغيرهم، والذين توارثوا الديانات والحضارات - هم أجدر الناس بالمحافظة على خصائص لغتهم الأم.

الفصل الثالث: دراسة اللهجات العربية، والمنطق العربي

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مسائل في اللهجات.

المبحث الثاني: دراسة اللهجات العربية.

المبحث الثالث: صفات الحروف ومخارجها.

المبحث الرابع: عيوب المنطق العربي.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثالث

دراسة اللهجات العربية والمنطق العربي^(١)

تمهيد

تساءل العلماء كثيراً عن العربية التي نزل بها القرآن الكريم، ووصلنا بها الشعر الجاهلي، وكتب بها تراثنا الإسلامي، والتي لا تزال لغة العرب في كل مكان، ويستخدمها المسلمون في العالم كله في عباداتهم، وفي كثير من شؤون حياتهم، تسأّلوا: هل كانت قبائل العرب جمِيعاً تتكلّم بهذه اللغة، أو هي لغة قريش وحدها سادت بعد الإسلام ونَزَول القرآن بها؟

ولقد اختلف العلماء في الإجابة عن هذا السؤال، فمنهم من ادعى أن العربية التي وصلنا هي لغة قريش وحدها.

ومنهم من قال: إنها لغة مشتركة للعرب جميعاً، تعاملوا بها، واستعملوها في لقاءاتهم ومواسمهم الدينية والثقافية والتجارية، وإلى جانب هذه اللغة كان لكل قبيلة لهجة خاصة بها، أو لغة خاصة.

وإذا كان الرأي الثاني هو الأرجح فهل يعني أن القبائل العربية المتعددة كانت تتكلّم بلغات، أو بلهجات بعيدة عن الفصحي المشتركة؟ .

وهل وجود هذه اللهجات يعني أن العرب لم يكونوا جميعاً يتكلّمون الفصحي، أو يتعاملون بها؟ .

١- مستفاد من محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

أو أنهم كانوا يتعاملون في حياتهم اليومية بلغات خاصة، ثم يخاطبون بالفصحي عند لقاءاتهم؟

والإجابة القاطعة على هذه التساؤلات ليست سهلة لأمور منها ما يلي:

١ - أن ما وصلنا من روایات عن لهجات العرب قبل الإسلام ليس بالشيء الكثير الذي يمكن أن يصور لنا حجم هذه اللهجات ومدى بعدها أو قريها من الفصحي.

٢ - وأن ما وصلنا من أدب جاهلي لا يمثل اللهجات الخاصة بقبائل شعرائه بقدر ما يمثل الفصحي.

٣ - ولأن العلماء أضربوا كثيراً عن نقل اللهجات؛ لأن ما وصلنا من أخبار وروایات عن اللهجات العربية، وما جاء منها في القراءات المتواترة وغير المتواترة يمكن أن يُستنتج منه بعض خصائص اللهجات العربية، ويبيّن لنا أن الاختلافات بين اللهجات لا تعدو أن تكون اختلافات قليلة من إمالة صوت، أو إبداله، أو إدغامه، أو إعمال حرف عند قبيلة تهمله قبيلة أخرى، أو اختلاف في دلالة لفظ بين قبيلة وأخرى، أو أنها - بصفة عامة - لا ترقى إلى درجة الزعم بأن اللهجات العربية كانت متباعدة، أو أنه كان لكل قبيلة لهجة خاصة.

وقبل الحديث عن أشهر سمات اللهجات العربية وما بقي منها في عريتنا اليوم لابد من التقديم بحديث عن تعريف اللهجة، وأسباب حدوثها، والغرض من دراسة اللهجات.

المبحث الأول:

مسائل في اللهجات^(١)

أولاً: معنى اللهجـة: يفهم من معنى اللهجـة في المعاجـم العـربية أنها اللغة، أو طـرـيقـة أداء اللغة، أو النـطق، أو جـرـسـ الكلـامـ وـنـغـمـتـهـ^(٢). ويعرفـهاـ المـحـدـثـونـ بـأـنـهـاـ:ـ الصـفـاتـ أوـ الـخـصـائـصـ التـيـ تـتـمـيـزـ بـهـاـ بـيـئـةـ ماـ فـيـ طـرـيقـةـ أـدـاءـ اللـهـجـةـ أوـ النـطـقـ.

ثانياً: انقسامـ اللـهـجـاتـ وـالـعـلـاقـةـ بـيـنـهـاـ:

وـبـيـنـاءـاـ عـلـىـ ذـلـكـ التـعـرـيفـ السـابـقـ فـالـلـغـةـ الـوـاحـدـةـ قـدـ تـنـقـسـمـ إـلـىـ عـدـةـ بـيـئـاتـ لـغـوـيـةـ لـكـلـ مـنـهـاـ لـهـجـةـ خـاصـةـ،ـ أوـ صـفـاتـ لـغـوـيـةـ مـعـيـنـةـ،ـ وـيـشـتـرـكـ أـفـرـادـ بـيـئـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ أـوـ مـتـكـلـمـونـ بـالـلـهـجـاتـ الـمـتـعـدـدةــ فـيـ أـكـثـرـ خـصـائـصـ الـلـغـةـ.

إـذـاـ قـلـنـاـ:ـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ قـصـدـنـاـ الـلـغـةـ الـتـيـ يـتـفـاهـمـ بـهـاـ الـمـسـلـمـونـ،ـ وـيـقـرـؤـونـ بـهـاـ وـيـكـتـبـونـ،ـ وـيـسـمـعـونـ عـبـارـاتـهـمـ،ـ فـيـفـهـمـونـهـاـ.

أـمـاـ إـذـاـ قـلـنـاـ لـهـجـةـ الـجـنـوبـ،ـ أوـ الشـامـ قـصـدـنـاـ طـرـيقـةـ أـدـاءـ أـهـلـ تـلـكـ الـمـنـطـقـةـ لـلـغـةـ،ـ فـقـدـ تـكـوـنـ لـهـمـ خـصـائـصـ مـعـيـنـةـ يـخـتـلـفـونـ فـيـهـاـ عـنـ غـيرـهـمـ.

وـالـخـصـائـصـ الـتـيـ تـمـيـزـ الـلـهـجـةـ قـدـ تـكـوـنـ صـوـتـيـةـ؛ـ فـجـمـاعـةـ تـنـطـقـ الـقـافـ كـافـاـ،ـ أـوـ الـجـيمـ يـاءـ،ـ أـوـ الـذـالـ زـايـاـ...ـ.

١ - مستفاد من محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

٢ - انظر لسان العرب ٣٥٩/٢ - ٣٦٠

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

وقد يكون في ترقيق صوت أو تفخيمه، أو في طريقة النبر ونظام المقاطع. وقد تكون هذه الخصائص في بنية الكلمة وزنها، وفي تقديم بعض الأصوات على بعض.

وقد يكون الاختلاف في تركيب الجملة، والربط بين أجزائها كما قد يكون في دلالات بعض الألفاظ.

ولكن اللهجات التي تنتمي إلى لغة واحدة يجمع بينها روابط صوتية ولفظية، ودلالية، وتركيبية كبيرة.

وكلما ازدادت الصفات المشتركة بين مجموعة اللهجات ازداد التقارب بينها. وعلى العكس من ذلك إذا قلت الصفات المشتركة بين هذه اللهجات ابتعدت عن بعضها حتى تصبح هذه اللهجات مع مرور الزمان كأنها لغات لا يربط بينها إلا روابط ضعيفة.

ويُذكر أن أكثر اللغات المعروفة انفصلت عن لغات أسبق، فهي - في الأصل - لهجة من اللغة الأم أو فرع منها، ثم اتسعت الفروق بينها وبين اللغة الأصلية حتى غدت لغة مستقلة كما حدث في مجموعات اللغات الهندية الأوربية، أو في اللغات السامية.

ثالثاً: أسباب حدوث اللهجات: هناك عوامل مختلفة تؤدي إلى حدوث اللهجات، منها ما يلي :

١- العامل الجغرافي: فقد تسع الرقعة الجغرافية للمتكلمين باللغة، وتفصل بينهم الجبال والأنهار، ويقل الاتصال بينهم؛ فتأخذ اللغة في التغيير شيئاً فشيئاً،

ويسلك المتكلمون باللغة مسلكاً مختلفاً عن غيرهم، فيؤدي ذلك إلى حدوث لهجة جديدة.

٢- العامل الاجتماعي: فالظروف الاجتماعية في البيئات المتعددة الطبقات تساعد على حدوث اللهجات؛ فكل طبقة تحاول أن يكون لها لغتها، أو أسلوبها اللغوي المميز.

٣- العامل السياسي: فانفصال قبيلة أو دولة عن غيرها، واعتناق المذاهب السياسية، أو الدخول في الديانات الجديدة يساعد على دخول ألفاظ وأصطلاحات جديدة في اللغة.

٤- الصراع اللغوي والاحتلال: وربما كان ذلك أهم العوامل التي تساعد على حدوث اللهجات؛ فالصراع بين لغتين يؤدي إلى انتصار إحداهما على الأخرى طبقاً لقوانين لغوية؛ فالأقوى حضارةً ومادةً قد يكتب له الانتصار، ولكن اللغة المغلوبة ترك أثراً في الغالبين، وتؤدي إلى تطور، أو تغير في لغتهم. كما أن اختلاط الأقوام بعضهم يؤدي إلى التغييرات اللغوية، فاللغات السامية التي دخلت العراق احتلت بالسومرية، وانتصر الساميون على السكان الأصليين للعراق بعد أن أخذوا منهم الكثير، وبعد أن فقدوا كثيراً من مميزات لغتهم الأصلية.

والمسلمون بعد فتح فارس، والمغرب وغيرهما نشروا العربية. ولكن هناك لهجات خاصة نشأت في تلك البلاد؛ نتيجة الاحتلال بين الفاتحين وسكان البلاد الأصليين.

الاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، والإبدال ، وغيرها يمكن أن يُرَدَّ كثيراً منها إلى اختلاف اللهجات العربية.

٤- ودراسة اللهجات تعين على تفسير كثير من القراءات القرآنية ، ومعرفة اللهجات التي وردت عليها.

٣- كما يفسر لنا كثيراً من اللهجات الحديثة ويعرفنا بأصولها ، وكيفية حدوثها.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

دراسة اللهجات العربية

لقد كان لسيادة اللغة القرشية - لغة القرآن الكريم - أثر كبير في نظر علماء العربية إلى غيرها من اللهجات؛ حيث أضرب بعضهم عن نقل غير الفصيح لأنهم يفضلون لغة قريش على غيرها.

وسيمر بنا عند الحديث عن لغة أو لهجة قريش أنه كان لها النصيب الأوفى، والقدح المعلى في الفصحي، وأن قريشاً كانت تختار من لغات العرب أفصحتها، فتضمنها إلى لغتها، وتستعملها.

وعلى الرغم من شيوع تلك اللغة في العصر الجاهلي، وأنها أصبحت لغة الأدب عامية، وأن القبائل العربية قد اصطدحت فيما بينها على هذه اللغة الفصحي، وأن الشعراء كانوا على اختلاف قبائلهم وتباعدها وتقاريرها ينظمون شعرهم في تلك اللغة، وأن الواحد منهم إذا أراد نظم الشعر تجافى عن لهجة قبيلته المحلية إلى تلك اللهجة الأدبية العامة، بالرغم من ذلك كله كانت هناك لهجات كثيرة تميزت بها بعض القبائل، وظللت آثارها واضحة على ألسنتها إلى القرن الثاني للهجرة، حيث سجلها بعض اللغويون، وأطلقوا عليها ألقاباً تدل على استهجان هذه اللهجات ولم يكونوا يعنون بنسبة هذه اللهجات إلى أصحابها؛ فقد كانت تهمهم الصحة اللغوية، وكأنهم يريدون التنبيه على ما يخالف اللغة الأدبية العامة التي نزل بها القرآن؛ ولهذا يلاحظ أنهم قد يختلفون في

نسبة اللهجة؛ فقد ينسبها عالم إلى قبيلة، وينسبها غيره إلى قبيلة أخرى^(١). ولهذا استحسن بعض الباحثين أن يقسم أنواع الاختلاف إلى خمسة أقسام^(٢) وهي:

القسم الأول: لغات منسوبة ملقبة: ومعنى ذلك أنها تنسب إلى قبيلة أو قبائل، وأن لها لقباً تعرف به.

وقد عده العلماء من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ.

وهو كذلك بعد هذبت اللغة، وأطبقت العرب على المنطق الحر، والأسلوب المصفى، وسيأتي نماذج لأمثلة من ذلك.

القسم الثاني: لغات منسوبة غير ملقبة تجري في إبدال الحروف.

القسم الثالث: لغات من ذلك في تغير الحركات.

القسم الرابع: لغات غير منسوبة ولا ملقبة.

القسم الخامس: لغة أو لغة في منطق العرب.

أمثلة للقسم الأول:

١- الكشكشة: وهي في ربيعة ومصر، وقد تروى لأسد، وهو ازن.

والكشكشة: هي إبدال كاف الخطاب في المؤنث شيئاً في حالة الوقف وهو الأشهر، وبعضاً منهم يثبتها في حال الوصل - أيضاً -.

فيقولون في رأيكِ: رأيتكم، وبكِ: بكم، وعليكِ: عليكـ.

١- انظر العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص ١٣١-١٣١، ومحاضرات أ.د. علي البواب.

٢- انظر تاريخ آداب العرب ١٤٠/١.

وبعضهم يجعل الشين مكان الكاف ويكسرها في الوصل، ويسكنها في الوقف
فيقولون في مررت بك اليوم: مررت بشِ اليوم، وفي مررت بكْ في الوقف:
مررت بشُ.

وأنشدوا على ذلك قول الجنون:

فعيناشر عيناها وجيدش جيدها
ولكن عظم الساق منشِ دقيق
يريد: عيناكِ، وجيدكِ، ومنكِ.
وقول الآخر:

يا دار حييت ومن ألمَ بشِ
عهدي ومن يحلل بواديش يعيش
يريد: بكِ، وبواديكِ.
وقال ابن جني: «قرأت على أبي بكر محمد بن الحسين عن أبي العباس أحمد
بن يحيى - ثعلب - لبعضهم:

علي فيما أبتغي أبغيش
يضاء ترضيني ولا ترضيش
إذا دنوت جعلت تُئيشِ
وتطيّي ودَّبني أبيشِ
وإن نأيت جعلت تدنيشِ
فشبه كاف الديك بكاف ضمير المؤنث.
حتى تنقّي كنقيق الديشِ

ومن كلامهم: إذا أعياش جاراتش فأقبلني على ذي بيتش^(١).

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

٢- الكسكسة: وهي إبدال كاف المخاطبة سيناً، أو زيادة سين على كاف المخاطبة؛ وهي كالكسكسة إلا أن السين تحل محل الشين، في هذه اللهجة. وبعض العلماء ينسبها إلى ربيعة ومضر وبيكر وهوازن. ونقل الحريري أنها لبيك لا لربيعة ومضر، وهي فيما نقله زيادة سين بعد كاف المخاطب.

وروى صاحب القاموس أنها لتميم لا لبيك، وفسرها كما فسرها الحريري.

٣- الشّنْشَنة: وهي قلب الكاف شيئاً مطلقاً، فيقولون: في لبيك اللهم لبيك لبيش اللهم لبيش، ويقولون في: كيف: شيف، أو تشيف.

وتنسب هذه اللهجة إلى قبائل من اليمن، وتغلب، وقضاءة. ويلحظ أن الشّنْشَنة، والكسكسة لها بقايا في عديد من اللهجات العربية في الخليج العربي والشام.

٤- التلتلة: وهي كسر أحرف المضارعة مطلقاً، وينسبها بعض العلماء إلى كثير من قبائل العرب كتيم، وخصوصاً بطن بهراء منها. وتنسب كذلك إلى قيس وغيرها.

بل زعم بعضهم أن هذه لغة العرب جمِيعاً عدا أهل الحجاز. وقد جاءت هذه اللهجة في القراءات القرآنية مثل: (نستعين، وتبين، وتسود)^(١).

ونسب ابن فارس هذا الكسر لأسد، وقيس إلا أنه جعله عاماً في أوائل

١- انظر النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ٤٧/١.

الألفاظ فمثل له بقوله : (مثُلْ : تَعْلَمُونَ ، وَنَعْلَمْ ، وَشِعِيرْ ، وَبِعِيرْ).

٥- **الطمطمانية:** وهي إيدال لام التعريف مima.

وقد جاء على اللهجة قول النبي ﷺ : «لَيْسَ مِنْ أَمْبَرٍ مَصِيَّامٌ فِي أَمْسَفَرْ» أي : (ليـس من البر الصيـام في السـفر).

وتنسب إلى طيء، والأزد، وقبائل اليمن بعامة.

ولا تزال في بعض قبائل جنوب الجزيرة واليمن.

٦- **العنونة:** وهي قلب المهمزة المبدوء بها عيناً.

فيقولون في : إنك : عِنكَ، وفي أسلم : عَسْلَمْ، وفي إذن : عِذْنَ، وهلم جراً.

وتعزى هذه الظاهرة إلى تميم، وقيس، وأسد، وقضاءعة.

٧- **العجبعة:** وهي جعل الياء المشددة جيماً، فيقولون في تميمي : تميمج.

وكذا يجعلون الياء الواقعـة بعد عـينـ، فيـقولـونـ فيـ الرـاعـيـ : الرـاجـعـ وهـكـذاـ.

وتنسب هذه اللهجة إلى قضاـعةـ؛ ولـهـذاـ يـقالـ : عـجـعـجـةـ قـضـاعـةـ.

وكانـتـ قـضـاعـةـ إـذـاـ تـكـلـمـواـ غـمـغمـواـ؛ فـلـاـ تـكـادـ تـظـهـرـ حـرـوفـهـمـ، وـقـدـ سـمـىـ بعضـ العـلـمـاءـ ذـلـكـ مـنـهـمـ (غمـغمـةـ قـضـاعـةـ).

وتنسب العـجـعـجـةـ إلىـ بعضـ قـبـائـلـ تمـيمـ.

وقد ورد عليها شواهد شعرية كثيرة أودعها النحاة والصرفـيونـ كثيرـاـ منـ مؤـلفـاتـهـمـ.

قال الأصمـعيـ : حدـثـنيـ خـلـفـ، قالـ : أـنـشـدـنـيـ رـجـلـ مـنـ أـهـلـ الـبـادـيـةـ - وـقـرـأـتـهـ عـلـيـهـ فـيـ الـكـتـابـ :

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

عمي عويف وأبو علّاج
المطعمان اللحم في العشج
وما لغدة فلق البرنج وبالصيصة
يريد أبو علي، وبالعشبي، والبرني - وهو ضرب من أجود التمر -
وبالصيصية، وهي قرن البقرة، ويروى البيت: خالي عويف...^(١)
وأنشد الفراء لبعضهم:

يا رب إن كنت قبلت حجّتْ
فلا يزال شاحِجْ يأتيك بـ
أقْمَرُ نَهَاتُ يُنْزِي وفُرَّتْ
أي: يريد: حجتي، ويأتيك بي، والشاحج: السريع من الدواب، ويروى:
شامخ، والأقماء: الأبيض، والنهايات: النهاق، وينزي: يحرك، والوفرة: الشعر
إلى شحمة الأذن^(٢).

٨- الوتم: في لغة اليمن، وهو جعل السين تاء؛ فيقولون في الناس: النات.
ويشهد اللغويون على ذلك بقول علاء بن أرقم:
يا قَبَحَ اللَّهُ بْنِ الْعَلَاتِ
عُمَرُو بْنُ يَرْبُوعَ شَرَارَ النَّاتِ
ليسوا أَعْفَاءً وَلَا أَكِيَاتٍ^(٣)

فقوله: النات أي: الناس، وقوله: أكيات أي: أكياس جمع كيس.
٩- الوكم: في لغة ربيعة، وهم قوم من كلب، يكسرون كاف الخطاب في

١- انظر سر صناعة الإعراب ١٧٥/١٧٦.

٢- انظر سر صناعة الإعراب ١٧٧/١.

٣- انظر سر صناعة الإعراب ١٥٥/١.

- الجمع متى كان قبلها ياء أو كسرة، فيقولون في عليكم ويُكُمْ: عليكم، وبِكِمْ.
- ١٠ - الوهم: في لغة كلب يكسرون هاء الغيبة متى ولَيَتْهَا ميم الجمع مطلقاً، والفصيح أنها لا تكسر إلا إذا كان قبلها ياء أو كسرة نحو: عليهم، وبِهِمْ، فيقولون في مِنْهُمْ وعَنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ: مِنْهُمْ، وعَنْهُمْ، وَبَيْنَهُمْ.
- ١١ - الاستنطاء: في لغة سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار؛ حيث يجعلون العين الساكنة نوناً إذاجاورت الطاء؛ فيقولون في أعطى: أَنْطَى.
- وعلى لغتهم قرئ شذوذًا: «إنا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر».
- ١٢ - القطعة: في لغة طيء: وهي قطع اللفظ قبل تمامه، فيقولون في مثل: يا أبا الحكم: يا أبا الحكا.

وهي غير الترخيم المعروف في كتب النحو؛ لأن الترخيم مقصور على حذف آخر الاسم المنادى، أما القطعة فتناولت سائر أبنية الكلام.

١٣ - الخلخائية: وهي تَعْرِض في لغة أعراب الشحر، وعمان، فيحذفون بعض الحروف اللينة، ويقولون في نحو: ما شاء الله: مَا شَاءَ اللَّهُ.

القسم الثاني: لغات منسوبة غير ملقبة عند العلماء، ومن أمثلته:

١ - في لغة مازن: ييدللون الميم باءً، والباء ميماً، فيقولون في بكر: مكر، ووفي اطمأن: اطْبَأْن.

٢ - في لغة طيء: ييدللون تاء الجمع هاءً إذا وقفوا عليها إلحاقاً لها بتاء المفرد، وقد سُمع من بعضهم: (دفن البناء من المكرمات).
يريد: البناء والمكرمات.

وحكى قطرب قول بعضهم: «كيف البنون والبناء، وكيف الإخوة والأخواه».

٣- في لغة طيء - أيضاً - : يقلبون الياء ألفاً بعد إبدال الكسرة قبلها فتحة، وذلك من كل ماضٍ ثلاثي مكسور العين، ولو كانت الكسرة عارضة كما لو كان الفعل مبنياً للمجهول، فيقولون في: رضي، وهدي: رضا، وهدى.

٤- في لغة طيء على ما رواه ابن السكikt أنهم يبدلون الهمزة في بعض الموضع هاء، فيقولون: هن فعلت، يريدون إن فعلت، ومنه قول شاعرهم:
ألا يا سنا برق على قلل الحمي
لهنك من برق علي كرم^(١)
أي : لئنك.

٥- في لغة تميم يجيئون باسم المفعول من الفعل الثلاثي إذا كانت عينه ياء على أصل الوزن بدون حذف؛ فيقولون في مبيع: مبيوع.
لكنهم لا يفعلون ذلك إلا إذا كانت عين الفعل واواً إلا ماندر.

٦- في لغة هذيل لا يبقون ألف المقصور على حالها عند الإضافة إلى ياء المتكلم، بل يقلبونها ياء ثم يدغمونها؛ توصلاً إلى كسر ما قبل الياء؛ فيقولون في عصاي، وهواي: عصيي، وهويي، كما قال شاعرهم أبو ذؤيب الهذلي:

سبقوا هويي وأعنقا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع^(٢)
٧- في لغة خشعم وزيد يمحظون نون (من) الجارة إذا وليها ساكن، قال

١- سر صناعة الإعراب ١/٣٧١، ٥٥٢/٢.

٢- سر صناعة الإعراب ٢/٧٠٠.

شاعرهم - كما في الشاهد النحوي - :

لقد ظفر الزوار أقفيه العدا
بما جاوز الآمال م الأسر والقتل

ومعنى الزوار: السيوف، وقول م الأسر: أي من الأسر...

وقد شاعت هذه اللغة في الشعر، واستخفاها كثير من الشعراء، فتعاونوها.

٨- في لغة بلحرث يحذفون ألف من (على) الجارة، واللام الساكنة التي تليها، فيقولون: في : على الأرض: علأرض وهكذا.

٩- في لغة بلحرث وخشم وكناة يقلبون الياء بعد الفتحة ألفاً، فيقولون في :
إليك، وعليك، ولديه: إلاك، وعلاك، ولداه.

وهذه موجودة في بعض بادية الجزيرة.

القسم الثالث: من تغيير الحركات في الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات، ومن أمثلته:

١- هاء الغائب مضمومة في لغة أهل الحجاز مطلقاً إذا وقعت بعد ياء ساكنة؛
فيقولون: لدية، وعليه، ولغة غيرهم كسرها.

وعلى منطق أهل الحجاز قرأ حفص وحمزة: «ما أنسانية إلا الشيطان»
و«عاهد عليه الله».

أما غيرهما فيكسر الياء.

٢- في لغةبني يربوع - وهم منبني تميم - يكسرؤن ياء المتكلّم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم، فيقولون: في نحوضاريي: ضاريي وهكذا...

٣- وقال ابن جني: «إن أبا الحسن - الأخفش - حكى أن سكون الهاء في مثل

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

هذا النحو - يعني في ضمير النصب المتصل - لغة لأزد السراة.

ومثل هذا البيت ما رويناه عن قطرب من قول الشاعر:

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش
إلا لأنّ عيونه سيلُ واديهَا^(١)

٤- وهناك لغات في كلمات، وهي كثيرة جداً منها:

أن تيمياً من أهل نجد يقولون: نهـيّ: للغدير، وغيرهم يفتحها.

والعرب يقولون: رُفقة للجماعة، ولغة قيس: كسر الراء.

والحجازيون يقولون: لعمري، وتيم تقول: (وعملني) ويحكى عنهم (وعمرى) - أيضاً -

٥- في لغات الإعراب وهذا كثير - أيضاً - ومنه:

(متى) بمعنى (من) في لغة هذيل، ويجرون بها، سمع من بعضهم: أخرجها متى كـمـهـ: أي من كـمـهـ، ويررون بيت أبي ذؤيب الهذلي المشهور:

شرين بماء البحر ثم ترفعت متى لجـجـ خضر لهـنـ نـيـجـ^(٢)
وفي لغة ربيعة وـغـنـمـ يـبـنـونـ (مع) الظرفية على السكون، فيقولون: ذهبت معـهـ، ومنه قول جرير:

فرـيـشـيـ منـكـمـ وـهـوـاـيـ مـعـكـمـ لـماـماـ^(٣)
وـإـنـ كـانـ زـيـارـتـكـمـ وإـنـ كـانـ زـيـارـتـكـمـ لـماـماـ
وإـذـاـ وـلـيـهـاـ سـاـكـنـ كـسـرـوـهـاـ لـلـتـخـلـصـ مـنـ التـقـاءـ السـاـكـنـينـ،ـ فـيـقـولـونـ:ـ ذـهـبـتـ مـعـ

١- الخصائص ١٦٤/١ و ٤٠٦.

٢- انظر الخصائص ١/٤٥٤.

٣- شرح ديوان جرير ص ٥٠٧، والبيت يروى: وهو اي فيكم.

الرجل، وَغُنْمٌ حي من تغلب بن وائل.

القسم الرابع: وهو لغات غير منسوبة ولا ملقبة: وهذا القسم هو اللغة أو أكثرها؛ لأن الذين دونوها جمعوا كل لغات العرب، وجعلوها لغة جنسية؛ فلم يميزوا منطقاً من منطق، ولا أفردو اللغة عن لغة؛ خدمة للتاريخ اللغوي الذي يراد به خدمة القرآن وعلومه.

ولو أراد أحد استغراق هذا النوع لطال به المقام، ومن أمثلة ذلك:

١- إِبْدَاهُمْ أَوْ أَخْرُجُ بَعْضَ الْكَلْمَاتِ الْمُجْرُورَةِ يَاءً: كقولهم في الشعالب والأرانب والضفادع: الشعالي، والأراني، والضفادي.

في سادس: سادي، وفي خامس: خامي.

٢- وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَجْعَلُ الْكَافَ جِيمًا، فَيَقُولُ: مثلاً: (الجعبة) في (الكعبة). وبعضهم ينطق بالباء طاءً، كأفلطني في أفلتنى، قال الخليل: وهي لغة تميمية قحة.

القسم الخامس: وهو ما يرونـه على أنه لغة في الكلام، أو لغة من المتكلم: وذلك كالألفاظ التي وردت بالراء، والغين، أو بالراء واللام، أو بالزاي والذال، أو بالسين والتاء، أو بالشين والسين.

فكل ذلك مما يشك فيه الرواة، ولا يجزمون بأنه لغة فرد، أو لغة قبيلة. فاللغة في السين أن تبدل ثاءً، وفي القاف أن تبدل طاءً، وربما أبدلت كافاً، وهكذا... .

هذا وسيأتي الكلام عن اللغة عند الكلام على عيوب المنطق العربي.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثالث:

صفات الحروف ومخارجها^(١)

لا يقصد من هذا بيان مخارج الحروف العربية، وضبطها على وجوها الصحيحة المتناقلة عن العرب؛ فذلك خارج عن غرض هذا الكتاب، ثم هو موضوعٌ فنٌ برأسه، وهو فن التجويد الذي وضعه حفص بن عمرو الدوري صاحب القراءة المشهورة بـ(قراءة حفص) وقد أخذ عن عاصم عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ وذلك بعد مستفيضٍ في كتب التصريف، وقد وضع فيه ابن جني كتابه: (سر صناعة الإعراب) وهو أتم كتاب في ذلك، قسمه على أبواب بعد الحروف، فذكر فيه أسماءها، وأجناسها، ومخارجها، ومدارجها، وفروعها، وخلاف العلماء في ذلك مستقصيًّا مشروحاً.

ومقصود هنا ذكر أنواع هذه الحروف باعتبار صفاتها؛ لأن هذه الصفات إنما هي مصطلحات تاريخية في اللغة، وهم يسمون الخطأ فيها - أي في صفات الحروف - لحناً خفياً؛ والحديث هنا ذكر لصفات الحروف ومخارجها.

أولاً: صفات الحروف:

يقسمون الحروف باعتبار صفاتها إلى تسعه عشر نوعاً، وبعضهم يصل إلى

١- انظر سر صناعة الإعراب ٦٨-٤١/١، وانظر تفاصيل صفات كل حرف على حدة في سر صناعة الإعراب ٦٩/١ إلى ٨١٨/٢، وتاريخ آداب العرب ١٢٢-١٢٧/١، وفقه اللغة لـ: وايفي ص ١٣١-١٣٩، وانظر مجمل ذلك في كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ١٣٩/١ - ١٤٠.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

أربعة وأربعين، وكثير ينقصون أو يزيدون؛ أما الأنواع المشهورة عند علماء هذا الفن والتي هي كالأصول فهي حروف: همس، وجهر، وشدة، ورخاوة، وبينَ، وحروف استعلاء، واستفال، وإطباق، وانفتاح، وتفخيم، وترقيق، وتفسّر، وتكرير، واستطالة، وغنة، وذلقة، ومدٌّ، ولين، وصفير، وقلقلة:

١- الحرف المهموس: هو الذي ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وحروف هذا النوع عشرة: (ه ح خ ك ش س ت ص ث ف).

٢- الحرف المجهور: هو الذي أشبع الاعتماد في موضعه - أي على مخرج الحرف - ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت، وحروف هذا النوع تسعه عشر؛ لأنها كلُّ ما كان غير مهموس.

٣- الشديد: وهو الذي يمتنع الصوت أن يجري فيه؛ لكمال قوة الاعتماد على مخرج الحرف، ولهذا النوع ثمانية حروف: (ء ق ك ح ط ت د ب).

٤- الرخو: وهو الذي يجري فيه الصوت لضعف الاعتماد على مخرجته مع نفس قليل، وذلك في الرخو المجهور، أو كثير وهو في الرخو المهموس؛ وحروف الرخاوة ستة عشر: (ذ ظ غ ض ز و ي ا ه ح خ ش س ت ص ث). وهذه الثمانية الأخيرة هي كل حروف الهمس ما عدا الفاء والكاف.

٥- الحرف الذي هو بينَ بينَ: وهو المتوسط بين الرخاوة والشدة وذلك من عدم كمال احتباس الصوت، وعدم كمال جريه، وحروفه خمسة: (ل ن ع م ر) وهذه الحروف المتوسطة كلها مجهرة.

أما الأنواع السابقة فمنها الشديد المجهور، وهو ستة حروف: (ء ق ط ب ج د).

ومنها الشديد المهموس وهو حرفان: (ك ت).

ومنها الرخو المجهور وحروفه ثمانية أيضاً: (ه ح خ ش س ص ث ف).

وهذه الثمانية هي جميع الحروف المهموسة ما عدا الكاف والتاء.

٦- الاستعلاء: وهو أن يستعلي اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك العليا، وحروفه سبعة: (خ ص ض غ ط ق ظ) وأشدّها استعلاء القاف.

٧- الاستفال: وهو ضد الاستعلاء، وحروفه كل ما عدا السبعة المتقدمة.

٨- الإطباق: وهو انحسار الصوت فيما بين اللسان والحنك؛ لانطباق الحنك على وسط اللسان بعد استعلاء أقصاه ووسطه إلى جهة الحنك، كما تعرف ذلك عند النطق بحروفه، وهي أربعة: (ط ظ ص ض) وجملتها من حروف الاستعلاء، ولا يكون الإطباق تماماً إلا مع الطاء.

٩- الانفتاح: وهو عدم انحسار الصوت بين وسط اللسان والحنك عند النطق بالحرف لانفتاح ما بينهما، سواء انتطبق الحنك على أقصى اللسان أو لا.

وحروفه كل ما عدا الأربعة المطبقة، وكل حروف الاستفالة منفتحة.

١٠- التفخيم: وهو تغليظ الحرف في مخرجته بحيث يمتلئ الفم بصداءه.

وحروف الاستعلاء كلها مفخمة، ولا يجوز تفخيم شيء من حروف الاستفالة إلا الراء واللام في بعض أحوالهما، وإلا ألف المد؛ فإنها تابعة لما قبلها تفخيمًا وترقيقاً.

١١- الترقيق: وهو نحافة الحرف بحيث يكون جسمه ناحلاً لا يمتلئ الفم بصداءه.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

١٢ - التفشي: وهو كثرة انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بالحروف.

وحرف التفشي هو الشين فقط على المشهور، وبعضهم يجعله في الصاد والثاء والفاء، وبعضهم يقول: إن في الصاد والشين تفشيًّا - أيضًا - وكل ذلك غير مجمع عليه.

١٣ - التكرير: وهو ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف؛ وحرفه الراء فقط، وأكثر ما يظهر تكريره إذا كان مشدداً نحو مرأة، وكراة.

١٤ - الاستطالة: وهي امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها وهي جنب اللسان لا طرفه، وحرفها الصاد فقط، وبعضهم يقول إن الشين مستطيلة؛ لأنها تفشت، واستطالت حتى خالطت أعلى الشتتين.

١٥ - الغنة: وهي صوت يخرج من الخيشوم - أقصى الأنف - ولذلك لو أمسك المتكلم بأنفه لم يكن خروجهما، وحرفها النون (ولو تنوننا) والميم إذا سُكتا، ولم تظهر.

١٦ - الذلاقة: وسميت بذلك لخروج بعضها من ذلك اللسان، وبعضها من ذلك الشفة، أي طرفيها، وهي: (ف ر م ن ل ب) مجموعة في قولك: «مر بنفل» وضدتها حروف الإصمات، وهي ما عدا هذه الستة.

١٧ - المدد: وهو إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين زيادة على المد الطبيعي، وحروفه: (أ و ي) لأن مخرجها متسع لانتهائهما إلى هواء الفم، ومخرج الحرف إذا اتسع انتشر فيه الصوت وامتد ولان، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت

وصلب، وكل حرف تجده مساوياً لمخرجه إلا هذه الثلاثة.

ولللمد في علم التجويد ألقاب عشرة ليس هذا موضعها.

١٨ - الصفير: وهو صوت يخرج مع الحرف يشبه صفير الطائر، وحروفه ثلاثة: (س ص ز).

١٩ - القلقة: وهي صوت زائد يحدث بفتح مخرج الحرف بتصويبت، ويشترط عندهم في إطلاق اسم القلقة على ذلك الصوت أن يكون شديداً جهرياً.

وحروفها خمسة: (ق ط ب ج د) والمرد يعد الكاف من حروف القلقة، كأنه لم يشترط قوة الصوت الزائدة، وعلى ذلك تكون التاء منها أيضاً، وهو ما يفهم من كلام سيبويه؛ لأنها كالكاف، والصوت فيها يلابس جري النفس، وهو صوت همس ضعيف؛ ولذلك عُدّا شديدين مهمومين.

ثانياً: مخارج الحروف:

تلك صفات الحروف المجمع عليها، أما مخارجها الطبيعية فهي خمسة عشر على ترتيب ذهابها مع الصوت من ابتداء الصدر إلى الشفتين كما ترى:

١ - حروف المد (أ، و، ي): تخرج من جوف الصدر وتنتهي إلى هواء الفم.

٢ - (ء، ه): مخرجهما من أقصى الخلق، غير أن الهمزة أدخل فيه.

٣ - (ع، ح): من وسط الخلق، والعينُ أدخل من أختها.

٤ - (غ، خ): من أدنى الخلق إلى الفم: والغينُ أدخل.

٥ - (ق): من بين أقصى اللسان وما فوقه من الحنك.

٦ - (ك): مما يلي مخرج القاف من اللسان والحنك.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

- ٧- (ج، ش، ي): من بين وسط اللسان وما فوقه من الحنك، غير أن الجيم أدخل، والياء آخر.
- ٨- (ض): من بين جانب اللسان من أقصاه إلى قرب رأسه وبين ما يقابل ذلك من الأضلاس العليا، فتستغرق أكثر حافة اللسان.
- ٩- (ل): من بين جانب اللسان حيث ينتهي مخرج الصاد إلى منتهى طرفه وبين ما يقابل ذلك من الحنك الأعلى فوق الأسنان، فالصاد واللام يتوزعان حافة اللسان.
- ١٠- (ر، ن): من بين طرف اللسان إلى رأسه وبين لثة الثنائيين العلوتين، غير أن الراء **أدخل** في ظهر اللسان قليلاً.
- ١١- (ط، د، ت): من بين طرف اللسان وبين أصول الثنائي العليا مصدعاً إلى الحنك، غير أن الطاء أدخل والباء آخر.
- ١٢- (ص، س، ز): من بين رأس اللسان والثنائي من غير أن يتصل بها الحرف، وإنما يحاذيها ويسامِّها، غير أن الصاد أدخل، والزاي آخر.
- ١٣- (ظ، ذ، ث): من بين طرف اللسان وأطراف الثنائي العليا، غير أن الظاء أدخل والباء آخر.
- ١٤- (ف): من بين الشفة السفلية، وأطراف الثنائي العليا.
- ١٥- (ب، م، و): من بين الشفتين منطبقتين للباء والميم، ومنفتحتين للواو، غير أن الباء أدخل والواو آخر.

المبحث الرابع:

عيوب المنطق العربي^(١)

هذا ذكر لبعض عيوب المنطق بأسمائها وهي :

- ١- التمتمة : ويقال لصاحبها : التمام ، وذلك إذا تمعن في التاء ، فإذا تردد في الفاء فتلوك :
- ٢- الفأفة : وصاحبها فأفاء.
- ٣- والعقلة : وهي التواء اللسان عند الكلام.
- ٤- والحبسة : تعذر النطق ولم يبلغ التكلم حد الفأفة ولا التمام ، ويقال : إنها تعرض في أول الكلام فإذا مر فيه انقطعت.
- ٥- والللف : إدخال بعض الكلام في بعض.
- ٦- والرته : إيصال بعض الكلام ببعض دون إفاده.
- ٧- والغمغمة : أن يسمع الصوت ، ولا يبين لك تقطيع الحروف ، ولا تفهم معناه.
- ٨- والطمطمة : أن يكون الكلام شبيهاً بكلام العجم؛ وقيل هي إيدال الطاء تاءً؛ لأنهما من مخرج واحد ، نحو : السُّلْطَانُ فِي (السلطان).
- ٩- واللکنة : وهي إدخال بعض حروف العجم في بعض حروف العرب ، ومنها قولهم : فلان يرتضخ لکنة فارسية.

١- مستفاد من تاريخ آداب العرب ١٦٣-١٦٢/١

وعدوا منها إبدال الهاء حاء، والعين همزة.

١٠ - والغنة: وهي أن يشرب الصوت الخشوم، ثم هي عيبٌ إذا جاءت في غير حروفها.

١١ - والخنة: ضرب منها.

١٢ - والترحيم: حذف بعض الكلمة لتعذر النطق به.

١٣ - اللثغة: قال بعضهم: (وتكون في أربعة حروف (ق، س، ر، ل) فالتي تعرض للقاف يجعلها طاءً، فيقول: طلت في (قلت) ومنهم من يبدلها كافاً. وأما السين فتبديل ثاءً.

والتي تعرض في الراء أربعة أحرف: منهم من جعلها غيناً، ومنهم عيناً، ومنهم ياء، ومنهم زاياً؛ فينطقون لفظ (عمرو) على أنواع اللثغة هكذا: (عمغ، وعمع، وعمي، وعمز).

وأما التي تعرض في اللام فإن من أهلها من يبدلها ياء، ومنهم من يجعلها كافاً وهي لغة قبيحة.

ولا حاجة لإيراد الأمثلة من ذلك جميعه؛ لأن المراد بيان نوع من أنواع الاختلاف الطبيعي في لهجاتهم، وذكر هذه الحروف التي تغير شيئاً من هيئة المنطق؛ حتى يكون ذلك تمام الفائدة لما مضى.

**الفصل الرابع: اللغة العربية:
فضلها، أثر الإسلام فيها، عوامل سيادتها
وتحته أربعة مباحث:**

المبحث الأول: لهجة قريش وعوامل سيادتها.

المبحث الثاني: نهوض الإسلام بالعربية.

المبحث الثالث: فضل اللغة العربية.

المبحث الرابع: أسرار النظام اللغوي.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الرابع:

اللغة العربية: فضلها، أثر الإسلام فيها، عوامل سيادتها

المبحث الأول:

لهجة قريش، وعوامل سيادتها

أولاً: سيادة لهجة قريش:

مر بنا عند الحديث عن اللهجات أن هناك لغة مشتركة كان العرب ينظمون بها شعرهم وخطابهم، وأنهم اصطلحوا على هذه اللهجة الفصحى.

وهذه اللهجة أو اللغة المشتركة يطلق عليها أحياناً لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم، ووصلنا بها الشعر الجاهلي.

ولقد كان لقريش الحظ الأوفر من هذه اللغة، مما حدا ببعض الباحثين إلى تسميتها بالقرشية.

بل لقد استقر في نفوس الأسلاف أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش، وأن قريشاً كانوا أفعى العرب، وأنهم مع ذلك كانوا يتخيرون من كلام الناس أحسنه وأصفاه.

قال أبو نصر الفارابي: «كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفضل من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبینها إبانة عند النطق»^(١).

١- المزهر للسيوطى ٢١١/١

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

وقال أحمد بن فارس بِحَمْلِ اللَّهِ : «أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولىبني هاشم بقزوين، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عباس الخشكي قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عبدالله قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواية لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم وحالاتهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً، وأصفاهم لغةً.

وذلك أن الله - جل ثناؤه - اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبيًّا الرحمة محمدًا بِحَمْلِ اللَّهِ فجعل قريشاً قُطان^(١) حرمهم، وجيران بيته الحرام، وولاته؛ فكانت وفود العرب من فجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم، وتحكم بينهم.

ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم، وتسميهم (أهل الله) لأنهم الصريح من إسماعيل - عليه السلام - لم تَشْبِهُمْ شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة، فضيلةً من الله - جل ثناؤه - لهم، وتشريفاً؛ إذ جعلهم رهط نبيه الأولين، وعترته الصالحين.

وكانت قريش - مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها - إذا أتتهم الوفود من العرب تخروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم؛ فاجتمع ما تخير من تلك اللغات إلى نحائزهم^(٢)، وسلامتهم التي طبعوا

١- قطان: جمع قاطن، وهو المقيم.

٢- النحائز: جمع نحزة، وهي الطبيعة.

عليها؛ فصاروا بذلك أفعى العرب.

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنونة قيم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد، وقيس مثل: ^(١)

تعلمون، ونعلم، ومثل: شِعير، وَبِعير» ^(١).

ثانياً: عوامل سيادة لهجة قريش

لقد تضافرت عوامل عديدة جعلت قريشاً تسود العرب زعامة، ومدنية، ولغة قبل الإسلام.

ولقد من شيء من ذلك فيما سبق، وفيما يلي إجمال لتلك العوامل:

١- المكانة الدينية لموقع قريش: فقريش تقطن مكة، والعرب يحجون البيت الحرام، ويعرفون لقريش بالنفوذ الديني.

٢- العامل الاقتصادي: فأسواق مكة، وشهرتها الاقتصادية، وقيامها بين الشام واليمن جعل لقريش مكانة عظيمة بين القبائل.

٣- العامل الثقافي: حيث كان التجار والشعراء والخطباء يرتدون أسواق مكة، ومنتدياتهم الثقافية والأدبية.

وما يدعم هذا العامل ما ذكره الرواة من أن العرب تعرض أشعارها على قريش؛ مما قبلوه كان مقبولاً، وما ردوه كان مردوداً، فقدم عليهم علقة بن عَبَدة التميمي فأنسدهم قصيده:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم
أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروف

١- الصاحبي ص ٢٨-٢٩.

فقالوا: هذه سمط الدهر أي : قلادته.

ثم عاد من العام المُقبل ، فأنشدُهم قصيده:

طحابك قلب في الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا: هاتان سماتا الدهر .

ويذلك على عنایتهم بأمر الفصاحة ما وصل إلينا من نتائج أفكارهم، وبدائع خطبهم وقصائدِهم في سوق عكاظ، وسوق مجنة؛ إذ يقدون عليهما في موسم الحج، ويقيمون في سوق عكاظ ثلاثة أيام، وفي مجنة سبعة أيام يتناشدون ما وضعوه من الشعر، ويتفاخرون بجودة صنعة الكلام.

وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته (النابغة الذبياني) ويعرضون عليه منتخبات أشعارهم^(١).

٤- العامل السياسي والجغرافي: حيث كانت مكة أبعد المناطق عن صراع الفرس والروم والأحباش؛ فعلى حين تَعرَضَ عرب الشام، والعراق واليمن وأطراف الجزيرة إلى الخطر دائمًا من عدوهم، وأنهم قد اختلطوا بالأعاجم مما أدخل في لغتهم الكثير - نجد أن أهل مكة يعيشون في استقلال، وحرية، وبعد عن الأخطار مما جعل العرب ينظرون إلى مكة وأهلها نظرة تقدير وإجلال.

٥- أيام العرب: وهي الحروب التي كانت تشنهما قبائل العرب بعضها على بعض ، أو تشنهما على الأجانب لأي سبب من الأسباب.

١- انظر حياة اللغة العربية ص ١٦ ، وفقه اللغة لـ: وفي ص ٩١-٩٣ ، وفي الأدب الجاهلي د. شوقي ضيف ص ١٣١-١٣٣ ، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

وكان دعامتهم في هذه الحروب الكلام البليغ الذي يلجم إلية قواهم، ورؤساؤهم، وساداتهم، وجنودهم؛ للتفاخر، وتعداد المآثر، واستفزاز الهمم، والتحت على الشجاعة.

وكان جميع ما يقال في هذه الحروب مؤلفاً بلغة قريش، وغنيّ عن البيان ما كان لذلك من أثر في نهضة هذه اللغة، وتجويدها، واتساع نطاقها.

٦- سعة لغة قريش وغزارتها: فلغة قريش كانت أوسع اللغات ثروة، وأغزرها مادة، وأبعدها عن اللهجات المعيبة - كما مر - .

٧- نزول القرآن بها: فالقرآن الكريم نزل بلغة عربية أكثرها لقريش، ولكنها معروفة للعرب جميماً.

فهذه العوامل مكنت لغة قريش، وجعلت لها السيادة والريادة.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

نهوض الإسلام بالعربية^(١)

لقد نهض الإسلام بالعربية أيماناً نهوض، حيث ارتفعت اللغة في صدر الإسلام إلى طورها الأعلى، ودخلت في دور يحق علينا أن نسميه عصر شبابها؛ فنمت عروقها، وأثرت غصونها بألوان مختلفة الأساليب.

ويتضح ذلك من خلال الحديث عن تأثير الإسلام في اللغة، والأسباب التي ارتفت بها اللغة، ومظاهر ذلك النهوض.

أولاً: تأثير الإسلام في اللغة: طلع الإسلام على العرب، وفي هدایته من المعاني ما لم يكونوا يعلمون، بل في هدایته ما لم تف اللغة يومئذ بالدلالة عليه؛ فعبر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة نماءً.

ومن الجلي أن القرآن الكريم والحديث النبوى قد سلكا في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ.

ثم إن فتح الممالك الكبيرة كبلاد فارس والروم زاد مجال اللغة بسطة؛ بما نقل إليها من المعاني العلمية أو المدنية؛ ففضل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها، وبراعة أساليبها، واتساع مذاهب بيانها، وكثرة الأغراض التي يتتسابق إليه فرسان الخطابة والكتابة.

وسيتبين ذلك في الفقرة التالية:

١- انظر الصاحبي ص ٤٤-٤٦، والقياس في اللغة العربية ص ٢٢، وفقه اللغة لـ: وافي ص ٩٣-١٠٠، ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

ثانياً: الأسباب التي ارتفت بها اللغة في صدر الإسلام:

هناك أسباب ارتفت بها اللغة في صدر الإسلام حتى بلغت أشدّها، وأخذت زخرفها، وتکاد ترجع إلى ثلاثة أمور - كما يقوله العلامة الشيخ محمد الخضر حسين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ^(١) وهي:

١- ما جاء به القرآن الحكيم من صور النظم البديع، والتصرف في لسان العرب على وجه يملأ العقول؛ فإنه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الأساليب المعتادة للفصحاء قاطبة، وإن لم يخرج عمما تقتضيه قوانين اللغة.

ولقد اتفق كبراؤهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به، وإن تفاضل الناس في الإحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق، وجودة القرىحة.

٢- ما تفجر في أقوال النبي ﷺ من ينابيع الفصاحة، وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والإبانة عن الغرض بدون تكلف.

٣- ما أفضله الإسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية، وبما نتج من تعارف الشعوب والقبائل، والتآم بعضها بعض - من الأفكار، ومطارحة الآراء.

ومعلوم أن اتساع العقول، وامتلاءها بالمعارف مما يرقى مداركها، ويزيد في تهذيب المعیتها؛ فتقذف بالمعاني المتكررة، وتبرزها في أساليب مستحدثة؛ فإن كثرة المعاني ودقتها تبعث على التفنن في العبارة، والتألق في سياقها.

١- انظر حياة اللغة العربية ص ١٨-١٩.

وهذا ما سيتضح في الفقرة التالية.

ثالثاً: مظاهر نهوض الإسلام بالعربية:

لقد كان لنزول القرآن الكريم بالعربية تأثير كبير في نهضة هذه اللغة ، وقد مر إشارة إلى هذا ، ومن مظاهر ذلك زيادة على ما مضى :

١- سمو الأغراض ، وتهذب الألفاظ: فبعد أن كان أهلها قانعين بتصوير حياتهم الساذجة ، ووصف ما يدور حولهم من حروب ، وصحابي ، ووحوش ، وما يدور في رحلة الصيد ، وما يكون من التشتب أو المديح أو الهجاء - نجد أن العربية قد اختلف حالها بعد الإسلام ، كما اختلف أصحابها؛ حيث تحددت أهدافهم ، وسمت ألفاظهم؛ فكان من أول آثار الإسلام أن انصرف الشعرا وغيرهم عن المعاني الجاهلية ، وأغراض الشعر المستهجنة كالغزل ، والهجاء ، وتركوا الألفاظ البذيئة والتعبيرات التي تدل على الجاهلية وحياتها؛ فانصرفوا يعبرون عن الدين الجديد ، والحياة الجديدة.

٢- أن كثيراً من الألفاظ اكتسب دلالة خاصة: فبعد الإسلام أصبح لكثير من الألفاظ معانٍ شرعية خاصة ، كالصلوة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، وكالفاظ المؤمن ، والمسلم ، والكافر ، والفاشق ، والمنافق.

٣- ظهور كثير من الألفاظ الإدارية والسياسية: فمع استقرار المسلمين ، ومعرفة الحياة المنظمة عرفوا ألفاظاً تدل على الحياة الإدارية والسياسية كالخلافة ، والولاية ، والوزارة ، والحجابة ، والقضاء ، والحساب ، ونحوها.

٤- أن اللغة العربية تهيأت لاستيعاب كافة العلوم: حتى وصلت العلوم إلى

درجة عالية من حيث الكمية والمحتوى.

يقول العلامة الشيخ محمد بن الطاهر عاشور بَرَحْمَةِ اللَّهِ: «وما تقدم إلى هنا: تعلم أن العلوم التي كانت تدرس وتدون يومئذ تنتهي إلى اثنين وثلاثين علمًا هي: التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العروض، الفقه، أصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحريك، وتتبعها علوم تتفرع عن بعضها مثل مصطلح الحديث، والجدل، وآداب البحث، ونقد الشعر»^(١).

٥- دخول كثير من المصطلحات العلمية: التي منها ما هو عربي في الأصل ولكنه استخدم في دلالات وأصطلاحات علمية، بل إن اللفظ الواحد قد يكون له أكثر من اصطلاح، والمعنى الواحد قد يكون له أكثر من لفظ يصطلاح عليه. ففي النحو - على سبيل المثال -: الفاعل، والمفعول، والعامل، والإلغاء، والتعليق، والمضاف، والمضاف إليه، والمرفوع، والمنصوب، وال مجرور. وفي الحديث الشريف: السندي، والمتنا، والعلة، والمرفوع، والمرسل، والقطع، والمأثور، والمتواتر، وغيرها من المصطلحات الكثيرة.

وفي الفقه وأصوله: الواجب، والمستحب، والمحرم، والمكرور، والماح. وفي البلاغة: البديع، والبيان، والمعاني، والطباق والجناس، والتشبيه،

١- أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص ٣٩

والجائز، والمسند والمسند إليه.

٦- كما دخلت كثير من المصطلحات الوافدة في الطب ، والفلك ، والفلسفة
-كما مر - .

وهكذا خطا الإسلام بالعربية خطوات كبيرة، خصوصاً في أيام عز الإسلام الأولى ، التي كان الناس فيها يتمنون بالعربية - أي يطلبون المروءة بتعلمها - .
وبعد أن كانت لغة محصورة في مكان محدد عمت الرقعة الإسلامية كلها ، وأثبتت - باستيعابها لكتاب الله أولاً ، ثم بتقبلها لكل العلوم العربية وغير العربية ثانياً - أنها لغة حية ، قادرة على مسايرة الحياة ، وليس لها عقيمة جافة كما يدعى من يجهل العربية ، ولم يعرف تاريخها.

كلام جميل لابن فارس في نهوض الإسلام بالعربية :

أورد ابن فارس في كتابه الصاحبي^(١) باباً سماه (باب الأسباب الإسلامية) وما قال فيه : « كانت العربية في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وأدابهم ونسائكم وقرابينهم .

فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالإسلام حلت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشروط شرطت .

فعُفِي الآخر الأول ، وشُغل القوم - بعد المغادرات والتجارات ، وتطلب الأرباح والكدح للمعاش ، في حالة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

والمعاقرة والميسرة - بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حكميد، وبالتفقه في دين الله - عز وجل - وحفظ سنن رسول الله ﷺ مع اجتهدهم في مجاهدة أعداء الإسلام.

فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغواصات أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة، وتأويل الوحي بما دون وحفظ حتى الآن.

فصاروا - بعد ما ذكرناه - إلى أن يُسأل إمام من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فيفتي ويحسب بثلاث كلمات».

ثم أورد قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين سُئل عن ابنتين وأبوبن وامرأة: «صار ثمنها تسعًا» فسميت (المنبرية).

إلى أن قال ابن فارس: «وإلى أن يتكلم هو - يعني علي بن أبي طالب - وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرض وحده، كالمشتركة، ومسألة المبالغة والغراء، وأم الفروخ، وأم الأرامل، ومسألة الامتحان، ومسألة ابن مسعود، والأكدرية، وختصرة زيد، والخرقاء، وغيرهما مما هو أغمض وأدق». فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه عما ألغوه، ونشأوا عليه، وغذوا به - إلى مثل هذا الذي ذكرناه.

وكل ذلك دليل على حق الإيمان، وصحة نبوة نبينا محمد ﷺ.

فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق.

ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء.

وكل ذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستار، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع. ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: (فَسَقَتِ الرُّطْبة) إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله - جل ثناؤه -. وما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء.

وقد كانوا عرفا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة، فقالوا: **أَوْ دُرْةٌ صَدَفَيَةٌ غَوَّاصُهَا بَهْجٌ مَتَى يَهْلَلُ وَيَسْجُدُ** وقال الأعشى:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طُورًا سَجُودًا وَطُورًا جُؤَارًا
والذي عرفوه منه - أيضاً - ما أخبرنا به علي عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال: قال أبو عمرو: **أَسْجَدَ الرَّجُلُ**: طأطا وانحنى، قال حميد بن ثور:
فَضُولٌ أَزْمَّتْهَا سَجُودٌ النَّصَارَى لِأَرْيَابِهَا وأنشد:

فقلن له: **أَسْجِدْ لِلَّيْلِي فَأَسْجَدا**
يعني البعير إذا طأطا رأسه؛ لتركبه.

وهذا وإن كان كذا فإن العرب لم تعرفه يمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد،

والمواقيت، والتحريم للصلوة، والتحليل منها.

وكذلك الصيام أصله عندهم الإمساك، ويقول شاعرهم:

خيلٌ صيام وأخرى غير صائمة
تحت العجاج وخيل تعلك اللجمَا
ثم زادت الشريعة النية، وحضرت الأكل والبashaة، وغير ذلك من شرائع
الصوم.

وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير القصد، وسبّ الجراح، من ذلك قولهم:
وأشهدُ من عوفٍ حلولاً كثيرة
يَحْجُون سِبَّ الزّيْرَقَانِ الْمَزَعْفَرا
ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره.

وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده
فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره.

وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة، والجهاد، وسائل أبواب الفقه.
فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: في الصلاة اسمان لغوي
وشرعى، ويدرك ما كانت العرب تعرفه، ثم ما جاء الإسلام به.
وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو، والصرف، والشعر، كل
ذلك له اسمان لغوي، وصناعي».

المبحث الثالث:

فضل اللغة العربية^(١)

للغة العربية فضلٌ وامتياز عن غيرها من اللغات، وذلك من جهات عديدة وقد مر شيء من ذلك، وسيأتي - أيضاً - في فقرات أخرى من هذا الكتاب.

وفيما يلي ذكر لبعض فضائلها على سبيل الإيجاز:

١- للغة العربية فضل من جهة اعتدال كلماتها: فإننا نجد أن أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف، وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف.

وليس في اللغة كلمة ذات ستة أحرف أصلية، وقد جاءت ألفاظ قليلة على حرف واحد أو حرفين.

٢- لها فضل من جهة فصاحة مفرداتها: فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان، أو ينبو عنه السمع.

وللعارف بحسن صياغة الكلام أن يصنع من مفرداتها المأنسنة الوضاءة قطعاً، أو خطباً تسترق الأسماع، وتسحر الألباب.

٣- أنها أقرب سائر لغات الدنيا إلى قواعد المنطق: حيث إن عباراتها سلسلة طبيعية، يهون على الناطق صافي الفكر أن يعبر فيها بما يريد دون تصنع أو تكلف.

١- انظر القياس في اللغة العربية ص ٤٣-٤٦، وحياة اللغة العربية ص ٥٩-٥٨.

رابعاً: اللهجة الخاصة: إلى جانب اللهجة التي سبق الحديث عنها، وعن أسباب حدوثها هناك ما يسمى باللهجة أو اللغة الخاصة، وهي تلك التي تستعملها طوائف وجماعات خاصة؛ ففي سلك القضاء أو الطب، أو أعمال الحدادة، أو النجارة، أو بين اللصوص وقطاع الطرق - تجد ألفاظاً وأصطلاحات لا تستخدم إلا عندهم، وتمتاز هذه اللغات باستخدام التعبيرات الاستعارية، واستعمال الألفاظ في غير مدلولاتها الحقيقة.

وقد تنشأ هذه اللهجات نتيجة شعور أصحابها بالعزلة أو معاداتهم للنظام، أو رغبة في التمويه، أو تمييز أنفسهم.

خامساً: اللغة المشتركة: ويقصد باللغة المشتركة مجموعة الصفات اللغوية التي تجمع بين لهجات اللغة الواحدة، وتجعل الأفراد المتكلمين بهذه اللهجات يتفاهمون مع بعضهم بسهولة، فهي لغة وسيطة تقوم بين المتكلمين بلهجات مختلفة.

وتتميز اللغة المشتركة - إضافة إلى أنها مفهومة لدى جميع المتكلمين بها أو سامعيها - أنها فوق مستوى العامة، وأنها لا تنتمي إلى بيئة واحدة، وإنما هي مزيج بين اللغات أو اللهجات المختلفة.

سادساً: لماذا ندرس اللهجات؟: اللهجة ظاهرة لغوية موجودة في كل بيئة وفي كل عصر، ودراسة اللهجة ليس دعوة إلى نصرة اللهجات والعاميات، ولكنَّ دراسة اللهجات العربية لها مسوغات، وينتج عنها فوائد منها:

- ١- أنها تفيد في تفسير بعض قضايا العربية ومفرداتها ودلالاتها؛ فظواهر

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

٤- تعدد أساليبها: فهذا مما يشهد بارتقاء اللغة، وسعة غايتها في البيان؛ فإن العبارات إذا اختلفت أساليبها تغاير ما تصوّره في نفوس المخاطبين من المعاني، وإن كان الغرض واحداً؛ فصورة المعنى الذي يستفاد بطريق المجاز أو الكنية يغاير الصورة التي تؤدي بلفظ الحقيقة أو القول الصريح.

بل الصورة التي يرسمها قوله: (زيد كريم الطبع) غير الصورة التي ينقشها قوله: (زيد ذو طبع كريم) وإن اتحد أصل المراد من المثالين وهو إثبات الكرم لطبع زيد.

ولولا أن العبارات الواردة على غرض واحد مختلفة في صور معانيها لم يظهر التفاوت والتسابق بينها في حلبة البيان.

وإذا قويت عارضة المتكلم في العربية أمكنه أن يتصرف في الغرض الواحد، ويُفرغُه في أساليب مختلفة.

٥- طرق اختصارها: فتجد أن في كثير من ألفاظها القصيرة غنى وكفاية في الدلالة على المراد.

٦- ارتقاؤها مع المدنية: وقد مر شيء من ذلك عند الحديث عن نهوض الإسلام بالعربية، وسيأتي مزيد بيان لذلك.

قصيدتان في فضل العربية:

هاتان قصيدتان رأعتان في فضل العربية جادت بهما قريحة العلامة الأديب

اللغوي الشيخ محمد الخضر حسين بِحَمْدِ اللَّهِ.

وهما يعبران عن كثير مما نحن بصدده، ويغنيان عن كثير من الكلام في هذا الباب، وهما موجودتان في ديوان الشيخ (خواطر الحياة).

القصيدة الأولى: فضل اللغة العربية: وقد ألقيت في حفلة افتتاح الدورة السادسة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة^(١).

شبيهان: الهلال إذا تهادى^(٢)
 بنات الفِكر آبدة^(٤) ولو لا
 رَعَى الله الأديب يرُومُ معنى
 أَبْجَلُه ولو لم يأْوِ ظلاً
 فهاتِ السيف يخترُّ في مَضَاء^(٦)
 وينزَعُ بي إلى الآداب وجد^(٨)
 وفِكْرٌ بات يرتاد السَّداد^(٣)
 عنانُ القول لم تُسلِسْ^(٥) قيادا
 فَيُسَعِّدُهُ البِيَانُ بما أَرَادَ
 بَنَى العِيشُ الأَنْيَقُ به وشادا
 وَخَلَّ الغِمْدَ عندك والنِّجَادَا^(٧)
 إذا قلت اشتَفْتَى^(٩) بالوصل زادا

١- خواطر الحياة ص ٨٢-٨٧.

٢- تهادى: مشى مشياً غير قوي، متمايلاً.

٣- السداد: الرشاد، والاستقامة.

٤- آبدة: الأمر العظيم الذي تنفر منه وتستوحش، جمع أوابد وأبد.

٥- سلس: كان منقاداًليناً.

٦- مضاء: مصدر، يقال: مضى السيف مضاء أي: قطع.

٧- النجاد: حمائل السيف.

٨- الوجد: المحبة.

٩- اشتَفْتَى: نال الشفاء.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

فأنسى مَعْبَدًا^(١) وَعُرَيْبَ^(٢) دَهْرًا
 وأسلو الرَّوْضَ وَالْوَرْقَاءِ تَشْدُو
 وَلَا أَسْلُو الطُّرُوسَ تَدُورُ فِيهَا
 وَلَمْ أَنْضُ^(٦) الْقَرِيقَةَ فِي نَسِيبٍ
 فَمَا أَهْوَى سَوْيَ لِغَةٍ سَقَاهَا
 أَدَارُوا مِنْ سَلَاسِتِهَا رَحِيقًا
 وَطَوَّقُهَا كِتَابُ اللَّهِ مَجْدًا

وَلَا أَنْسَى الْبَدِيعَ^(٣) دَهْرًا
 بِهِ وَالْغَيْثِ حَاكَ لَهُ بِجَادًا^(٥)
 رَحْيَ الْبَحْثِ ابْتِكَارًا وَانْتِقادًا
 وَلَا عَذْلًا شَكُوتُ وَلَا بُعْدًا
 قُرْيَشُ^(٧) مِنْ بَرَاعَتِهِمْ شَهَادَا^(٨)
 وَهَزَّوَا مِنْ جَزَالِهَا صِعَادًا^(٩)
 وَزَادَ سَنًا بَلَاغَتِهَا مَجْدًا

- ١- معبد: معبد بن وهب، من اشتهر بالغناء أيام العصر الأموي، نشأ في المدينة، ورحل إلى الشام واتصل بأمرائها.
- ٢- عريب: عريب المأمونية، شاعرة ومحنة وأديبة، ولدت ببغداد، ونشأت في قصور الخلفاء العباسيين، وقربها الخليفة المأمون حتى نسبت إليه، وتوفيت بسامراء.
- ٣- البديع: بديع الزمان أحمد بن الحسين بن بحبي الهمذاني، أحد أئمة الأدب والشعر، ولد في همدان وتوفي في هراة مسموماً، اشتهر بمقاماته، وله ديوان شعر ورسائل مطبوعة.
- ٤- العماد: عماد الدين الأصفهاني الكاتب، مؤرخ وكاتب كبير، ولد في أصفهان وعاش وتوفي بدمشق، له مؤلفات مطبوعة.
- ٥- بجاداً: البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب يستملون به، جمّعه بجد.
- ٦- أنض: أهزل وأخلق وأبلى.
- ٧- شهادا: الشهاد: جمع شهد، وهو العسل ما دام لم يعصر شمعه.
- ٨- صعادا: الصعاد: واحدها الصعدة وهي القناة المستوية.

تصيُدُ بِسْحَرِ منطقها قلوبًا
قَنَتْ^(٢) حَكْمًا روائِعَ لَوْ أَعَارَتْ
سرتْ كالمزن يحيي كل أرض
وما لِللهجَةِ الفصحي فخار
وراءَ حِلِي الفصاحةِ غَيْرَ عَرَبِ
تخوضُ بيانها الفيَاضَ^(٥) طلقًا
وكم ضاهى ابنُ فارس وهو يُوري
أَتَاهَا العِلْمَ يَرْسُفُ^(٧) في كَسَادٍ
فَأَلْفَى مِنْ معاجِمِها عُبَابًا^(٨)
فَأَوْدَعَهَا نَفَائِسَهُ وأَضْحَى

تُحَاذِرْ كالمجاذِر^(١) أَنْ تصادا
سَنَاهَا النَّارَ لَمْ تلد الرَّمَادَا
وَيُبَهِّجَهَا وَهَادِأَ أو نِجَادَا^(٣)
إِذَا لَمْ تَمَلأِ الدُّنْيَا رَشادَا
فَحَثُّوا مِنْ قِرَائِحِهِمْ جِيادَا^(٤)
وَكَانَتْ قَبْلَهُ تَرْدُ الثَّمَادَا^(٦)
زَنَادَ الشِّعْرَ وَائِلَّ أَوْ إِيَادَا
وَخَطَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَلْقَى كَسَادَا
غَزِيرَ النَّبَعَ لَا يَخْشَى نَفَادَا
شِعَارَ الْعِلْمِ إِعْرَابًا وَضَادَا^(٩)

١- المجاذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، وتشبه به الحسان؛ بحمل عينه.

٢- قنت: جمعت، وكسبت.

٣- الوهاد: جمع الوهد: الأرض المنخفضة، والنجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض.

٤- جيادا: الجياد: جمع جواد وهو الفرس.

٥- الفيَاض: للمبالغة في الكثرة.

٦- ثمادا: الثماد: الماء القليل لا مادة له.

٧- يرسف: يمشي مشي المقيد.

٨- عباباً: العباب: معظم السبيل وارتفاعه وكثنته.

٩- خص الشاعر الإعراب والضاد؛ لأن الإعراب هو ميزة اللسان العربي في المركبات، والضاد: ميزة اللسان العربي في المفردات.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقة اللغة

عَذِيرِي مِنْ زَمَانٍ ظَلَّ يُجْنِي
 حَثَا فِي رَوْضَهَا الزَّاهِي قَتَاماً^(١)
 وَأَبْتَأَ بَيْنَ أَزْهَرِهَا قَتَاداً^(٢)
 لَرَدَّ بِيَاضَ غُرْتَهَا سَوَادَا
 فَلَمْ تَرَ فِي سَوَى مِصْرٍ مَرَادَا^(٣)
 إِلَيْهِمْ خَيْرٌ مَا يَعْنُونَ زَادَا
 وَيَبْنِي طَارِفاً يَحْكِي التَّلَادَا^(٤)
 إِلَى الْفَصْحَى فَكَانَ لَهَا مَعَادَا
 فَهَنَّا نَا الْبَرَاعَةَ وَالْمِدَادَا
 عَلَيَا حِينَ يَخْطُبُ أَوْ زِيَادَا^(٥)
 مِنَ الْإِصْلَاحِ يَتَنَظِّمُ الْبَلَادَا
 يَقِيمُ لَهَا بِحَكْمَتِهِ سِدَادَا
 بَهَا وَأَضْنَاعُهَا قَوْمٌ عِنَادَا
 عَلَى الْفَصْحَى لِيُرْهِقَهَا فَسَادَا

-
- ١- حثا: رمى، قتاما: القتام: الغبار الأسود.
 - ٢- قتادا: القتاد: حجر صلب له شوك كالإبل.
 - ٣- مرادا: المراد: مكان رiad الإبل أي: اختلافها في المرعى مقبلة مدبرة.
 - ٤- التلاد: المال القديم، طارفاً: الطارف: المال الحديث المستحدث.
 - ٥- علياً: علي بن أبي طالب زيداً: زياد بن أبيه، أمير من الدهاء والقيادة الفاتحين، ولد في الطائف، وولاه معاوية البصرة، والковفة، وسائر العراق حتى توفي.

ثَرَاءِ الرَّيْغُ يَنْفَضُ مِذْرَوَيْهِ^(١)
وَمَنْ يَصْنُ الْهَدِي مُلْتَ يَدَاهُ
نَجَاحًا كَلْمَا اسْتُورِي زِنَادَا
وَيَسْحَ عن لَوَاحِظِهِ رُقَادَا
القصيدة الثانية: افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي: وهي قصيدة ألقاها
الشيخ بِحَمْدِ اللَّهِ في افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة في ٢٦ يناير كانون الثاني
١٩٤١ م^(٢).

نَهَضَ القَطَار فَأَوْمَأْوا بِسْلَامٍ
بَانُوا فَمَا بَالِي فَقَدْتُ حُشَاشْتِي^(٤)
عَجَباً لِرُوحٍ فَارَقَتْ جَسَدَ امْرَئٍ
طَوْتِ النَّوْى عَهْدَأَ يَطُوفُ سُقَاتَهُ
رُضْتُ^(٥) الْقَرِيبُنَ لِعَلَّنِي أَسْلُو بِهِ
فَصَحُوتُ^(٦) مِنْ شَجَنٍ إِلَى شَغَفٍ بِهَا^(٧)
وَجَرِي بَهْمَ طَلَقاً بِغَيرِ زَمَام^(٣)
أَمْضَى بَهَا فِي الرَّكَب فَرَطُ هَيَامٍ
يَقْظَانَ لَمْ يُرْشِقْ بَسْهَمِ حِمَامٍ
بِكُؤُوسِ أُسْسٍ لَا كُؤُوسِ مُدَامٍ
ذِكْرَاهُمُ وَأَغِيبُ عَنْ آلامِي
فِي نُطْقِ يَعْرُبَ مِنْ سَنَى وَوَسَامٍ

١ - مذرويه: المذروان: طرفا الإلتين واحدهما مذري، ويقال: جاء ينفض مذرويه، أي: باغيًا ومهددا.

٢ - انظر ديوان خواطر الحياة ص ٢١٩-٢٢٢.

٣ - طلقاً: يقال طلق طلقاً: تباعد، والزمام: المقود.

٤ - حشاشة: الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح، وقيل رقم من حياة النفس.

٥ - رضت: يقال: راض المهر، أي: ذلله

٦ - شجن: الشجن الهم والحزن، شغف: الشغف: أقصى الحب.

٧ - سنى: السنى: الضوء، ووسام: الوسام: الحسن.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

فيحاء بين الأسد والآرام^(١)
وسعٌ حضارة فارسٍ والشام
قد لَّثَمُوا إبريقها بفَدَام^(٤)
صَوْغ ابن بُرْدٍ أو أبي قَامِ
أن يُؤسِروا بقصَبَاتٍ وغَرَامِ
مُتَجَافِيًّا عن مُطْرِبِ الأنغامِ
مِعْطَارَةٌ من زَهْرَها البَسَامِ
تلحينُ زَرِيابٍ^(٦) وسَجْعُ حَمَامِ
أهُوتْ بِرَاحِتهِ إِلَى الصَّمْصَامِ
لَمْ تُبْلِ قَبْلُ بُوصْمَةِ الإِفْحَامِ
شَهْبُ السَّمَاءِ تَشَقُّ بَحْرُ ظَلَامِ
بَيْنِ السَّيُوفِ الْغُرُّ وَالْأَقْلَامِ
وَالْمُلْكُ يَعْلُو بِامْتِشَاقِ حُسَامِ

هي لهجة شَبَّتْ بِأَرْضِ بَدَوِيَّةٍ
لَكُنُوها وَسَعَتْ عِلْمَ أَرْسَطَ^(٢) بِلِ
اللَّفْظُ أَصْفَى مِنْ حَبَابِ سُلَافَةٍ^(٣)
لَوْ أَنْ خَوْدَأً^(٥) تَسْتَعِيرُ الْخَلَيَّ مِنْ
أَسْرَتَ أَسْوَادًا قَدْ تَحَامَوْا قَبْلَهَا
وَلَرْبَّ مُتَعَدِّلٍ يُصَاعِرُ خَدَّهُ
حَيَّتِهِ رُوْضَاتُ الْبَيَانِ بِبَاقِيَّةِ
فَصَبَا إِلَى الْأَدَابِ مَنْ لَمْ يُصْنِفْهُ
أَذْكَى خَطِيبُ الْجَيْشِ فِيهِ حَمَاسَةً
نَطَقَ الْكِتَابُ بِهَا فَأَفْحَمَ أَلْسِنَاً
وَتَأَلَّقَتْ حُكْمُ النَّبِيِّ كَأَنَّهَا
سَادَ الْهُوَى وَسَمَّا لِوَاءَ الْمُلْكِ مَا
الْدِينُ يَعْلُو بِإِنْتِضَاءِ يِرَاعَةٍ^(٧)

١- الآرام: جمع الرئم: الظبي الخالص البياض.

٢- أرسطو: الفيلسوف المشهور.

٣- سلافة: السلافة: الخمر.

٤- فدام: الفدام: المصفاة تجعل على فم الإبريق؛ ليصفى بها ما فيه.

٥- خودأ: الخود: الحسنة الخلق.

٦- زرياب: علي بن نافع، مولى المهدى العباسى، كان حسن الصوت، توفي بقرطبة.

٧- يراعة: اليراعة: القصبة، ويريد بها القلم.

بعدَ لِيُومٍ نَامَ فِيهِ حُمَاثَهَا بِرَغَامٍ^(١)
 مُنِيتْ بِلْحَنِ وَاللِسَانُ مُلْحَنٌ
 لَوْ جَسَّ جَالِينُوسُ^(٢) مَنْبَضَ قَلْبِهَا
 أَلْفَى دُبُولَ الظَّامِنَاتِ وَأَحْرَافًا
 مِنْ ذَا يَغَارُ عَلَى بِيَانِ الْعَرْبِ مِنْ
 يَا مَجْمَعًا نِيَطَتْ بِهِ هَمْمٌ ثُبَا
 هَذِي شُعُوبُ الشَّرْقِ تَنْتَظِرُ وَهِيَ فِي
 تَرْثُنُو إِلَيْكَ بِمُقْلَةٍ نَقَادِيَةٍ
 فَلَنْقُضِي لِلْفَصْحِي لُبَانَةَ^(٥) دُوْحَةٍ
 وَلُنْسُقِ ظَامِنَهَا عَصِيرَ دِرَايَةٍ
 مَا أَشْبَهَ الْآمَالَ يَوْمَ يَخُونُهَا
 يَحْلُو النَّضَالُ وَلَا نَضَالَ أَذْلُّ مِنْ خَصَامٍ

أَوْطَانَهَا الْقُصُوْيِّ بِعَيْنِ حَذَامٍ^(٤)
 عَرَفَتْ وَجْهَ النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ
 قَدَّفَ الْهَجِيرُ غَصُونَهَا بِضِرَامِ
 إِذْ كَانَ لَا يُسْقَى عَصِيرَ غَمَامِ
 عَزْمٌ بِأَضْغَاثٍ مِنْ الْأَحْلَامِ
 تَتَقادِ آرَاءٌ بَغِيرِ خَصَامٍ

١ - برغام: الرغام: التراب.

٢ - جالينوس: طبيب يونيسي.

٣ - قتام: القتام: الغبار الأسود.

٤ - حدام: حدام بنت الريان، جاهلية ميانية، يضرب بها المثل في صدق الخبر، وينسب لزوجها

قوله:

إذا قالت حدام فصدقواها فإن القول ما قالت حدام

٥ - اللبانة: الحاجة.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

هي كالسحائب هذه وطفاء^(١) إن سَنَحْتْ وَتَلَكَ تُرُّ مِنْ جَهَامٍ^(٢)
 والرأي يخلص بالنقاش الحرّ من صَدِّ الْخُمُولِ وَلُبْسَةِ الإبهامِ
 وجَاذِرُ الأفكار لا تَرُدُّ الحِمَى ما لم تُسَسْ بِرَوْيَةٍ وَنَظَامٍ

١ - وطفاء: السحابة الوطفاء: المستrixية لكثرة مائتها.

٢ - جهان: الجهان: السحاب لا ماء فيه.

المبحث الرابع:

أسرار النظام اللغوي^(١)

نظام العربية اللغوي أسرار لطيفة، بدعة، تشبه النظام النفيس من حيث تعلقه بالحكمة التي تضبط عواطف النفس وخطراتها - كما يقول الرافعي رحمه الله. وليس المقصود من النظام في هذه الفقرة الأحكام الظاهرة كالإعراب، والتصريف، والقواعد اللسانية، وإنما هو أمر آخر سيتضح بعد قليل.. وقد رأى الرافعي أن ذلك النظام في اللغة على ثلاثة أضرب:

١- نظام الألفاظ المعاني.

٢- نظام المعاني بالألفاظ.

٣- النظام المطلق، وهو نظام القرينة، أو الحس النفسي.

ويرى رحمه الله : «أن ابن جني أول من ناهض هذا البحث إتقاناً، وتخلى بأمره افتاناً، وإنما كان العلماء قبله يسترّون إلى أشياء منه عند الضرورة، ويتعلّلون به؛ وأكثرهم لزوماً لذلك شيخه أبو علي الفارسي» ^(٢).

واليك شيئاً من الإيضاح من ذلك النظام البديع:
أولاً: نظام الألفاظ المعاني: المراد به مقاربة الصيغ اللفظية للمعاني الموضوقة لها.

١- انظر تفاصيل ذلك في المزهر ٣٣٠/١ - ٣٤٢، وتاريخ آداب العرب ٢٢٢/١ - ٢٣٣.

٢- تاريخ آداب العرب ٢٢٢/١ - ٢٢٣.

أو ما يسميه ابن جني (تصاقب^(١) الألفاظ لتصاقب المعاني). حيث أورد باباً في الخصائص تحت هذا المسمى، وقال تحته: «هذا غورٌ من العربية لا يتصف منه، ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلاً مسهواً عنه»^(٢).

كما أنه أورد أبواباً قريبة من هذا، وسيرد ذكر لبعضها.

ومما حاول إثباته في كتابه مما يتعلق بغرضنا ستة أمور:

١- أن العرب كانت تقارب حروف الألفاظ حتى تقارب معانيها: قال ابن جني: «ومن ذلك قول الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُؤْزُّهُمْ أَزْأَرًا﴾.

أي: تزعجهم وتقلقهم؛ فهذا من معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء.

وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك.

ومنه العسف والأسف: والعين أخت الهمزة^(٣)، كما أن الأسف يعسر النفس، وينال منها.

١- تصاقب: تقارب.

٢- الخصائص ٤٩٩/١.

٣- يعني في المخرج فالعين والهمزة حرفان حلقيان.

والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسفة؛ فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين»^(١).

٢- أن هذه المقاربة بين الحروف تقع فيها المراءاة حتى في الحروف البعيدة التي لا تتشابه إلا بالتأويل: قال ابن جنی مثلاً لذلك: «ومثله تركيب (ع ل م) في العلامة والعلم.

وقالوا مع ذلك: بيضة عرماء، وقطع أعمرم إذا كان فيهما سواد وبياض، وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه؛ فكان كل واحد منهما علماً لصاحبها»^(٢).

٣- أن المقاربة قد تكون في الأصل الواحد بالحروفين: وقد مثل له ابن جنی بقوله: «وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحروفين، نحو قولهم: السحيل، والصهيل...»

وذاك من (س ح ل) وهذا من (ص ه ل) والصاد أخت السين كما أن الهاء أخت الحاء.

ونحو منه قولهم: (سحل) في الصوت، و(زحر) والسين أخت الزاي كما أن اللام أخت الراء»^(٣).

٤- قد تكون المقاربة بالأصول الثلاثية في الفعل (الفاء والعين واللام):

١- الخصائص ٤٩٩/١.

٢- الخصائص ٥٠٠/١.

٣- الخصائص ٥٠٢/١.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

«قالوا: عصر الشيء، وقالوا: أزَّله إذا حبسه، والعصر نوع من الحبس، وذاك من (ع ص ر) وهذا من (أَزل) والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام»^(١).

ومعنى قوله أخت كذا وكذا: أي في المخارج فالصاد والزاي - على سبيل المثال - من أحرف الصغير، وهكذا...

٥- أن العرب يصورون اللفظ على هيئة المعنى: وهذا ما عبر عنه ابن جنی في الخصائص في باب سماء: (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني). وقال تحته: «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبویه، وتلقته الجماعة بالقبول.

قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجنُّد استطالة ومدّ قالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازی تقطیعاً فقالوا: صرصر.

وقال سيبویه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النَّقْزان، والغلیان، والغثيان؛ فقابلوا بتالي حركات المثال توالی حركات الأفعال.

وووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سُمِّت ما حدّاه، ومنهاج ما مثلاه^(٢).

وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضّعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة،

١- الخصائص ١/٥٠٢.

٢- يعني الخليل وسيبویه.

والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجة، والقرقرة.
ووُجِدَتْ - أيضًا - (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو:
البشكى والجمزى والولقى»^(١).

٦- مقابلة الألفاظ بما يشاكِلُ أصواتها من الأحداث: وهذا من نظام الألفاظ
بالمعاني عند العرب، قال عنه ابن جنِي: «باب عظيم واسع، ونهج مُتَلِّبٌ عند
عارفِيهِ مأمورٌ.

وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعبرَ
عنها؛ فيعدلونها بها، ويختذلونها عليها، وذلك أكثر مما نقدرُه، وأضعف ما
نستشعره.

ومن ذلك قولهم: خضم وقضم: فالخضم لأكل الرَّطب كالبطيخ والثاء وما
كان نحوهما من المأكول الْرَّطب.

والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك.

وفي الخبر: «قد يدرك الخضم بالقضم».

أي: قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف.

وعليه قول أبي الدرداء: «يُخضِّمون ونَقْضُمُونَ، وَالموَعِدُ اللَّهُ».

فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والكاف لصلابتها للثاء؛ حذوا لسمواع
الأصوات على محسوس الأحداث.

ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضح أقوى، قال الله سبحانه:

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّا خَتَانٌ﴾.

يجعلوا الحاء؛ لرقتها للماء الضعيف، والخاء؛ لغلوظها لما هو أقوى منه»^(١).

ثانياً: نظام المعاني بالألفاظ:

قال الرافعي رحمه الله : عن هذا النظام: «والألفاظ في هذا النوع هي التي تسوس المعاني وتنزلها منازلها ، وتضعها على أقدارها ، لا من حيث إن اللفظ هو الذي يوجد المعنى ، فذلك ظاهر الاستحالة ، ولكن على أنه هو الذي يخصص المعنى إذا كان جنساً ، وهو الذي يؤكّد مبالغة في تلوين صورته النفسية حتى تنطق أجزاؤه ، وحتى يقوم كل جزء منها في البيان اللغوي مقام الكل الذي هو مادة الشعور الطبيعي»^(٢).

وقال رحمه الله : «والعربية تعتبر أحكم اللغات نظاماً في أوضاع المعاني وسياستها بالألفاظ ، وهي من هذا القبيل أعظمها ثروة ، وأبلغها من حقيقة التمدن بحيث لا تدانيها في ذلك لغة أخرى كائنة ما كانت؛ فالعرب لم يدعوا معنى من المعاني الطبيعية التي تتعلق بالحياة الروحية أو البدنية مما تهيأ لهم إلا رتبوا أجزاءه ، وآبأنوا عن صفاته بألفاظ متباعدة تعين تلك الأجزاء والصفات على مقاديرها؛ فأول معاني الحياة الروحية الحب ، وهذه مراتبه عندهم: الهوى ، ثم العلاقة ، وهي الحب اللازم للقلب ، ثم الكلف ، وهو شدة الحب ، ثم العشق وهو اسم لما فضل على المقدار الذي اسمه الحب ، ثم الشعف ، وهو إحراق الحب للقلب مع

١- الخصائص ١/٥٠٩.

٢- تاريخ آداب العرب ٢٢٧.

لذة يجدها، وكذلك اللوعة واللاعج؛ فإن تلك حرقة الھوى وهذا هو الھوى المحرق، ثم الشغف، وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلدة دونه، ثم الجھوى، وهو الھوى الباطن، ثم التيم، وهو أن يستعبد الحب، ثم التَّبَلُّ، وهو أن يسقمه الھوى، ثم التدليه، وهو ذهاب العقل من الھوى، ثم الھيوم، وهو أن يذهب على وجهه لا يستقر؛ وذلك لغلبة الھوى عليه، ومنه رجل هائم. وكذلك فعلوا في معانى السرور، والعداوة، والغضب، والحزن، والسرعة، وغيرها.

ومن معانى الحياة البدنية أصول المعاش الطبيعية التي هي قوام أمرهم: كاللبن، فإن له نحو سبعين اسمًا باعتبار اختلاف أحواله، وقد ذكرها السيوطي في المزهر (الفصل ١٥ - النوع ٢٩) وكذلك الخيل والإبل والشاء، ثم صفاتها، وتسمية أجزائها، ونحو ذلك مما نكتفي لشهرته بالإشارة إليه.

وعلى أكثر هذا النوع من نظام المعاني بالألفاظ بني الشعالبي كتابه (فقه اللغة) وهو أشهر من أن ينبه عليه؛ ولذا أوجزنا في أمثلته اكتفاءً بالدلالة على مظنتها، والحقيقة تنهض بها الكلمة الواحدة^(١).

ثالثاً: نظام القرينة:

قال الرافعي عن هذا النظام: «وهو ما نسميه بالنظام البديع؛ لأنه في ظاهره نوع من الفوضى؛ وذلك أنهم يعتمدون في ضرب من كلامهم على اللمحات الدالة، والإشارة التي تقع موقع الوحي، وعلى أضعف أثر يشير إلى وجه

١- تاريخ آداب العرب ٢٢٧-٢٢٨.

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

الكلام ومذهبـه، ويـهـدـيـ إلى طـرـيقـ المـعـنـىـ فـيـهـ، ثـمـ يـطـلـقـونـ الـكـلـامـ إـطـلـاقـاـ غـيرـ مـقـيـدـ بـنـظـامـ، وـلـاـ مـتـبـعـ لـطـرـيقـ غـيرـهـ مـنـ سـائـرـ الـكـلـامـ؛ وـذـلـكـ نـظـمـ يـنـفـرـدـونـ بـهـ، وـلـاـ تـجـدـ الـقـلـيلـ مـنـهـ فـيـ لـغـةـ غـيرـهـ إـلـاـ حـيـثـ تـصـيـبـ أـدـلـةـ النـبـوـغـ فـيـ أـشـعـرـ الشـعـرـ وـمـأـثـورـ المـشـورـ.

وقد سماه علماؤنا (*سنن العرب*) وعقد الشعالي على أمثلة منه القسم الثاني من كتابه (فقه اللغة) وسماه (سر العربية).

ونحن نرى أن هذا النوع لم يكن في اللغة إلا بعد أن انصرف العرب إلى صنعة الكلام، وهذبوا حواشيه، وبلغوا الغاية في تنمية الشعر وإجادته، وذلك قبل الإسلام بما لا يتجاوز مائة سنة على الأكثر؛ لأن التفنن في العبارات لا يأتي إلا من كمال صنعة الألفاظ، ولأن ما عرف للعرب من ذلك قليل في جنب ما أتي به القرآن الكريم، وهذا معنى من معاني إعجازه؛ إذ جعل من عبارته أزمة لعقولهم، فكان يلتفتها فجأة عن المعنى الظاهر، ثم يبتعد عنها بروح الكلام، فتكون لها بينهما هزةٌ من الطرف الذي ينشأ عن إدراك العقل لما ليس في مقدوره مع رغبته فيه^(١).

ومن الأمثلة مما ذكره العلماء من سنن العرب التي يتحقق فيها نظام القرينة ما يلي^(٢):

١- مخالفة ظاهر اللفظ: كقولهم عند المدح: قاتله الله ما أشعره! فهم يقولون

١- تاريخ آداب العرب ٢٢٩.

٢- انظر المزهر ١/٣٢١-٣٤٢، والصاحبـيـ ص ١٥٦-٢٠٦، وتـارـيخـ آـدـابـ الـعـربـ ١/٢٢٩-٢٣١.

هذا ولا يريدون وقوعه ، وكذلك قولهم : هِيلْتَهُ أَمْهُ ، وثَكْلَتَهُ ، وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل في رميء ، أو في فعل يفعله.

٢- الحذف والاختصار ، فيقولون : والله أفعل ذاك ، ويريدون لا أفعل ، فيحذفون حرف النفي .

٣- ذكر الواحد والمراد الجمع : كقوله - تعالى - : ﴿هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ وقوله : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِي﴾ والمراد الجماعة .

٤- ذكر الجمع الجمع والمراد واحد أو اثنان : كقوله : ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ﴾ وهو يريد واحداً ، قوله في خطاب موسى وأخيه : ﴿أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾ والخطاب لاثنين ، قوله في خطاب زوجتي النبي ﷺ : ﴿إِنْ تُتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وهما قلبان .

٥- صفة الجمع بصفة الواحد : كقوله - تعالى - : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرَةٌ﴾ .

٦- صفة الواحد أو الاثنين بصفة الجمع : قول العرب : ثوب أهدام ، وجاء الشتاء وقميصي أخلاق .

٧- الالتفات المعروف في البديع : وهو أن تخاطب العرب الشاهد ، ثم تحول الخطاب إلى الغائب ، وتخاطب الغائب ثم تحوله إلى الشاهد ، وأن تخاطب المخاطب ثم ترجع الخطاب إلى غيره ، نحو قوله - تعالى - : ﴿فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ الخطاب الأول للنبي ﷺ وصحابته ، والثاني للمشركين .

الباب الأول: دراسة عامة للغة وفقه اللغة

٨- الرجوع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب بدون تغيير في المعنى: كقوله - تعالى - : «**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ**» أراد بكم، وقوله: «**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)** إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً» ومعناه: كان لهم.

وقد جاء ذلك في الشعر - أيضاً - كما في كتاب (الأضداد) لابن الأباري - .

٩- أن يبتدئ بشيء ثم يخبر عن غيره: كقوله: «**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصُنَّ**» فخبر عن الأزواج بلفظ «**يَتَرَبَّصُنَّ**» وترك «**الَّذِينَ**» .

١٠- نسبة الفعل إلى الاثنين وهو لأحدهما: كقوله: «**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**» إلى قوله: «**يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلُؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**» وإنما يخرج من الملح لا العذب.

١١- نسبة الفعل إلى الجماعة وهو لأحدهم: كقوله: «**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**» والقاتل واحد.

١٢- نسبة الفعل إلى أحد اثنين وهو لهما: كقوله: «**وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضِعُوهُ**» .

١٣- أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين: قول العرب: افعلا ذلك، ويكون المخاطب واحداً، وكان الفراء يرى في أصل ذلك أن الرفقة عند العرب أدنى ما تكون ثلاثة نفر، فيجري كلام الواحد على صاحبيه، ولذا كان شعراً لهم أكثر الناس قوله: يا صاحبي، ويا خليلي.

١٤- أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي وهو حاضر، أو بلفظ المستقبل وهو

ماضٍ، كقوله - تعالى - : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: يأتي ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ما تلت الشياطين.

١٥- أن تأتي بالفعل بلفظ الفاعل: نحو: سر كاتم، أي: مكتوم، وأمر عارف، أي: معروف، وبالفاعل على لفظ المفعول، كقولهم: بيع مغبون، ويكون المعنى غابناً.

١٦- وصف الشيء بما يقع فيه: كقولهم: ليلهم نائم، إذا ناموا فيه، وليلهم ساهر، إذا سهروا.

١٧- البسط، بالإضافة في حروف الاسم والفعل متى أمن اللبس بقرينة تقتضي ذلك: كإقامة وزن الشعر، وتسويه قوافيه، وعلى هذا قول بعضهم في صفة الظلماء:

وليلة خامدة خموداً طخياء تخشى الجدي والفرقدا
 يجعل الفرقد كما ترى، ثم قال فيها: لو أن عمراً هم أن يرقدا.
 يريد يرقد.

١٨- القبض محاذة لذلك البسط، وهو النقصان من عدد الحروف: كقولهم:
 لاه ابن عمك، أي: لله، ودرس المنا، أي: المنازل، ومنه الشاهد النحوي:

درس المنا بمتالع فأبان فتحبس فالسوبان

١٩- الإضمار للأسماء والأفعال والحرروف: كقولهم: ألا يا اسلمي، أي: يا هذه، وقولهم: أتعلباً وتفرّ؟ أي: أترى ثعلباً وتفرّ؟
 والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث

عفوا الله عنـه

الباب الثاني:

دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة

وتحتـه ستـة فصـول:

الفصل الأول: المـُـرـَـبـَـ.

الفصل الثاني: المشـركـ، وـالمـتضـادـ، وـالمـترـادـفـ.

الفصل الثالث: الاشتـقـاقـ، وـالـقـيـاسـ.

الفصل الرابع: الإـبـدـالـ، وـالـقـلـبـ المـكـانـيـ.

الفصل الخامس: المشـجـرـ، وـالـإـتـبـاعـ، وـالـنـحـتـ.

الفصل السادس: المـجازـ.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الباب الثاني

دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة.

الفصل الأول:

المُعَرَّب

أحد الموضوعات التي تبحث في فقه اللغة وغيرها من العلوم، والكلام عليه سيكون في المسائل التالية :

أولاً: تعريفه:

أ - المُعَرَّب لغة: اسم مفعول من الفعل عَرَبٌ، يَعْرِبُ، والمصدر تعريباً.
والمُعَرَّب: هو الذي جُعِلَ عربياً.

ب - المُعَرَّب في الاصطلاح: عرفه السيوطي رحمه الله بقوله: «هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها».^(١)

وقال الجوهرى رحمه الله في الصاحح: «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها»^(٢).

ثانياً: أسماؤه: يُعرف بعدة أسماء تدل عليه ، منها:

١- المُعَرَّب ٢- التعريب ٣- الدخيل ٤- المولد

يقول د. علي عبد الواحد وافي في معرض حديث له عن الدخيل في اللغة العربية : «الدخيل الأجنبي ، المُعَرَّب ، والمولد :

١- المزهر ٦٨/١

٢- الصاحح ٢٧١/١

يراد بالدخل الأجنبي ما دخل العربية من مفردات أجنبية سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين.

وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري - ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج... وأن المولدين هم من عدا هؤلاء ولو كانوا من أصول عربية.

ويطلق على القسم الأول من الدخيل الأجنبي وهو ما استعمله فصحاء العرب اسم (المعرب) وعلى القسم الثاني منه وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعمجية لم يعربها^(١) فصحاء العرب اسم (الأعجمي المولد)^(٢).

ثالثاً: الخلاف في المعرب^(٣): اختلف العلماء في وقوع المعرب في القرآن، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول القائلين بالمنع:

وهذا قول الإمام الشافعي، وأبي عبيدة، وابن فارس وغيرهم - رحمهم الله - وقد استدلوا على المنع بقوله - تعالى -: «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» قوله: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ

١- هكذا جاءت ولعلها: يعرفها.

٢- فقه اللغة د. وفي ص ١٥٣.

٣- انظر الصاحبي ص ٣٢-٣٣، والمعرب للجواليقي ص ٦-٥، والإتقان للسيوطى ٢/٥٠-١٠٨،

والزهر ١/٤٦٨-٤٦٩.

قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴿٤﴾.

«وقد شدد الشافعي بِحَمْدِ اللَّهِ النكير على القائل بذلك»^(١).

وقال أبو عبيدة بِحَمْدِ اللَّهِ: «إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِ عَرَبٍ مَبِينٍ؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنْ فِيهِ

غَيْرَ الْعَرَبِيَّةِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْقَوْلَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنْ كَذَا بِالنِّبَطِيَّةِ فَقَدْ أَكْبَرَ الْقَوْلَ»^(٢).

وقال ابن فارس بِحَمْدِ اللَّهِ معلقاً على قول أبي عبيدة: «إِنْ قَالَ قَائِلٌ فَمَا تَأْوِيلُ

قَوْلِ أَبِي عَبِيدَةِ فَقَدْ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ؟».

قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير؛ وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير

لغة العرب شيء لتوهم متوهם أن العرب إنما عجزت عن الإتيان به مثله؛ لأنه أتى

بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه»^(٣).

وقال آخرون: «كُلُّ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ عَرَبِيَّةٌ صِرَافَةٌ، وَلَكِنَّ لِغَةَ الْعَرَبِ مُتَسْعَةٌ

جَدَّاً، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَخْفِي عَلَى الْأَكَابِرِ الْجَلَةَ، وَقَدْ خَفِيَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَى

(فاطر) و(فاتح)»^(٤).

القول الثاني: قول القائلين بوقوعه: وقد استدلوا على ذلك - كما قال أبو

عبيد القاسم بن سلام - بما «روي عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير،

وعكرمة، وعطاء وغيرهم من أهل العلم قالوا في أحقر كثيرة: إنها بلغات

١- الإتقان ١٠٥/٢

٢- الإتقان ١٠٥/٢.

٣- الصاحبي ص ٣٣.

٤- الإتقان ١٠٦-١٠٥/٢.

العجم، ومنها قولهم: طه، واليم، والطور، والربانيون فيقال: إنها بالسريانية.
والصراط، والقسطاس، والفردوس يقال: إنها بالرومية.
ومشكاة، وكِفْلَيْن يقال: إنها بالحبشية.

وهيت لك إنها بالحورانية؛ فهذا قول أهل العلم من الفقهاء^(١).
وأجاب الجizzون لوقوع المُرَبْ عن قوله - تعالى - : «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» بأن
الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، وأن القصيدة بالفارسية
لا تخرج عنها بلفظة عربية تكون فيها.

وأجابوا عن قوله - تعالى - : «أَغْجَمِي وَعَرَبِي» بأن المعنى من السياق
«أَكْلَامُ أَعْجَمِي وَمُخَاطِبُ عَرَبِي».

القول الثالث: التوفيق بين الرأيين والجمع بين القولين: قال أبو عبيد القاسم
بن سلام بعد أن حكى القولين السابقين:
«والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جمِيعاً؛ وذلك أن هذه
الأحرف أصولها أعمجية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب؛ فعرَّبتها
بألسنتها، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها؛ فصارت عربية، ثم نزل
القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال: إنها عربية فهو
صادق، ومن قال: أعمجية فصادق»^(٢).
ومال إلى هذا القول الجواليلي، وابن الجوزي وغيرها.

١- المزهر ٢٦٨/٢

٢- الإنegan ٢/١٠٨ وانظر المغرب للجواليقي ص ٦.

قال الجواليقي: «وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعريته؛ فصار عربياً بتعربيها؛ فهي عربية في هذه الحال، أعمجمية الأصل؛ فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً»^(١).

ولعل هذا الرأي هو الأقرب للصواب؛ فمن قال في كلمة سرادق -على سبيل المثال- : إنها فارسية؛ بمعنى أنها انحدرت إلى العرب من الفرس فهو مصيبة، ومن قال : إنها عربية؛ بمعنى أن العرب كانت تعرفها، و تستعملها قبل نزول القرآن الكريم، والقرآن نزل بلغة تفهمها العرب - فهو مصيبة كذلك.

رابعاً: المؤلفات في المغرب: من العلماء من أفرد هذا الموضوع بمُؤلف خاص، ومن الكتب المؤلفة في هذا ما يلي :

١- **المُرَبُّ**: لأبي منصور الجواليقي ت٤٥٠ هـ فهذا الكتاب أقدم وأشهر مؤلف في هذا الباب.

وكان الغرض من تأليفه جمع الألفاظ المغربية؛ حيث ساق فيه مؤلفه جملة من الألفاظ التي يرى أنها مغربية، وتحدث في المقدمة عن الخلاف في المغرب، وعن مذاهب العرب فيه، وعن العلامات التي يعرف بها الأعجمي من الألفاظ.

وقد قال عنه السيوطي رحمه الله : «وقد ألف في هذا النوع الإمام أبو منصور الجواليقي كتابه (المغرب) في مجلد واحد، وهو حسن مفيد، وقد رأيت عليه

١- المغرب ص ٦

تعقباً في عدة كراريس^(١).

والكتاب مطبوع، ولعل من أفضل طبعاته طبعة دار الكتب العلمية بيروت تعليق: خليل عمران المنصور، ويقع في ١٧٦ صفحة، وهو مرتب على حروف المعجم.

٢- في التعریب والعرب: وهو المعروف بـ(حاشية ابن بري على كتاب العرب) لابن الجواليقي.

وهذا الكتاب مصنف صغير عَرَض فيه ابن بري لكتاب (العرب) للجواليقي، فتعقب أقواله، فأورد حواشيه عليه منسورة على حروف المعجم؛ حيث درج فيها على إيراد قول الجواليقي، ثم يعقبها مصححاً تارة، ومضيفاً تارة أخرى.

وقد قدم لهذه الحواشى بنبذة يسيرة في طرائق التعریب عند العرب، وكيف تصرفوا في الأعجمي.

والمؤلف من أهل القرن الخامس حيث توفي سنة ٤٩٩ هـ.

والكتاب خرج بعنایة وتعليق د. إبراهيم السامرائي.

٣- المذهب فيما وقع في القرآن من العرب: للسيوطى رحمه الله.

وقد لخص فوائده في كتابه (الإتقان في علوم القرآن).

هذه أشهر الكتب في العرب، وأما الكتب التي تكلمت عليه ضمن موضوعات أخرى فكثيرة، ككتاب الصاحبي لابن فارس؛ حيث تكلم على

العرب في عدة أبواب خصوصاً في (باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن). وكذلك السيوطي في كتابه المزهر، والإتقان؛ فقد أفرد النوع التاسع عشر من المزهر في (معرفة العرب).

وعقد باباً من كتابه (الإتقان في علوم القرآن)؛ وهو (الباب الثامن والثلاثون) فيما وقع بغير لغة العرب).

خامساً: علامات العجمة أو العرب^(١): قال أئمة العربية تعرف عجمة الاسم بوجود علامات منها:

١- النقل: وذلك بأن ينقل عن أحد أئمة العربية كالأصمسي أو غيره بأن هذه الكلمة ليست عربية.

٢- مخالفة الكلمة للأوزان العربية: وذلك بأن يخرج الاسم عن أوزان الأسماء العربية، نحو إبريسم؛ فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي.

٣- أن يكون أوله نون ثم راء: نحو: نرجس؛ فإن ذلك لا يكون في الكلمة عربية، وكذلك (نرس) و (نورج) و (نرسيان) و (ترجه).

٤- أن يكون آخره زاياً بعد دال: نحو: مهندز؛ فإن ذلك لا يكون في الكلمة عربية.

٥- أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم: نحو: الصوججان، والجص، والصنجق.

١- انظر العرب ص ١٠-١١، والمزهر ١٧١-٢٧٠، وتأريخ آداب العرب ١٢٠٧-٢٠٠١.

٦- أن يجتمع في الكلمة الجيم والقاف: نحو: المنجنيق.

٧- خلو الكلمة الرباعية أو الخماسية من أحarf الذلاقة: وسميت بذلك - كما مر في الحديث عن صفات الحروف ومخارجها - خروج بعضها من ذلك اللسان - أي طرفه - وخروج بعضها من ذلك الشفة.

وهي مجموعة في قولك: (مُرَّ بنفل)؛ فإنه متى كان اللفظ عربياً فلا بد أن يكون فيه شيء منها نحو: سفرجل، وقدعمل، وقرطعْب، وجحمرش؛ فإذا جاءك مثال خماسي، أو رباعي بغير حرف أو حرفين من أحarf الذلاقة فاعلم أنه ليس من كلامهم - أي العرب - مثل: (عفجش) و(خطائج).

٨- اجتماع الباء، والتاء، والسين: مثل: بستان.

٩- اجتماع الجيم والطاء: نحو: الطاجن، والطيجن.

١٠- يندر اجتماع الراء مع اللام إلا في ألفاظ ممحورة: مثل: ورل.

١١- لا يوجد في كلام العرب دال بعدها ذال إلا قليل: ولذلك أبى البصريون أن يقال بغداد.

١٢- مجيء الشين بعد اللام: قال ابن سيدة في المحكم: ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة؛ الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات.

١٣- الدراسات التاريخية والبحوث العلمية: فبذلك يمكن القول: إن هذا الحيوان، أو النبات، أو الدواء ليس موجوداً في جزيرة العرب، وبذلك نعرف أن الكلمة ليست بعربية.

هذا وقد وجد الباحثون بعد الاستقصاء أن أكثر ما دخل العربية من أسماء

المعبودات والمصطلحات فهو من الميروغليفية، والحبشية، وال عبرانية، وذلك كألفاظ الحج، والكاهن، وعاشوراء من العبرانية.

وأما أسماء العقاقير والأطیاب فأكثرها هندي كالمسك؛ فإنه في اللغة السنسكريتية (مشكا) والزنجبيل فهو فيها (زنجاير).

وأكثر ما يكون من أسماء الأطعمة والثياب والفرش، والأسلحة، والأدوات، والملابس، والأواني فهو من الفارسية.

سادساً: دوافع التعریب: أشار بعض العلماء إلى ذلك دون ذكر مباشر له، وذلك كصنیع السیوطی في المزهر^(١).

ومن خلال ذلك يمكن أن تلمس الأسباب التي دفعت العرب إلى التعریب، والتي منها:

١- الحاجة أو الضرورة: وذلك كالأسماء التي تفرد بها غير العرب كالفرس من دون العرب؛ فاضطررت العرب إلى تعریبها أو تركها كما هي.

وذلك كثير، ومن أمثلته ما يلي:

أ - من الأواني: الكوز، الجرة، الإبريق، الطشت، الخوان، الطبق، القصعة، السُّكْرَجَة.

ب - من الملابس: السَّمُور، السنجاب، القاتم، الفنك، الدُّلْق، الخز، الديجاج، السندرس.

ج - من الجواهر: الياقوت، الفيروزج، البلور.

١- انظر المزهر ١/٢٧٥-٤٨٥، وانظر فقه اللغة د. وافي ص ١٥٤-١٦٠.

د - من ألوان الخبر: الكعك، الجردق، السميد، أو السميد.
 ه - من الرياحين وما يناسبها: النرجس، البنفسج، النُّسرين، الياسمين.
 و - من الطيب: المسك، العنبر، الكافور، الصندل، القرنفل.
 ٢ - الإلغاز والإغراب: قال السيوطي: «قال ابن دريد في الجمهرة: باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغز، وفي نسخة حتى صار كاللغة»^(١).

ثم ساق لذلك أمثلة، منها: الدَّشت: وهي الصحراء، والبُوصي: السفينة، والأرنَدح: الجلود التي تدبغ بالعُفص، والقيروان: الجماعة، وأصلها كاروان^(٢).

٣ - الإعجاب وخفة اللفظ الأعجمي: وذلك بأن يعجب العرب بلفظة أَعْجَمِيَّة، ثم يعمدون إلى تعريفها.

وربما كان اللفظ الأعجمي خفيفاً؛ فلهذا يستعمله العرب، وربما تناسوا اللفظة العربية أو أهملوها.

مثل: البازنجان كان يسمى الحدج، ومع ذلك غلب؛ للإعجاب بما هو غريب.

وكذلك اللوبيا شاعت وأهمل: الدَّجرَ.

وكذلك الإبريق في لغة العرب يسمى التأمورة.

والتوت يسمى: الفُرْصاد، والأترج يسمى: المُتْك، والياسمين كان يسمى

١ - المزهر ٢٧٩.

٢ - انظر المزهر ٢٧٩/١.

بالعربية: السُّمْسَق.

سابعاً: الألفاظ المعربة في القرآن: ذكر السيوطي رحمه الله في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) ألفاظاً عديدة، وذكر من قال بأنها معربة من العلماء، وقال في نهاية الحديث عنها بعد أن رتبها ترتيباً ألفبائياً: «فهذا ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين، ولم تجتمع قبل في كتاب قبل هذا»^(١).

ثم قال: «وقد نظم القاضي تاج الدين بن السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في أبيات، وذيل عليها الحافظ أبو الفضل بن حجر بأبيات فيها أربعة وعشرين لفظاً وذيلت عليها بالباقي، وهو بضع وستون، فتمت أكثر من مائة لفظة، فقال ابن السبكي:

رومٌ وطوبى وسجّيل وكافورٌ إستبرقٌ صلواتٌ سندس طورٌ قٌ دينارٌ والقسطاسٌ مشهورٌ ويؤت كفلينٍ مذكورٍ ومسطورٌ فيما حكى ابن دريد منه تَنُورٌ	السلسيل وطه كُورٌت بَيْعٌ والزنجبيل ومشكاةٌ سرادقٌ معْ كذا قراطيسٌ رَيَانِيهِمْ وغسا كذاك قَسْوَرَةٌ واليَمْ ناشئةٌ له مقاليدٌ فردوسٌ يُعدُّ كذا
--	--

وقال ابن حجر:

وزدت حِرْمٌ وَمُهْلٌ وَالسَّجْلُ كذا

وقطنا وإنما ثم متكتئاً
وهيت والسكر الأواه مع حصب
صرهن إصري وبغيض الماء مع وزرٍ
وقلت - أيضاً -

دارست يصهر منه فهو مصهور
وأويي معه والطاغوت مسطور
ثم الرقيم مناصٌ والسنا النورُ

ت ثم سينين شطرُ البيت مشهور
جاش ويم مع القنطار مذكور
ء والأرائك والأكواب مأثور
هون يصادرون والمنسأة مسطور
ريون كنز وسجينٌ وتتبير
إل ومن تحتها عبَّدت والصور
جاة وسيدتها القيومُ موقورٌ
وسجداً ثم ربيون تكثير
عدن ومنظرُ الأسباطِ مذكور
ما فات من عدد الألفاظ محصور
والآخره لمعاني الضد مقصور^(١)

وزدت يس والرحمن مع ملكو
ثم الصراطُ ودرّي يحورُ ومز
وراعنا طفقا هدنا ابلعي وورا
هود وقسطٌ وكفر رمزة سقرٌ
شهر مجوس وإقال يهود حوا
بعير آزر حوبٌ وردة غرمٌ
ولينة فومها رهق وأخلدَ من
وعلم ثم أسفار عنى كتاباً
وحطة وطوى والرس نونٌ كذا
مسك أباريق ياقوت رووا فهنا
وبعضهم عد الأولى مع بطائتها

ثامناً: طريقة العرب في التعامل مع الألفاظ الأعجمية: للعرب

طريقة في التعامل مع الألفاظ الأعجمية، وقد بين ذلك العلماء الذين تكلموا

على المَعْرُبِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِ أَوْلَئِكَ أَبُو مُنْصُورُ الْجَوَالِيُّ بْنُ جَلَالِ اللَّهِ حَيْثُ عَقَدَ فِي كِتَابِهِ بَابًا تَحْتَ عَنْوَانِ: (بَابُ مَعْرِفَةِ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَعْجَمِيِّ). وَتَحْتَ هَذَا الْعَنْوَانِ بَيْنَ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ بَقُولُهُ: «أَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَجْتَرَئُونَ عَلَى تَغْيِيرِ الْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ إِذَا اسْتَعْمَلُوهَا.

فَيَبْدِلُونَ الْحُرُوفَ الَّتِي لَيْسَتِ مِنْ حُرُوفِهِمْ إِلَى أَقْرِبِهَا مُخْرِجاً.
وَرَبِّمَا أَبْدَلُوا مَا بَعْدَ مُخْرِجِهِ - أَيْضًا -

وَالْإِبْدَالُ لَازِمٌ؛ لَئِلَا يَدْخُلُ فِي كَلَامِهِمْ هَا لَيْسَ مِنْ حُرُوفِهِمْ.
وَرَبِّمَا غَيَرُوا الْبَنَاءَ مِنَ الْكَلَامِ الْفَارَسِيِّ إِلَى أَبْنِيَةِ الْعَرَبِ.

وَهَذَا التَّغْيِيرُ يَكُونُ بِإِبْدَالِ حُرْفٍ مِنْ حُرْفٍ، أَوْ زِيادةِ حُرْفٍ، أَوْ نَقْصَانِ حُرْفٍ، أَوْ لِإِبْدَالِ حَرْكَةٍ بَحْرَكَةً، أَوْ إِسْكَانِ مَتْحَرِكٍ، أَوْ تَحْرِيكِ سَاكِنٍ.
وَرَبِّمَا تَرَكُوا الْحُرْفَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَغْيِرُوهُ.

فَمَمَّا غَيَرُوهُ مِنَ الْحُرْفِ مَا كَانَ بَيْنَ الْجِيمِ وَالْكَافِ، وَرَبِّمَا جَعَلُوهُ جِيمًا وَرَبِّمَا جَعَلُوهُ كَافًا، وَرَبِّمَا جَعَلُوهُ قَافًا؛ لِقَرْبِ الْقَافِ مِنَ الْكَافِ، قَالُوا: (كُرْبِجُ)
وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: (قَرِيقُ).

قَالَ أَبُو عُمَرُو: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: هُوَ مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ: (كُرْبَكُ)
قَالَ: يَرِيدُونَ (كَرِيجَ).

قَالَ سَالِمُ بْنُ قَحْفَانَ فِي (قَرِيقِ):

ما شرست بعد طوى القريق
من شربة غير النجاء الأدفق
وكذلك يقولون: (كيلحة) و (كيلقة) و (وقيلقة) و (جرنزاً) للكرنزا

الباب الثاني: دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة

و(جورب) وأصله: (كورب) و(مُوزج) وأصله (مُوزة).

وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً.

وربما أبدلوا باءً، قالوا: (فالوڈ) و(فِرِنْد) وقد قال بعضهم (برند).

وأبدلوا السين من الشين، فقالوا للصحراء: (دَسْت) وهي بالفارسية: (دشت).

وقالوا: (سراويل) و(إسماعيل) وأصلها (شروع) و(إشماعيل) وذلك قرب السين من الشين في الهمس.

وأبدلوا اللام من الزاي في (قفشليل) وهي المغرفة، وأصلها (كَفْجَلاز) وجعلوا الكاف منها قافاً، والجيم شيئاً، والفتحة كسرة، والألف ياء. وما أبدلوا حركته (زور) و(آشوب).

وما ألحقوه بأبنائهم: (درهم) ألحقوه بـ (هجرع) و (بهرج) ألحقوه بـ (سلهـب) و (دينار) ألحقوه بـ (ديماـس) و (إسحاق) بـ (إيـهـام)، و (يعـقـوب) بـ (يرـبـوع)، و (جورـب)، و (شـبـارـق) بـ (عـذـافـر)، و (رـزـدـاق) بـ (قرـطـاس).

وما زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا (إـبـرـيـسـم) و (إـسـرـافـيل) و (فيروزو) و (قـهـرـمـان) وأصله (قرـمـان).

وما تركوه على حاله فلم يغيروه (خـرـاسـان) و (خـرـمـ) و (كـرـكـمـ).

قال أبو عمر الجرمي: وربما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغتها.

وأنشد عن أبي المهدى:

يقولون لي شَنِيدْ وليست مشنبذاً
 طوال الليالي أو يزول ثييرُ
 ولا قائلًا زُوذًا ليعجل صاحبي
 وستان في صدري علىَ كبيرُ
 ولو دار صرف الدهر حين يدورُ
 ولا تاركاً لخني لأحسن لخنهمْ
 (شنيد) يريدون (شون بوذى)
 (زوذ) (اعجل) و (ستان) (خذ).

قال: وإذا كان حُكى لك في الأعجمية خلاف ما العلامة عليه فلا ترينـه
 تخلطـاً؛ فإنـ العرب تخلـطـ فيهـ، وتكلـمـ بهـ مخلـطاً؛ لأنـه ليسـ منـ كلامـهمـ، فلما
 اعتـنـقوـهـ وتكلـمـواـ بهـ خـلطـواـ.

وكان الفراء يقول: يُبني الاسم الفارسي أيّ بناءً كان، إذا لم يخرج عن أبنية
 العرب.

وذكر أبو حاتم: أن رؤبة بن العجاج والفصحاء، كالأشـىـ وغيرـهـ ربماـ
 استـعارـواـ الكلـمةـ منـ كلامـ العـجمـ للـقـافيةـ؛ لـتـسـطـرـفـ، وـلـكـنـ لاـ يـسـتعـملـونـ
 المـسـطـرـفـ، وـرـبـماـ يـصـرـفـونـهـ، وـلـاـ يـشـتـقـونـ منـهـ الأـفـعـالـ، وـلـاـ يـرـمـونـ بـالـأـصـلـيـ،
 وـيـسـتعـملـونـ المـسـطـرـفـ، وـرـبـماـ أـضـحـكـوـاـ مـنـهـ، كـقـولـ العـدـوـيـ:
 أنا العـربـيـ الـبـاكـ

أـيـ: النـقـيـ مـنـ العـيـوبـ.

وقـالـ العـجـاجـ:

كمـرأـيـتـ فـيـ المـلـاءـ الـبـرـدـجاـ

وهم السببي، ويقال لهم بالفرنسية (بردَه) فأراد القافية^(١).
تاسعاً: التعريب عند المحدثين^(٢): بحث المحدثون موضوع التعريب، وكانوا في ذلك على فريقين:
 الأول: منعوا فتح باب التعريب؛ بحججة المحافظة على العربية.
 والفريق الآخر: أجازوا ذلك، وقالوا: إنه لا بد من مواجهة الحديث، وبهذا تكون المحافظة الحقة على العربية؛ إذ ترك التعريب فيه حجر على اللغة، ومن ثم يصدق عليها قول من يصيّمُها بأنها ميتة.
 وقالوا -أيضاً-: إن التعريب من أساليب تنمية اللغة، ودلالة سعتها، واستيعابها.

وبعد دراسات طويلة توصل مجمع اللغة العربية في مصر إلى جواز التعريب، وأجمعوا على أن العربيَّ أولى وأفضل من المعرب، ووضعوا للتعريب شروطاً منها:

- ١- أن يكون اللفظ المعرب مما نحتاج إليه تمام الاحتياج.
- ٢- أن يكون على مقاييس العرب، فلا بد من إخضاعه على العربية من الناحية الصوتية والصرفية.

وإليك نص قرار المجمع بهذا الصدد: «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ

١- المعرف ص ٩-٧.

٢- انظر من أسرار اللغة ص ١٣١ ، وفقه اللغة د. وفي ص ١٥٩-١٦٠ و ١٨٤-١٨٠ ، وفقه اللغة د.

إميل يعقوب ص ٤٤٠-٤٣٠.

الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريفهم^(١).

عاشرًا: معوقات التعريف: لا ريب أن للتعريف حسنان، ولكن يقف دونها عقبات، منها:

١- **تشتت الجهد:** وذلك كتعدد المجامع؛ فقد تختلف بعض المصطلحات من جمع إلى جمع ومن باحث إلى آخر.

٢- **فقدان التطبيق:** فقد تتفق المجامع على شيء، ثم لا يلتزم به، ولا يستعمل في الكتابة، والتأليف.

٣- **التأخر في تعريف المصطلحات:** وذلك عندما يفكرون في تعريف مصطلح شاع منذ عشرات السنين، مثل: كمبيوتر، وليموزين، ونحوها؛ فالمتعين أن يفكر في المصطلح قبل شيوعه، أو في بداية استعماله، فيوجد له اسم مناسب، قبل أن يسبق عليه الاسم الجديد.

٤- **نقل المصطلحات الجديدة دون تحري الدقة:** فقد تُعرَّب بعض الألفاظ من قبل بعض الكتاب دون أن ينظر إلى معناها الحقيقي؛ فتشيع في الناس، ويكون له أثر فكري.

وذلك مثل (العلمانية) فمعناها الحقيقي (اللادينية) لأن أوريا إبان إطلاق هذا المصطلح كانت تفرق بين العلم والدين؛ فالدين - في نظرهم - يقف أمام العلم. وهذا يصدق على دين الكنيسة المنحرف.

أما بالنسبة للإسلام فإنه دين العلم حقاً؛ فلما نقل هذا المصطلح اكتسب

١- انظر مجلة المجمع ٣٣/١ و١٩٩-٢٠٢، وانظر فقه اللغة د. وافي ص ١٥٩.

مدحًا بصفته يدعو إلى العلم.

وكذلك كلمة (إرهاب) حيث شاعت في الناس، ولم يحدد معناها المراد؛ فصار يُلبس على من يشأه القوي، وينزع عنمن يشأه؛ بغض النظر عن مصداقية ذلك.

الفصل الثاني: المشترك، والمتضاد، والمترادف

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المشترك.

المبحث الثاني: المتضاد.

المبحث الثالث: المترادف.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثاني:

المشترك، والمتضاد، والمترادف

المبحث الأول:

المشترك

ويقال له الاشتراك - أيضاً - والبحث فيه سيكون في المسائل التالية:
أولاً: تعريفه:

في اللغة: من الفعل يشترك ، والمصدر اشتراك ، والمشترك اسم المفعول.

وفي الاصطلاح: عرف بعده تعرifications قريبة من بعض :

أ - عرفه الجرجاني بِحَمْلِ اللَّهِ بقوله: «المشترك ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير» ^(١).

ب - وقال عنه ابن فارس بِحَمْلِ اللَّهِ: «تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو:

(عين الماء) و (عين المال) و (عين السحاب)» ^(٢).

ج - وعرفه ابن تيمية بِحَمْلِ اللَّهِ بقوله: «أن يكون اللفظ دالاً على معنيين من غير أن يدل على معنى مشترك بينهما» ^(٣).

د - وقال السيوطي بِحَمْلِ اللَّهِ: «وقد حدد أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة» ^(٤).

١- التعريفات ص ٢١٥.

٢- الصاحبي ص ٥٩.

٣- مجموع الفتاوى ٢٠/٤٢٧ ولو قال على معنيين أو أكثر لكان أولى.

٤- المزهر ١/٣٦٩.

هـ - ويكن أن يعرف بتعريف مختصر فيقال: هو ما اتحد لفظه، وخالف معناه.

ثانياً: الخلاف في وقوعه: اختلف الناس في اللفظ المشترك، هل له وجود في اللغة؟ فأثبتته قوم، ونفاه آخرون، ولكل منهم أدلة.

وقد نقل هذا الاختلاف جمع من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال بعد أن ذكر حد المشترك: «فمن الناس من ينazu في وجود معنى هذا في اللغة الواحدة التي تستند إلى وضع واحد، ويقول: إنما يقع هذا في وضعين كما يسمى هذا ابنه باسم، ويسمى آخر ابنه بذلك الاسم»^(١).

ونصه هذا يوحى بأنه قائل بواقع المشترك، وهذا ما يؤكده قوله في موضع آخر: أن «الأسماء المتفقة اللفظ قد يكون معناها متباعدة وهي المشتركة اشتراكاً لفظياً، كلفظ سهيل المقول على الكوكب وعلى الرجل»^(٢).

وقال السيوطي رحمه الله: «واختلف الناس فيه؛ فالأكثرون على أنه ممكن الواقع؛ لجواز أن يقع إما من واضعين؛ لأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر، ويشهير ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنين، وهذا على أن اللغات غير توقيفية.

وإما من واضح واحد؛ لغرض الإبهام على السامع؛ حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة، كما روي عن أبي بكر رضي الله عنه وقد سأله رجل عن النبي صلوات الله عليه وسلم وقت

١- مجموع الفتاوى ٢٣٧/٢٠.

٢- مجموع الفتاوى ٢٣٤/٢٠.

ذهبهما إلى الغار: من هذا؟ قال: هذا رجل يهديني السبيل.
والأكثرون - أيضاً - على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ.
ومن الناس من أوجب وقوعه - قال: لأن المعاني غير متناهية والألفاظ
متناهية، فإذا وزع لزم الاشتراك.

وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب، قال: لأن الحروف بأسرها مشتركة
بشهادة النحاة، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاة، والمضارع كذلك،
وهو - أيضاً - مشترك بين الحال والمستقبل، والأسماء كثيرة فيها الاشتراك؛ فإذا
ضممناها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب.

ورد بأن أغلب الألفاظ الأسماء، والاشتراك فيها قليل بالاستقراء، ولا
خلاف أن الاشتراك على خلاف الأصل»^(١).

والمتأمل للخلاف في المشترك يجد أنه ما كان ينبغي أن يتسع فيه، ويشقق
القول؛ لأنهم جميعاً متفقون على وجود ألفاظ في اللغة قد استعملتها العرب في
الدلالة على معانٍ مختلفة بغض النظر عن كيفية وجودها مثل لفظ (العين) فهي
بلغظها قد استعملت لمعانٍ كثيرة، وكذلك غيرها من الألفاظ التي سيأتي ذكر
بعضها.

وهذا الاستعمال كافٍ في إثبات المشترك؛ لذلك فإن الذي عليه أكثر المقدمين
من اللغويين - هو القول بالاشتراك.

أما نقل الكلام إلى الحديث عن النشأة الأولى للمشترك، وهل يكون أصلاً

١- المزهر ٣٦٩-٣٧٠، وانظر الصاحبي ص ٥٩-٦٠، وفقه اللغة د. وافي ص ١٤٥-١٤٨.

في الوضع أو لا؟ وما يتربّى على ذلك من أن المخاطبة باللفظ المشترك لا تفيد فهم المقصود على التام، وما كان كذلك يكون منشأً للمفاسد - فهو خروج من الواقع اللغوي ، وخطوئ في مسألة نشأة اللغة التي لم يتوصّل فيها إلى رأي علمي قاطع^(١).

ثالثاً: أمثلة من المشترك: أورد السيوطي رحمه الله في المزهر أمثلة كثيرة من المشترك^(٢)، ومنها:

- ١- **العم:** أخو الأب ، والعم: الجمع الكثير، قال الراجز:
يا عامر بن مالك يا عمًا أفينيت عمًا وجبرت عمًا
فالعم الأول: أراد به عماء، والعم الثاني: أراد أفينيت قومًا، وجبرت آخرين.
- ٢- **النوى:** يطلق على الدار ، والنية ، والبعد .
- ٣- **الأرض:** وتطلق على الأرض المعروفة ، وعلى كل ما سفل ، وعلى
أسفل قوائم الدابة ، وعلى النفضة ، والرعدة ، وغيرها.
- ٤- **الهلال:** هلال السماء ، وهلال الصيد ، وهلال النعل وهو الذئابة ،
والهلال: الحية إذا سلخت ، والهلال: باقي الماء في الخوض ، والهلال: الجمل
الذي أكثر الضرب حتى هزل.
- ٥- **العين:** وتطلق على معان كثير جداً، تكاد تكون أكثر ما في هذا الباب؛

١- انظر الدراسات اللغوية وال نحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٩.

٢- انظر المزهر ١/٣٧٠-٣٨٦، وانظر معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية لعبدالحليم محمد قبس.

فتطلق على : النقد من الدرارم والدناير، وعلى مطر أيام لا يقلع يقال : أصاب أرضبني فلان عين ، وعلى عين الماء ، وعين البركة ، والعين التي تصيب الإنسان ، وعلى فم القرية ، وعلى عين الشمس ، وعلى الجاسوس ، وعلى الباصرة.

٦- الحال : يطلق على أخي الأم ، والمكان الخالي ، والعصر الماضي ، والدابة ، والخيلاء ، والشامة في الوجه ، والسحاب ، والظن ، والتوهם ، والرجل المتكبر ، والرجل الججاد.

رابعاً: لطائف من المشترك: هناك أبيات من الشعر تضمنت ألفاظاً من المشترك.

قال السيوطي : « قال أبو الطيب اللغوي : أخبرني محمد بن يحيى ، قال : أنسدني أبو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحِرماني للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ، ويختلف معناها :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى	إذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعهم طرف وقد أزمعوا	ودمع عيني كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة	تفتر عن مثل أقاحي الغروب
فالغروب الأول غروب الشمس ، والثاني جمع غرب : وهو الدلو العظيمة	
المملوءة ، والثالث جمع غرب : وهي الوهاد المنخفضة.	

وأنشد سلامة الأنباري في شرح المقامات :

لقد رأيت هذريا جلسا	يقود من بطن قديد جلسا
---------------------	-----------------------

ثم رقى من بعد ذاك جلساً يشرب فيه لبناً وجلساً مع رفقه لا يشربون جلساً ولا يؤمن لهم جلساً جلس الأول: رجل طويل، والثاني: جبل عالي، والثالث: جبل، والرابع: عسل، والخامس: خمر، والسادس: نجد»^(١).

ومن لطائف المشترك أنه داخل عند البلاغيين في علم البديع في باب الجناس التام، كما في الأبيات السابقة، وهو داخل - كذلك - في باب التورية.

خامساً: العلاقة بين المشترك والمتواطئ: من الحديث عن المشترك، وأنه ما اتحد لفظه، وخالف معناه.

ومشترك يوافق المتساوئ في شقه الأول من جهة كونه لفظاً واحداً يطلق على معانٍ، ويختلف في شقه الثاني وهو كون هذه المعانٍ مرتبطة بمعنى عام.

ولمزيد من إيضاح العلاقة والفرق بين المشترك والمتساوئ هذا عرض يسير لتعريف المتساوئ، وبيان الفرق الدقيق بينه وبين المشترك.

فالاسم المتساوئ يُعرف بأنه: هو الاسم الواحد الذي يقال من أول ما وضع له على أشياء كثيرة، ويدل على معنى واحد يعمها^(٢).

ويعرفه الجرجاني بقوله: «المتساوئ: هو الكلي الذي يكون حصول معناه، وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية على السوية كالإنسان والشمس؛ فإن

١- المزهر ٣٧٦-٣٧٧.

٢- البحث الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي لرجاء الرفاعي رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ص ١٨٤ ، وانظر الدراسات اللغوية ص ١٦٥.

الإنسان له أفراد في الخارج، وصدقه عليها بالسوية، والشمس لها أفراد في الذهن وصدقه عليها - أيضاً - بالسوية»^(١).

ويقول ابن تيمية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ معرفاً بهذا القسم من الألفاظ: «الأسماء المتواطئة: وهي جمهور الأسماء الموجودة في اللغات، وهي أسماء الأجناس اللغوية، وهي الاسم المطلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين، أو اسم صفة جامداً أو مشتقاً...

كلها أسماء متواطئة، وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة»^(٢).

ويقول: «الأسماء المتفقة في اللفظ... قد يكون معناها متفقاً وهي المتواطئة»^(٣). وقال في حاورته لابن المرحل^(٤) - رحمهما الله - عندما بين جواز إطلاق لفظ (المتواطئ) و (المشتراك) على اللفظ الواحد، ولكن من جهتين مختلفتين، فتساءل ابن المرحل كيف يكون هذا؟

فأجابه ابن تيمية بقوله: «المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر؛ وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك، وقدر مميز، واللفظ يطلق على كل منهما - فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كل ماهية عن الأخرى؛ فيكون مشتركاً كالاشتراك اللفظي، وقد يكون مطلقاً باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين؛

١- التعريفات ص ١٩٩.

٢- انظر مجموع الفتاوى ١٢٣/٣-١٢٩.

٣- مجموع الفتاوى ٢٠/٣٤.

٤- من كبار فقهاء الشافعية ت ٧٣٨.

فيكون لفظاً متواطئاً.

مثال ذلك (اسم الجنس) إذا غالب في العرف على بعض أنواعه كلفظ (الدابة) إذا غالب على (الفرس) قد نطلقه على الفرس باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب، فيكون متواطئاً، وقد نطلقه باعتبار خصوصية الفرس؛ فيكون مشتركاً بين خصوصية الفرس وعموم سائر الدواب، ويصير استعماله في الفرس تارة بطريق التواطؤ، وتارة بطريق الاشتراك^(١).

ولعل التمييز بين المتواطئ والمشترك قد لاح، وهو أن الأسماء المتواطئة تشترك في اللفظ والمعنى.

أما المشتركة فإنها متفقة للفظ مختلفة المعنى، وهذا ما يؤكده ابن تيمية بقوله: «الأسماء المتفقة للفظ قد يكون معناها متفقاً وهي المتواطئة، وقد يكون معناها متباعدة وهي المشتركة اشتراكاً لفظياً كلفظ سهيل المقول على الكوكب، وعلى الرجل»^(٢).

ولزيادة الإيضاح ولأجل أن يُميز بين المشترك والمتواطئ فهذان مثالان على ذلك، الأول: العين تطلق على عدة معانٍ مختلفة، فهذا مثال للمشترك، وقد مرت أمثلة عديدة من ذلك.

والمثال الثاني: لفظ (الوجود) فهو يطلق على وجود الخالق وعلى وجود المخلوق، فمعنى الوجود - بمفهومه العام - واحد، ولكنه مختلف من جهة

١- مجموع الفتاوى ١١/٨٣.

٢- مجموع الفتاوى ٢٠/٣٤، وانظر الدراسات اللغوية وال نحوية ١٦٥-١٦٧ ففيها تفصيل جيد.

إضافته فهذا مثال للمتواطئ.

وبناءً على ذلك يمكن أن يقال: إن المشترك ما اتحد لفظه واختلف معناه، والمتواطئ هو ما اتحد لفظه ومعناه، ولكنه مختلف باختلاف السياق والإضافة.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

المتضاد

المتضاد نوع من المشترك، ويقال له: الأضداد، والتضاد.

أولاً: تعريفه:

أ - المتضاد في اللغة: أصل المادة: ضَدَّاً: ضد الشيء خلافه، والجمع
أضداد، وقد ضاده فهما متضادان، والتضاد مصدر^(١).

ب - وفي الاصطلاح: ١- هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين.
مثاله: الجون: يطلق على الأسود، والأبيض.

٢- وهناك تعريف آخر وهو: الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادين بلفظ
واحد.

٣- وقال ابن فارس بِعْجَلَةَ اللَّهِ: «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا
المتضادين باسم واحد»^(٢).

٤- وقيل: هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضنه^(٣).

ثانياً: الفرق بين المشترك والمتضاد: ١- أن المشترك أعم من المتضاد؛
فالمتضاد نوع منه، فكل متضاد مشترك، ولا عكس.

٢- أن المشترك يدل على عدة معان، ولا يلزم أن تكون متصادة.

١- انظر لسان العرب مادة ضدد ٣٦٣-٣٦٤.

٢- الصحاحي ص ٦٠.

٣- انظر فقه اللغة د. وفي ص ١٤٨.

أما المتضاد فيدل على معنيين، ولا بد أن يكونا متضادين.

فمثلاً: كلمة (العين) تدل على معانٍ عديدة، ولا يلزم منها التضاد؛ فهي - بهذا الاعتبار - مشتركة، لا متضادة.

وكلمة الغابر: تطلق على الماضي وتطلق على الباقي؛ فهي بهذا الاعتبار متضادة؛ لأنها دلت على معنيين متضادين.

ثالثاً: كيف يفهم المراد من اللفظ إذا كان متضاداً؟

يفهم من خلال السياق، مثال ذلك كلمة: (جلل) فهي تدل على الشيء اليسير الحقير، وتدل على الشيء العظيم.

فمن الأول: قول لبيد - رضي الله عنه - :

كل شيء ما خلا الله جلل
ومن الثاني قول الشاعر:

فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لأعفون جلاً

فمن خلال سياق الكلام في البيت الأول نعلم أن المقصود به: (الجلل)؛ الأمر اليسير الحقير، ومن خلال السياق في البيتين الآخرين نعلم أن المقصود بقوله: (جللاً) أنه الأمر العظيم؛ لأن الإنسان لا يفخر بصفحة عن ذنب حقير يسير وهكذا...^(١)

وهذا ما أجاب به ابن الأباري عن اعتراض من اعترض على وجود

١- انظر الأضداد لابن الأباري ص ٢-١.

الأضداد.

حيث قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «ويظن أهل البدع والزيغ، والإزراء بالعرب أن ذلك كان منهم؛ لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم؛ فيسألون عن ذلك، ويحتاجون بأن الاسم منبهٌ عن المعنى الذي تحته، ودالٌ عليه، وموضحٌ تأويله، فإذا اعتورَ اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى.

فأجيوا عن هذا الذي ظنوه وسائلوا عنه بضرورب من الأجوية:
أحدُهنْ: أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بأخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه؛ فجاز وقوع اللفظة على المعنين المتضادين؛ لأنها يتقدمها، ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنين دون الآخر، ولا يراد بها في حال المتكلم والإخبار إلا معنىً واحداً^(١).

ثم ضرب مثالاً لذلك، وهو من الآيات الآنفة الذكر.

وضرب أمثلة أخرى من القرآن الكريم فقال: «وقال الله - عز وجل - وهو أصدق قيل: ﴿الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ أراد الذين يتيقنون ذلك؛ فلم يذهب وهم عاقلٍ إلى أن الله - عز وجل - يمدح قوماً بالشك في لقائه»^(٢).

١- الأضداد ص ٣.

٢- الأضداد ص ٣.

رابعاً: الخلاف في وقوع الأضداد:

اختلف العلماء في وقوع الأضداد:

١- فمنهم من قال بإمكان وقوعها، وعدّ وضعيّتها في مأثور القوانين اللغوية، والمواضيع الاصطلاحية؛ وذلك لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية. وذكروا من عللها وأسبابها وشواهدها الشيء الكثير.

ومن هؤلاء: الأصمسي، وأبو عبيدة، وابن السكّيت، وقطرب، وابن فارس، وابن الأنباري وغيرهم - رحمهم الله - .

٢- ومنهم من أنكر الأضداد، وتأنّى ما ورد منها في اللغة، ونصوص العربية. وأشهر هؤلاء: ابن درستويه رحمه الله فإن له مصنفاً في إبطال الأضداد. قال السيوطي رحمه الله: «قال ابن درستويه في شرح الفصيح: النوع: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قد ناء: إذا طلع.

وزعم قوم من اللغويين أن النوع السقوط - أيضاً - وأنه من الأضداد. وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد. انتهى. فاستفينا من هذا أن ابن درستويه من ذهب إلى إنكار الأضداد، وأن له في ذلك تأليفاً ^(١).

٣- ومنهم من قال بوجود الأضداد إلا أنهم عدوها منقصة للعرب، ومثلبة من مثالبهم، واتخذوها دليلاً على نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم، وزعموا أن ورودها في كلامهم كان سبباً في كثرة الالتباس عند المخاطبات.

وهو لاء هم الشعوبية، أو من يسميهم ابن الأنباري (أهل البدع والزيف والإزراء بالعرب).

وقد مر في الفقرة الماضية رده عليهم.

وممن رد على هؤلاء ابن فارس حيث قال: « وأنكر ناس هذا المذهب ، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضدته .

وهذا ليس بشيء؛ وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهندأً ، والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ، ونقضه؛ فلذلك لم نكرره»^(١).

٤- ومنهم من قال بوقوعه ، وأنكر على من تعسف في إنكاره ، غير أنه يرى أن وروده لم يكن بتلك الكثرة التي ذهب إليها من يراه بإطلاق؛ ذلك أن كثيراً من الأمثلة التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها عن هذا الباب.

ففي بعض الأمثلة قد استعمل اللفظ في ضد ما وضع له مجرد التفاؤل كالمجازة في المكان الذي تغلب فيه الملكة؛ فقد سميت بذلك تفاؤلاً ، وكالسليم للملدوغ ، وكالريان والنائل للعطشان.

وفي بعضها قد استعمل اللفظ في ضد مجرد التهكم ، أو لاتقاء التلفظ بما يُكره التلفظ به ، أو بما يجهه الذوق ، أو بما يؤلم المخاطب.

١- الصاحبي ص ٦٠.

وذلك كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق ، والخفيف على الثقيل ،
وهكذا...

وقد مال إلى هذا الرأي بعض المحدثين كالدكتور علي عبد الواحد وافي^(١).

خامساً: المؤلفات في الأضداد: حاول العلماء حصر كلمات الأضداد ،
وجمعها من كلام العرب في شعرهم وترثهم ، وفيما ورد منها في القرآن ،
والحديث ، ثم أفردوها بالتأليف والتصنيف ، وأصبحت مصدرًا أصيلاً من
مصادر المعجمات.

ومن ألف في الأضداد - كما ذكر السيوطي^٢ - قطرب^٣ ، والتوزي^٤ ، وأبو البركات
ابن الأنباري ، وابن الدهان ، والصفاني^٥ .

هذا عدا الفصول التي وردت في كتاب الجمهرة لابن دريد ، والغريب المصنف
لأبي عبيد ، والصاحباني لابن فارس ، والمخصص لابن سيدة ، وفقه اللغة
للشعالي^٦ ، وديوان الأدب للفارابي ، والمزهر للسيوطى^٧ .

ولكن أعظم هذه الكتب خطراً ، وأوسعها كلماً ، وأحفلها بالشواهد ،
وأشملها للعلل هو كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المعروف بابن

١- انظر كتابه فقه اللغة ص ١٤٩-١٥٠.

٢- انظر المزهر ١/٣٩٧.

٣- انظر مقدمة محقق الأضداد ص ب - ج ، وتاريخ آداب العرب ١٩٨/١-١٩٩.

الأنباري^(١) ت ٣٢٧ هـ.

حتى قيل: إن كتاب أبي بكر بن الأنباري لم يؤلف مثله في الأضداد.

وقد اشتمل الكتاب على ٣٥٧ لفظاً من الأضداد؛ فأتى على جميع ما ألف قبله، وأربى عليه، وجاء بالعجب من أراجيز العرب، وشواهد القرآن والحديث والشعر في كثرة بالغة، وإسهاب كثير، مع عذوبة المورد، ووضوح التعبير، وإشراق الدلالة، واطراد التنسيق.

وقد أعانه على ذلك كثرة محفوظه، ووفرة روايته، ووضوح الفكرة في عقله مع دقة التعليل، وقوة الحجاج.

وقد قدم لكتابه ببحثٍ ضافٍ شامل انتصر فيه للعرب فيما أورد على أستتهم من ألفاظ الأضداد، وأبان عن حكمتهم فيما أرادوا، وعمل ذلك تعليلاً دقيقاً أميناً؛ فجاء كتابه أشمل كتاب، وأوفاه في هذا الموضوع^(٢).

والكتاب يقع في مجلد واحد وفي ٥١٧ صفحة، ويتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ومن مطبوعات المكتبة العصرية بيروت.

سادساً: أمثلة وشواهد للأضداد: هذه أمثلة للأضداد مختارة باختصار دون تفصيل من كتاب الأضداد لابن الأنباري بِحَمْلِ اللَّهِ.

١- القرء: حرف من الأضداد، يقال: القرء للطهر وهو مذهب أهل الحجاز،

١- أبو بكر بن الأنباري غير أبي البركات بن الأنباري، وكلاهما ألف في الأضداد إلا أن الأخير لم يصل إلينا كتابه.

٢- انظر مقدمة الأضداد ص ج.

- والقراء للحيض، وهو مذهب أهل العراق.
- ٢- عسوس: يقال: عسوس الليل إذا أدبر، وعسوس إذا أقبل.
- ٣- المولى: المنعم المُعتَق، والمولى: المنعم عليه المُعتَق.
- ٤- بسل: للحلال، وللحرام.
- ٥- اشتريت: بمعنى قبضته وأعطيت ثمنه، وبمعنى بعثه.
- ٦- بعت: على المعنى المعروف عند الناس، ويعت الشيء إذا بعثه أي اشتريته.
- ٧- السارب: المتواري والظاهر.
- ٨- عنوة: إذا أخذ الشيء غصباً وغلبة، ويطلق على ما إذا أخذه بمحنة ورضاً.
- ٩- الصرىخ والصارخ: للمغيث، وللمستغيث.
- ١٠- الدائم: يقال للساكن دائم، وللمتحرك دائم.
- ١١- الصرىم: يقال للليل: صريم، وللنهر: صريم؛ لأن كل واحد منهما يصرم صاحبه.
- ١٢- طرب: إذا فرح، وطرب إذا حزن.
- ١٣- السليم: يقال: سليم للسالم، وسلام: للملدوع.
- ١٤- السُّدْفَة: بنو تميم يذهبون إلى أنها الظلمة، وقيس يذهبون إلى أنها الضوء.
- ١٥- الناھل: للعطشان، وللريان.

- ١٦- **أَمْمَ**: يقال: أَمْمَ إِذَا كَانَ عَظِيمًا، وَأَمْمَ أَمْمَ إِذَا كَانَ صَغِيرًا.
- ١٧- **خَائِفٌ**: يقال: رَجُلٌ خَائِفٌ إِذَا كَانَ يَخَافُ غَيْرَهُ، وَسَبِيلٌ خَائِفٌ إِذَا كَانَ مَخْوِفًا.
- ١٨- **الْحَمِيمُ**: لِلْحَارِ، وَالْحَمِيمُ لِلْبَارِدِ.
- ١٩- **عَزَّرَتْ**: يقال: عَزَّرَتِ الرَّجُلُ إِذَا أَكْرَمَتْهُ، وَعَزَّرَتِهِ إِذَا لُمَّتْهُ وَعَنَّفَتْهُ.
- ٢٠- **قَلْصَ**: يقال: قَلْصَ الشَّيْءِ إِذَا قَصَرَ وَقَلَّ، وَقَلْصَ الْمَاءِ إِذَا جَمَّ وَزَادَ.
- ٢١- **الْغَرِيمُ**: الَّذِي لَهُ الدِّينُ، وَالْغَرِيمُ: الَّذِي عَلَيْهِ الدِّينُ.
- ٢٢- **الْحَزُورُ**: يقال لِلْغَلامِ الْيَافِعِ الَّذِي قَارِبَ الْاحْتِلَامَ: حَزُورٌ، وَيُقَالُ لِلشِّيخِ: حَزُورٌ.
- ٢٣- **الْتَّلْعَةُ**: يقال لِمَا ارْتَفَعَ مِنَ الْوَادِي وَغَيْرِهِ: تَلْعَةٌ، وَيُقَالُ لِمَا تَسْفُلُ وَجْرِيَ المَاءِ فِيهِ؛ لَا نَخْفَاضُهُ: تَلْعَةٌ.
- ٢٤- **الْبَعْلُ**: يقال لِمَا تَسْقِيَهُ السَّمَاءُ: بَعْلٌ، وَيُقَالُ لِمَا يَشْرُبُ بَعْرُوقَهُ: بَعْلٌ.
- ٢٥- **بَلْهَاءُ**: يقال: امْرَأَةٌ بَلْهَاءٌ: إِذَا كَانَتْ نَاقِصَةً لِلْعُقْلِ، فَاسِدَةً لِلْإِخْتِيَارِ.
وَامْرَأَةٌ بَلْهَاءٌ: إِذَا كَانَتْ كَامِلَةً لِلْعُقْلِ عَفِيفَةً صَالِحةً لَا تَعْرِفُ الشَّرَّ، وَلَا تَعْلَمُ الرِّيبَ.
- ٢٦- **الْخَابِطُ**: النَّائِمُ، وَالْخَابِطُ الَّذِي يَخْبِطُ بِيَدِهِ وَرِجْلِهِ.
- ٢٧- **نَسِيَتْ**: يَكُونُ بِمَعْنَى غَفَلَتْ عَنِ الشَّيْءِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى: تَرَكَتْ مُتَعَمِّدًا مِنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ لَحْقَتْنِي فِيهِ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى الغَفْلَةِ فَلَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى شَاهِدٍ.
وَكَوْنُهُ بِمَعْنَى التَّرْكِ شَاهِدَهُ قَوْلُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَ -: (نَسَوَا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) مَعْنَاهُ:

الباب الثاني: دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة

ترك إثابتهم ورحمتهم؛ لأنَّه قد جلَّ وعلا عن الغفلة والجهل.

٤٨- أفاد: يقال: أفاد الرجلُ مالاً إذا استفاده هو، وقد أفاد مالاً: إذا كسبه غيره فهو مفید في المعنيين.

المبحث الثالث:

المترادف

ويسمى : الترداد ، ويسمى : المرادف-أيضاً..

أولاً تعريفه:

أ - تعريفه في اللغة: قال ابن فارس رحمه الله : «الراء والدال والفاء أصلٌ واحدٌ مطردٌ، يدل على اتباع الشيء؛ فالترادف التتابع، والرديف الذي يرافقك»^(١).

ب- وفي الاصطلاح: عرف بعدة تعاريفات متقاربة: منها ما عرفه به الجرجاني حيث قال :

١- «المترادف ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة»^(٢).

٢- وعرفه بتعريف آخر فقال: «الترادف: هو عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد»^(٣).

٣- وعرفه - أيضاً - بقوله: «المرادف: ما كان مسماه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو خلاف المشترك»^(٤).

٤- وقال السيوطي: «قال الإمام فخر الدين: هو الألفاظ المفردة الدالة على

١- معجم مقاييس اللغة ٢/٥٠٣.

٢- التعريفات ص ١٩٩.

٣- التعريفات ص ٥٦.

٤- التعريفات ص ٤٠٨.

شيء واحد باعتبار واحد»^(١).

٥- وقيل: هو ما اتحد معناه، واختلف لفظه.

ومن أمثلة ذلك: السيف، والباتر، والمهد وغيرها كلها ألفاظ تدل على مسمى واحد.

ثانياً: سبب التسمية: قال الجرجاني عن سبب التسمية: «المترادف ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو ضد المشترك؛ أخذأ من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، لأن المعنى مركوب، واللقطين راكبان عليه كالليث والأسد»^(٢).

ثالثاً: الخلاف في وقوعه^(٣): ذهب بعض العلماء إلى إنكار المترادف.

قال السيوطي: «قال التاج السبكي في شرح المنهاج: ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المtbodyات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان والبشر؛ فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس.

والثاني - يعني البشر - باعتبار أنه بادي البشرة.

وكذا الخنديس: العقار^(٤); فإن الأول؛ باعتبار العنق، والثاني باعتبار عقر

١- المزهر ٤٠٢/١.

٢- التعريفات ص ١٩٩.

٣- انظر الصاحبي ٦١-٥٩، والمزهر ٤٠٣/١، ٤٠٥-٤٠٣.

٤- الخنديس والعقار: من أسماء الخمر.

الدن؛ لشدّتها.

وتتكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب»^(١).

ومن قال بهذا القول ابن فارس، ونقله عن شيخه ثعلب.

ومن قال بهذا القول أبو علي الفارسي^(٢).

وقال ابن فارس في الصاحبي في (باب الأسماء وكيف تقع على المسمايات) : «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو : السيف ، والمهند ، والحسام . والذى نقوله في هذا : إن الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى .

وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد ، وذلك قولنا : (سيف ، وغضب ، وحسام) .

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر ، قالوا : وكذلك الأفعال نحو : مضى ، وذهب ، وانطلق ، وقعد ، وجلس ، ورقد ، ونام ، وهجع .

قالوا : ففي (قعد) معنى ليس في (جلس) وكذا القول فيما سواه . وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب . واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه : لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته .

١- المزهر ٤٠٣/١

٢- انظر المزهر ٤٠٥/١

وذلك أنا نقول في (لا ريب فيه): (لا شك فيه) فلو كان (الريب) غير (الشك) ل كانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد.

قالوا: وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغاً، كقولهم:

وهند أتى من دونها النَّأْيُ وَالْبَعْدُ

فقالوا: فالنَّأْيُ هو الْبَعْدُ، قالوا: وكذلك قول الآخر إن الحبس هو الإصرُ.

ونحن نقول: إن في قعد معنى ليس في جلس، ألا ترى أنا نقول (قام ثم قعد) و (أخذه المقيم والمُقِدُّ) و (قعدت المرأة عن الحيض) ونقول لناس من الخوارج (قَعْدٌ) ثم نقول: (كان مضطجعاً فجلس) فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس؛ لأن (الجلْسَ: المرتفع) فالجلوس ارتفاع عما هو دونه، وعلى هذا يجري الباب كله.

وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء - فإنما نقول: إنما عبر عنه من طريق المشاكلة، ولستنا نقول إن اللفظتين مختلفتان، فيلزم مما قالوه، وإنما نقول: إن في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى»^(١).

وقال آخرون: إن الترادف واقع، وله فوائد، وهو قول كثير من ألف في هذا الباب كابن خالويه، والفiroزبادي، وغيرهم.

والحاصل - كما قال العلامة - عز الدين بن جماعة - : «أن من جعلها مترادفة

١- الصاحبي ص ٦٠-٥٩

ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات، والمتباينة في الصفات»^(١).

إذا قلنا - على سبيل المثال - : إن الله هو السميع ، العليم ، البصير ، الخالق ، الباري ، المصور ، فهذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على ذات واحدة ومسما واحد هو الله - عز وجل - .

وهي متباينة باعتبار أن في السميع معنىًّا غير المعنى الذي في البصير ، وهكذا... وكذلك أسماء الرسول ﷺ الحasher ، والعاقب ، وغيرها؛ فهي مترادفة باعتبار أنها دلت على مسمى واحد وهو الرسول ﷺ .

وهي متباينة لاختلاف معنى الحasher عن العاقب وهذا. وإلى هذا الرأي مال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرسالة التدميرية وغيرها^(٢) .

رابعاً: أسباب وقوع الترافق: قال السيوطي رحمه الله : «قال أهل الأصول: لوقع الألفاظ المترادفة سبيان :

أحدهما: أن يكون من وا ضيئن ، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الأسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمي الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ، ثم يشتهر الوضعن ، ويختفي الوا ضعن ، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر؛ وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية.

١- المزهر ٤٠٥/١

٢- التدميرية ص ١٠٢

والثاني: أن يكون من واضح واحد وهو الأقل»^(١).

خامساً: فوائد المترادف: لوقوع المترادف - عند القائلين به فوائد عديدة ترجح ما ذهبوا إليه، وترد على من يقول بمنع وقوعه، ومن تلك الفوائد ما يلي^(٢):

١- أن تكثُر الوسائل إلى الإِخبار عما في النفس؛ فإنه ربما نسي أحد اللفظين، أو عسر عليه النطق به.

وكان واصل بن عطاء أَلْثَغُ، فلم يُحفظ عنه أنه نطق بالراء، ولو لا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك.

٢- التوسيع في سلوك طرق الفصاحة، وأساليب البلاغة في النظم والنشر؛ وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتَّأْتِي - باستعماله مع لفظ آخر - السجعُ، والقافيةُ، والتجنِّيسُ، والترصيعُ، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتَّأْتِي ذلك باستعمال مراوِّدَه مع ذلك اللفظ.

٣- المراوحة في الأسلوب، وطرد الملل والسامة؛ لأن ذكر اللفظ بعينه مكرراً قد لا يسونغ، وقد يُمَجَّ، ولا يخفى أن النقوس موكلة بمعاداة المعادات.

٤- قد يكون أحد المترادفين أَجْلَى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفي. وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين.

١- المزهر ٤٠٥-٤٠٦.

٢- انظر المزهر ٤٠٦/١.

سادساً: المؤلفات في المترادف^(١): ألف في المترادف مجموعة من العلماء، منهم العلامة مجد الدين الفيروز أبادي صاحب القاموس، حيث ألف كتاباً سماه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الوف).

وأفرد خلق من الأئمة كتاباً في أشياء مخصوصة؛ فألف ابن خالوية كتاباً في أسماء الأسد، وكتاباً في أسماء الجنة.

أما الكتب التي تحدثت عن المترادف ضمناً فكثيرة، ومنها المزهر للسيوطى، حيث خصص النوع السابع والعشرين منه في معرفة المترادف.

سابعاً: أمثلة من المترادف^(٢):

١- العسل : له ثمانون اسمأً أوردها صاحب القاموس في كتابه الذي سماه (ترقيق الأسل لتصفيق العسل).

ومن تلك الأسماء: العسل ، والضرّب ، والضرّبة ، والضرّيب ، والشوب ، والذّوب ، والحميت ، والتحموم ، والجلّس ، والورس ، والشهد ، والشّهد ، والمادي ، ولعاب النحل ، والرحيق ، وغيرها.

٢- السيف : ومن أسمائه مما ذكره ابن خالويه في شرح الدریدية: الصارم ، والرّداء ، والخليل ، والقضيب ، والصفحة ، والمُفتر ، والصمصامة ، والكهام ، والمشريفي ، والحسام ، والغضب ، والمذكّر ، والمهند ، والصقيل ، والأبيض ، وغيرها.

١- انظر المزهر ٤٠٧/١.

٢- انظر المزهر ٤١٣-٤٠٧/١.

- ٣- يقال: أخذه بأجْمَعِهِ، وأجْمَعِهِ، وبجذافيره، وجذاميره، وجذاميره، وجراميزه، وبجملته.
- ٤- العمامة: ويقال: الشوذ، والسبّ، والعصابة، والتاج، والمكورة.
- ٥- قال ابن السكيت: العرب تقول: لأقين ميلك، وجنفك، ودرأك، وصغاك، وصداعك، وقدلك، وضيلوك كله بمعنى واحد.
- ٦- ويقال: قُطعت يده، وجذمت، وبترت، وبُكت، وبصكت، وصرمت، وثرت، وجذت.
- ٧- ويقال: وقع ذلك في رُوعي، وخليدي، ووهمي، بمعنى واحد.
- ٨- وفي أمالی ثعلب يقال: سويداء قلبه، وحبة قلبه، وسوداد قلبه، وسودادة قلبه، وجُلجلان قلبه، وسوداء قلبه بمعنى واحد.
- ٩- وفي الجمهرة: قال أبو زيد: قلت لأنعربى: ما المحبنطى^(١)? قال: المتكائى، قلت: ما المتكائى؟ قال: المتأزف، قلت ما المتأزف؟ قال: أنت أحمق.

١- المحبنطى: السمين الضخم، ويقال: هو الممتلىء غيظاً.

الفصل الثالث: الاشتقاد، والقياس

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الاشتقاد.

المبحث الثاني: القياس.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثالث

الاشتقاق، والقياس

المبحث الأول:

الاشتقاق

أولاً: تعريف الاشتقاق:

أ - تعريفه في اللغة: الاشتقاق في اللغة أخذ شيء من شيء.

قال ابن منظور رحمه الله: «اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل، واشتقاق الكلام: الأخذ به يبيناً وشملاً، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه»^(١).

ب - تعريفه في الاصطلاح: عرف الاشتقاق بعدة تعاريفات منها:

١ - هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنىًّا ومادةً أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليُدلَّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة^(٢).

٢ - وعرف بأنه: عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من صيغة أخرى^(٣).

٣ - وعرف بأنه: استخراج لفظ من لفظ آخر متفق معه في المعنى والحراف

١- لسان العرب ١/١٨٤.

٢- المزهر ١/٣٤٦ وقد نقله السيوطي عن صاحب شرح التسهيل أبي حيان.

٣- انظر من أسرار اللغة ص ٦٢.

الأصلية^(١).

٤- وعرف بأنه: أخذ الكلمة من الكلمة أخرى أو أكثر مع تناسبٍ بينهما في اللفظ والمعنى^(٢).

ج - أمثلة على الاشتقاد: ضارب من ضرب، وحَذِّر من حَذِر، وهكذا...
 د - طريقة معرفة الاشتقاد: أما طريقة معرفته فتكون من خلال تقليل تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطرادٍ، أو حروفاً غالباً، كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط.
 أما ضارب ومضروب، ويضرب، واضْرِب فكلها أكثر دلالة، وأكثر حروفاً.
 وضرُب الماضي مساوٍ حروفاً، وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ض رب) وفي هيئة تركيبها.

هذا هو الاشتقاد الصرفي المعروف المحتاج به الذي ينصرف الذهن إليه عند إطلاق الاشتقاد، وهو ما يعرف عند بعض اللغويين كابن جني بالاشتقاق الصغير أو الأصغر، حيث قال: «فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم لأن تأخذ أصلاً من الأصول، فتتقرّاه، فتجمع بين معانيه، وإن اختفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك ما تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو: سلم، ويسلم، وسلام، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديغ؛ أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة.

١- انظر من أسرار اللغة ص ٦٣.

٢- هذا تعريف للأستاذ عبد السلام هارون. انظر مقدمته لكتاب الاشتقاد لابن دريد ص ٢٦.

وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته، وبقية الأصول غيره كـ: تركيب (ض رب) و (ج ل س) و (ز ب ل) على ما في أيدي الناس من ذلك؛ فهذا هو الاشتقاد الأصغر»^(١).

ثانياً: أقوال العلماء في وقوع الاشتقاد في اللغة:

قال السيوطي رحمه الله: «وأختلفوا في الاشتقاد الأصغر؛ فقال سيبويه، والخليل، وأبو عمرو، وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصمعي، وأبو زيد، وابن الأعرابي، والشيباني، وطائفة: بعض الكلم مشتق، وبعضه غير مشتق.

وقالت طائفة من المتأخرین اللغويین: كل الكلم مشتق؛ ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج.

وقالت طائفة من النظار: الكلم كله أصل، والقول الأوسط تخليط لا يعد قوله، لأنه لو كان كل منها فرع للأخر لدار أو تسلسل، وكلاهما محال؛ بل يلزم الدور علينا؛ لأنه يثبت لكل منها أنه فرع، وبعض ما هو فرع لابد أنه أصل؛ ضرورة أن المشتق كله راجع إليه - أيضاً -.

لا يقال: هو أصل وفرع بوجهين؛ لأن الشرط اتحاد المعنى، والمادة، وهيئة التركيب؛ مع أن كل منها مفرع عن الآخر بذلك المعنى»^(٢).

وقال ابن فارس رحمه الله: «باب القول على لغة العرب هل لها قياس، وهل

١- الخصائص ٤٩٠/١.

٢- المزهر ٣٤٨/١.

يشتق بعض الكلام من بعض؟

أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة، وأجْنَه الليل، وهذا جنٌّ، أي هو في بطن أمِّه أو مقبور، وأن الإنس من الظهور؛ يقولون: آنسٌ الشيء: أبصرته.

وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهه من جهل. قلنا: وهذا - أيضاً - مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف؛ فإن الذي وقفنا على أن الاجتنان التستر هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه. وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقتبس قياساً لم يقيسوا؛ لأن في ذلك فساد اللغة ويطلان حقائقها.

ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن»^(١).

وقال ابن دحية في التنوير: «الاشتقاق من أغرب كلام العرب، وهو ثابت عن الله - تعالى - بنقل العدول عن الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لأنَّه أöttى جوامع الكلم، وهي جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة؛ فمن ذلك قوله فيما صح عنه: «يقول الله: أنا الرحمن خلقت الرحمن، وشققت لها من اسمي» وغير ذلك من الأحاديث»^(٢).

١- الصاحبي ص ٣٥-٣٦.

٢- المزهر ١/٤٣.

أما أكثر العلماء كلاماً على الاشتقاد فهو ابن جني - كما مضى النقل عنه، وكما سيأتي - .

ثالثاً: التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق:

قال السيوطي : «ثم التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق خمسة عشر :

الأول - زيادة حركة ، كعلم وعلم.

الثاني - زيادة مادة ، كطالب وطلب.

الثالث - زيادتهما ، كضارب وضرب.

الرابع - نقصان حركة ، كالفرس من الفرس.

الخامس - نقصان مادة ، كثبت وثبات.

السادس - نقصانهما ، كنزا ونزوان.

السابع - نقصان حركة وزيادة مادة ، كغضبي وغضب.

الثامن - نقص مادة وزيادة حركة ، كحرم وحرمان.

التاسع - زيادتهما مع نقصانهما ، كاستنوق من الناقة.

العاشر - تغاير الحركتين ، كبطر بطراً.

الحادي عشر - نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف ، كاضرب من الضرب.

الثاني عشر - نقصان مادة وزيادة أخرى ، كراضع من الرضاعة.

الثالث عشر - نقص مادة بزيادة أخرى وحركة ، كخاف من الخوف؛ لأن الفاء ساكنة في خوف؛ لعدم التركيب.

الرابع عشر - نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، كعد من الوعد؛ فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة.

الخامس عشر - نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ، كفاخر من الفخار ، نقصت ألف ، وزادت ألف وفتحة^(١).

رابعاً: المؤلفات في الاشتقاد: قال السيوطي رحمه الله : «أفرد الاشتقاد بالتأليف جماعة من المتقدمين منهم الأصمسي، وقطرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي، والمفضل بن سلمة، والمبرد، وابن دريد، والزجاج، وابن السراج، والرماني، والنحاس، وابن خالويه»^(٢).

ومن كتب في الاشتقاد العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله حيث ألف كتاباً اسمه (نزهة الأحداق).

ومن كتب في الاشتقاد صديق خان رحمه الله في كتابه (العلم الخفاف من علم الاشتقاد).

ومن المحدثين عبد القادر المغربي في كتابه (الاشتقاق والتعريف).

ومنهم عبدالله أمين في كتابه (الاشتقاق) وقد بلغ فيه الغاية القصوى - كما قال الأستاذ عبدالسلام هارون -^(٣).

وأما الذين أودعوه مؤلفاتهم من المحدثين فكثير منهم د. إبراهيم أنيس في كتابه

١- المزهر ٣٤٨/١.

٢- المزهر للسيوطى ٣٥١/١.

٣- انظر مقدمته لكتاب الاشتقاد لابن دريد ص ٣٠.

(من أسرار اللغة) ود. علي عبدالواحد وافي في كتابه (فقه اللغة) ود. إميل يعقوب في كتابه (فقه اللغة العربية وخصائصها) وغيرهم كثيرون.

خامساً: أقسام الاشتقاد:

١- الاشتقاد الصرفي: وهو ما يسميه ابن جنی بالصغر أو الأصغر وقد مضى الحديث عنه.

٢- الاشتقاد الأكبر: وأول من قال به ابن جنی؛ حيث قال في الخصائص :

باب في الاشتقاد الأكبر

هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي^(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاد الأصغر، لكنه - مع هذا - لم يسمّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويتروح إليه، ويتعلّل به.

وإنما هذا التلقيب لنا نحن، وستراه، فتعلم أنه لقب مستحسن؛ وذلك أن الاشتقاد عندي على ضررين: **كبير وصغير**^(٢).

ثم عرف الصغير - كما مر - وعرف الكبير، وسماه الأكبر حيث قال: «وأما الاشتقاد الأكبر فهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، وتتجتمع عليه التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه.

١- يعني شيخه أبا علي الفارسي.

٢- الخصائص ٤٩٠/١.

وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه»^(١).

ثم ذكر أمثلة لذلك؛ وأحال إلى ما ذكره في أول الكتاب؛ حيث كان يذكر الكلمة، وتقليلياتها ثم يجعل بينهما معنى عاماً مشتركاً تدور حول هذه المادة وسائر تقليلياتها، وما ذكره من أمثلة ما يلي^(٢):

أ - (كلم): وتقليلياتها: كمل، مكل، ملك، لكم، لملك، - وتفيد كلها معنى (القوة والشدة).

ب - (قول): وتقليلياتها: قلو، وقل، ولق، لقو، لوق - وتفيد كلها معنى: (الإسراع والخففة).

ج - (جبر): وتقليلياتها: جرب، بجر، برج، رجب، ريج - وتفيد كلها معنى (القوة والشدة).

د - (قس): وتقليلياتها: قوس، وقس، وسق، سوق، سقو - وتفيد كلها معنى (القوة والاجتماع).

ه - (سمل): وتقليلياتها: سلم، مسل، ملس، لمس، لسم - وتفيد كلها معنى (الاصحاب والملاينة).

هذان هما القسمان المشهوران للاشتراق، والأخير منهما من صنيع ابن جني.

وهما عنده صغير ويسميه أصغر، وكبير ويسميه أكبر.

وهناك تقسيمات أخرى لبعض المحدثين كعبد الله أمين في كتابه الاشتراق،

١- الخصائص ١/٤٩٠.

٢- انظر الخصائص ١/٦٨-٦٧ و ١/٤٩٠-٤٩٣.

وغيره من كتبوا في الاشتقاد، حيث يقسمون الاشتقاد تقسيماً آخر على نحو ما يأتي^(١):

١- الاشتقاد الصرفي الصغير - كما مر - وعرفه بأنه: انتزاع الكلمة من الكلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الأصلية، وفي ترتيبها..

٢- الاشتقاد الكبير: ويقصد به انتزاع الكلمة من أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة وفي مخارج الأحرف المغيرة. ويعرف هذا عند بعض العلماء بـ(القلب المكاني)^(٢).

ومن أمثلته قولهم: جبذ وجذب، وما أطيه وما أطيبه، وريض، ورضب، وصاعقة، وصاقعة، ولعمري، ورعملي، واضمحل، وامضحل، وعميق، ومعيق، وأسير مكلب^{*}، ومكبل^{*}، وسبب وسبس: القفر، وشرخ الشباب وشخره: أوله، وعاث ويعيث، وعثا يعني: إذا أفسد، وأحجمت عن الأمر وأجحمت وهكذا...

وسيأتي مزيد كلام عن هذا عند الحديث عن القلب المكاني.

٣- الاشتقاد الكبار، أو مسماه ابن جني: الاشتقاد الكبير أو الأكبر: وهو أن تتحد الكلمات في بعض الحروف، وتختلف في باقيها مع اتحادها في المخرج. مثل: نعف ونهق: العين والهاء حرفان حلقيان.

١- انظر مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لكتاب الاشتقاد لابن دريد ص ٢٨.

٢- انظر المزهر ١٣٧٦-٢٨١.

ومثل: هتن، وهتل، وهطل.

٤- الاشتقاد الكبار: وهو أن يؤخذ من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة، وهو ما يعرف بالنحو.

مثاله قولهم في: أَدَمُ اللَّهُ أَعْزُكُ: دَمْعَةٌ، وفي: لَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ: حُوقْلَةٌ، وفي بسم الله: بسْمَلَةٌ.
كما قال الشاعر:

لقد بسملت ليلي غداة لقيتها
وفي قوله: في عبدشمس: عبشي كلام في قول الشاعر:
وتضحك مني شيخة عبشمية
وسيأتي مزيد حديث عن النحو بخصوصه.

سادساً: من آراء ابن جني في الاشتقاد:

يعد ابن جني رحمه الله من أعظم وأقدم من توسع في الاشتقاد من علماء العربية إن لم يكن أعظمهم، وفيما يلي خلاصات بعض آرائه في الاشتقاد في كتابه *الخصائص*:

١- لا ندعى أن الاشتقاد الأكبر مستمر في جميع اللغة؛ فهو لا يطرد ولا ينقاس في كل أصل، على أنك إذا أنعمت النظر ولاطفته، وتركت الضجر وتحاميته - لم ت عدم قرب بعض من بعض. ٦٧/١ و ٤٩٣/١

٢- منفعة الاشتقاد لصاحبها: أن يسمع الرجل اللفظة، فيشك فيها، فإذا رأى الاشتقاد قابلاً لها أنس بها، وزال استيحاشه منها. ٣٦٧/١

- ٣- العرب إذا اشتقت من الأعجمي خللت فيه. ٣٥٨/١
- ٤- الحروف يشتق منها، ولا تشتق هي أبداً. ٤١٩/١
- ٥- الألفاتُ التي في الحروف والأصوات غير منقلبة عن شيء، نحو ألف (لا) و (ما) و (قاف) فإذا اشتقت منها استحالت تلك الألف وصارت كالمقلبة، ويعتقد فيها حينئذ أنها عن واو، عملاً بالأكثر في الألفات، فتقول: مَوْيَتْ وَلَوْيَتْ وَقَوْفَتْ. ٢٨٥/١
- ٦- كثُر اشتراق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف، نحو هاهيت، وسَأَسَاتْ، وشَأْشَاتْ، وحَأْحَاتْ، وحَأْحَيَتْ، وعَاعِيَتْ، وهذا كثير في الزجر. ٤٢١، ٥١٤/١
- ٧- اشتقوا أسماء للأشياء من أصواتها، نحو: الخازِبَار، والبَطْ، والوَاقِ، وغَاق، وحَاءِ، وعَاءِ، وهَاءِ. ٥١٤/١
- ٨- اشتقوا أفعالاً من المركبات، نحو: بَسْمَلَتْ، وَهَيْلَتْ، وَحَوْقَلَتْ. ٥٥١٤/١
- ٩- المصدر يشتق من الجوهر، كالنبات من النبت، ومن الحرف نحو: الالْلَة وَاللَّوْلَة. ٤١٧/١
- ١٠- كثير من الأفعال مشتق من الحروف، نحو: لَوْيَتْ لِي، وَلَائِتْ لِي، وسَوْفَ، وجميع تصرفات (ن ع م) إنما هو من حرف الجواب (نعم) وجميع تصرفات (ب ج ل) إنما هو من (بَجَلْ) بمعنى حسبك. ٤١٧-٤١٩/١
- ١١- لو اشتقت من الجار والجرور (بأبي أنت) بعد أن تعتقد تركيبه - اشتراكاً

صوتيًا لقلت: بِأَبَاتْ بِهِ بَيْنَاءُ وَبَيْنَاءً، وَصَارَ نَحْوُ زَلْزَلٍ زَلْزَلًا وَزَلْزَلَةً، بَلْ اشْتَقَ مِنْهُ
 (بِئْبَ) عَلَى وَزْنِ عِنْبٍ. ٢٨٥-٢٨٦/١

١٢ - (النَّاقَةُ) مِنَ التَّنْوِيقِ فِي الشَّيْءِ وَتَحْسِينِهِ، وَ(الجَمَلُ) فَعَلٌّ مِنَ الْجَمَالِ، وَ
 (الوِشَاءُ) فَعَالٌّ مِنَ الْوَشَاءِ، وَمَا بِالدَّارِ (دِيْبَاجٌ) فِعْلٌ مِنَ الدِّيَبَاجِ، وَ(إِنْسَانٌ)
 فَعْلَانٌ مِنَ الإِنْسَانِ.

وَكُلُّهَا أَفْرَادٌ مُتَلَاقِيَّةٌ لِمَعْنَى فِي الْاِشْتِقَاقِ مَا أَخْذَتْ مِنْهُ. ١٥٩-١٦٠/١

١٣ - اشْتَقُوا اسْمًا لِلنَّاقَةِ مِنْ لَفْظِ (الجَمَلُ) فَقَالُوا: جُمَالِيَّةٌ، تَشَبِّهَا لَهَا بِهِ فِي
 شَدَّتِهِ وَعَلُوِّ خَلْقِهِ. ٣٠٨/١

١٤ - (هَلْمَمْتُ) مُشَتَّقٌ مِنْ (هَلْمٌ) الَّتِي أَصْلَاهَا: هَاوِلْمٌ. ٢٨٧/١

١٥ - لَا يُسْتَكِرُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَسْمَاءِ غَيْرِ الْجَارِيَّةِ عَلَى الْأَفْعَالِ مَعَانِي
 الْأَفْعَالِ، نَحْوِ: مَفْتَاحٌ وَمَنْسَجٌ، وَمُسْعَطٌ، وَمَنْدِيلٌ، وَدَارٌ، وَحَائِشٌ، وَحَائِطٌ،
 وَعَاثِرٌ؛ فَهِيَ مِنْ: الْفَتْحِ، وَالنَّسْجِ، وَالْإِسْعَاطِ، وَالنَّدْلِ، وَالدَّوْرِ، وَالْخَوْشِ،
 وَالْحَوْطِ، وَالْعَوْرِ - وَفِيهَا كُلُّهَا مَعَانِي الْأَفْعَالِ الْمُلَاقِيَّةِ لِهَا فِي الْاِشْتِقَاقِ. ١٥٨/١

المبحث الثاني:

القياس

أولاً: تعريفه:

أ- تعريفه في اللغة والشرع: القياس مصدر الفعل قاس.

قال ابن منظور رحمه الله : «قاس الشيء يقيسه، قياساً، وقياسه، واقتاسه، وقيسه: إذا قدر على مثاله»^(١).

وقال: «ويقال: قاپست بین شیئین إذا قادرت بینهما»^(۲).

وقال الجرجاني رحمه الله : «القياس في اللغة: عبارة عن التقدير، يقال: قسّت النعل بالنعل إذا قدرته وسوّيته، وهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره».

ثم بين بِحَمْدِ اللَّهِ : تعريفه في الشرع فقال : «وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستربط من النص؛ لتعديه الحُكْمَ من المنصوص عليه إلى غيره ، وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم »^(٢) .

وَحْدَهُ ابْنُ حَزْمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِقَوْلِهِ: «هُوَ الَّذِي لَا نَصْرٌ
لِلشَّافِعِيِّ إِلَّا مَنْ تَكَبَّرَ وَأَنْتَ أَنْتَ الْمُكَفَّرُ»^(٤).

١- لسان العرب / ٦٨٦

٢- لسان العرب / ٦٨٧

٣- التعريفات ص ١٨١.

٤- ملخص ابطال القياس لابن حزم ص ٣٤، وانظر ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية د.

عبد الفتاح السجدة ص ٧٠

ب - مفهوم القياس عند علماء النحو واللغة: القياس عند علماء النحو واللغة قريب من القياس الفقهي؛ لأن بينهما - كما يقول ابن الأباري - : «من المناسبة ما لا خفاء فيه؛ لأن النحو معقول من منقول، كما أن الفقه معقول من منقول»^(١).

فالقياس عند النحويين يعني: التعديد، أو استخراج القواعد بعد تتبع كلام العرب؛ حيث كانوا يقيسون كلاماً على آخر من كلام العرب. وبعد ذلك صار القياس بمعنى الإضافة، أي إضافة كلام إلى لغة العرب بعد قياس على لغة العرب.

هذا هو معنى القياس الذي تدور تعريفاته حوله.

قال أبو البركات ابن الأباري رحمه الله : «القياس هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه»^(٢).

وقيل: « هو رد الشيء إلى نظيره، واكتشاف المجهول من المعلوم»^(٣).

كما عُرِّف بأنه «محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية، وحمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول المادة، وفروعها، وضبط الحركات، وتركيب

١- الاقتراح للسيوطني ص ٢٢، ونזהة الأدباء لابن الأباري ص ٧٦، وانظر ظاهرة الحمل ص ١٠١.

٢- الإغراب في جدل الإعراب ص ٤٥، وانظر ظاهرة قياس الحمل ص ٧١.

٣- من أسرار اللغة ص ٨.

الكلمات، وما يتبع ذلك من إعلال، وإبدال، وإدغام، وحذف وزيادة»^(١).

ج - أركان القياس^(٢): من خلال ما مضى يتبيّن أن للقياس أربعة أركان:

١- المقيس عليه وهو الأصل المعلوم، ويعنون به شيئاً: أحدهما المادة اللغوية المنقولة من العرب بطريق السمع، والرواية بالمشاهدة، أو التدوين.

وثانيهما: القواعد النحوية التي صاغها النحاة من استقراء تلك المادة.

٢- المقيس: وهو الفرع المجهول، وهو ما كان محمولاً على كلام العرب.

٣- الشبه أو العلاقة أو العلة الجامعة: وهو ما قدره النحويون من أسباب استحق بوجبه المقيس حكم المقيس عليه.

٤- الحكم: وهو ما يسري على المقيس مما هو في المقيس عليه.

ثانياً: أنواع القياس^(٣): تجري كلمة القياس عند البحث في معاني الألفاظ العربية، وأحكامها فترد على أربعة أوجه:

أحدها: حمل العرب أنفسهم بعض الكلمات على أخرى، وإعطاؤها حكمها لوجه يجمع بينهما، كما يقال: أُعرب الفعل المضارع قياساً على الاسم لمشابهته له في احتماله؛ لمعان لا يتبيّن المراد منها إلا بالإعراب.

والقياس بهذا المعنى واقع من العرب أنفسهم، ويذكره النحوي؛ تنبئها على

١- معجم المصطلحات النحوية د. محمد نجيب اللبدي ص ١٩١-١٩٢، وانظر ظاهرة قياس الحمل ص ٧٢.

٢- انظر تفصيل ذلك في ظاهرة الحمل ص ٨٠-٨١.

٣- انظر القياس في اللغة العربية للشيخ محمد الخضر حسين ص ٣٥-٣٨.

علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح.

وليس هذا الضرب من القياس داخلاً في ما نحن بصدده.

ثانيها: ان تعمد إلى اسم وُضع لمعنى يشتمل على وصف يدور معه الاسم وجوداً وعدماً؛ فتعدى هذا الاسم إلى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف، وتجعل هذا المعنى من مدلولات ذلك الاسم لغةً.

ومثال هذا اسم الخمر عند من يراه موضوعاً للمعتصر من العنب خاصة، وما وضع للمعتصر من العنب إلا لوصف هو مخامرته للعقل وستره، فإذا وجد عصير من غير العنب يشارك المعتصر من العنب في الشدة المطربة المخمرة للعقل، فإن من يقول بصححة هذا القياس يجعل هذا العصير من أفراد الخمر ويسميه خمراً تسمية حقيقة لغوية.

وإن شئت مثلاً آخر فانظر في اسم السارق عند من يقول: إنه موضوع لمن يأخذ مال الأحياء خفيةً؛ فإنك تجده من ينبعش القبور لأخذ ما على الموتى من أكفان - قد شارك من يأخذ أموال الأحياء في وصف أخذ المال خفيةً، ومقتضى صحة هذا الضرب من القياس أن تجعل اسم السارق متداولاً للنباش على وجه الحقيقة اللغوية، وتكون هذه الحقيقة قد تقررت من طريق القياس لا من طريق السمع.

وهذا الضرب من القياس هو الذي ينظر إليه علماء أصول الفقه عندما يتعرضون لمسألة: (هل ثبتت اللغة بالقياس).

ثالثها: إلحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى

انتظمت منه قاعدة عامة كصيغ التصغير والنسب والجمع.

وأصل هذا أن الكلمات الواردة في كلام العرب على حالة خاصة، يستنبط منها علماء العربية قاعدة تخلو المتكلم الحق في أن يقيس على تلك الكلمات الواردة، ما ينطق به من أمثالها.

رابعها: إعطاء الكلم حُكْمَ ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها في نوعها، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه، كما أجاز الجمهور ترخيص المركب المزجي قياساً على الأسماء المنتهية بباء التأنيث، وكما أجاز طائفة حذف الضمير المجرور العائد من الصلة إلى الموصول متى تعين حرف الجر، قياساً على حذف الضمير العائد من جملة الخبر إلى المبتدأ، فتقول: قضيت الليلة التي ولدت في سرور، أي ولدت فيها، جاز لك أن تقول: هذا الكتاب الورقة تساوي درهماً، أي الورقة منه بدرهم.

ثالثاً: آراء العلماء في القياس: يرى ابن فارس رحمه الله أنه يجب الوقوف عند المسموع من كلام العرب، وأنه لا يصح لنا أن نقيس قياساً لم يقسها العرب؛ فهو يرى أن العرب قاسوا ولكن لا يسوغ لنا أن نقيس على ما قاسوه شيئاً، بل نعتقد أن اللغة وقف.

وقد عقد في كتابه الصاحبي باباً عنوانه: (باب القول على لغة العرب: هل لها قياس، وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟). ثم قال: «أجمع أهل اللغة - إلا من شذ - أن لغة العرب قياساً، وأن العرب

تشتق بعض الكلام من بعض»^(١).

إلى أن قال: «وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا نقيس
قياساً لم يقيسوا؛ لأن في ذلك فساد اللغة، ويطلانَ حقائقها.
ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن»^(٢).

أما ابن جنبي رحمه الله وهو ممثل مدرسة أبي علي الفارسي، وأبي عثمان المازني - فإنه يرى القياس، وقد عقد في كتابه (الخصائص) باباً عنوانه: (باب في أن ما
قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب).

وقال تحته: «هذا موضع شريف، وأكثر الناس يضعف عن احتماله؛
لغموضه ولطفه.

والمفعة به عامة، والتساند إليه مقوٌّ مُجْدٍ.

وقد نص أبو عثمان - يعني المازني - فقال: ما قيس على كلام العرب فهو من
كلام العرب؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول،
 وإنما سمعت البعض فقيست عليه غيره؛ فإذا سمعت (قام زيد) أجزٌ: ظرفٌ
بِشْرٌ، وكرمٌ خالدٌ.

قال أبو علي - يعني الفارسي - : إذا قلت: (طاب الخشونان) فهذا من كلام
العرب؛ لأنك بإعرابك إيه قد أدخلته كلام العرب.

ويؤكد هذا عندك أن ما أعراب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى

١- الصحابي ص ٣٥.

٢- الصحابي ص ٣٦.

أصول كلامها؛ ألا تراهم يصرفون في العلم نحو آجرٌ، وإبرَيْسِيم، وفِرْنِدٌ، وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف.

وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديباج، والفرِند، والسِّهريز^(١)، والأَجْرُ - أشبه أصول كلام العرب، أعني النكرات؛ فجرى في الصرف ومنْعِه مجراتها.

قال أبو علي : ويؤكِّد ذلك أنَّ العرب اشتقت من الأَعجمي النكرة، كما تشتق من أصول كلامها، قال رؤبة :

هل يُنجِينِي حلف سِختيت^(٢) أو فضة أو ذهب كبريت
قال : ف (سِختيت) من السُّخْت، ك (زحليل) من الزحل.

وحكى لنا أبو علي عن ابن الأعرابي أظنه قال : يقال دَرْهَمَتُ الْخَبَازِيَّ، أي صارت كالدراهم ، فاشتق من الدرهم وهو اسم أَعجمي.

وحكى أبو زيد : رجل مُدَرْهَم ، قال : ولم يقولوا منه : دُرْهِم؛ إلا أنه إذا جاء اسم المفعول فال فعل نفسه حاصل في الكف ، ولهذا أشباه» .

إلى آخر ما قاله ابن جني في ذلك الباب^(٣).

رابعاً: طريقة العلماء في استنباط قواعد القياس^(٤):

من الجلي أنَّ العرب لم يصرحوا بعمل القياس في شيء من أحوال الكلم أو

١- السِّهريز : ضرب من التمر ، معرب.

٢- سِختيت : شديد.

٣- انظر الخصائص ١/٣٥٦-٣٦٧.

٤- انظر القياس في اللغة العربية ص ٦٩.

نظم الكلام، ولكن علماء اللسان يتبعون موارد كلامهم، ويعرفون أحواله؛ فإذا وجدوا في الكلم نفسها، أو تأليفها حالاً جرى عليها العرب بحيث يصح أن تكون موضع قدوة استبطوا منها قاعدة؛ ليقاس على تلك الألفاظ المسموعة أشباهها ونظائرها.

وقد يختلفون في صحة القياس لأسباب ستأتي ذكرها في الفقرة التالية.

خامساً: أسباب اختلاف العلماء في القياس^(١): هناك أسباب

لاختلاف العلماء في صحة القياس منها:

١ - أن يتواتر لدى العالم من استقراء كلام العرب ما يكفي لتركيب قاعدة؛ فيجيز القياس، ولا يبلغ الآخر بتبعه مقدار ما يؤخذ منه حكمٌ كليٌّ؛ فيقتصر الأمر على السمع.

٢ - قد يستوي الفريقيان، أو يتقاربان فيما عرفوه من الشواهد، ويكتفي به أحدهما في فتح باب القياس، ويستقله الآخر؛ فلا يتخطى به حد السمع.

٣ - قد يختلفون في القياس؛ نظراً إلى ما يقف لهم من الأحوال التي تعارض السمع؛ فالكوفيون الذين يكتفون في بعض الأقiseة بالشاهد والشهدين - قالوا: إن صيغ المبالغة: (فعَالٌ ومِفْعَالٌ وفَعُولٌ) لا تعمل عمل اسم الفاعل، وأخذوا يؤلون الشواهد التي سردها البصريون مثل:

أخو الحرب لباساً إليها جلالها
وليس بولاج الخوالف أعقلاً
واعتذروا عن عدم قبولها والتمسك بظاهرها بأن اسم الفاعل إنما عمل لشبيهه

١ - انظر القياس ص ٦٩-٧٠، وظاهرة قياس الحمل ص ١٠١-١٣٤.

بالفعل المضارع في وزنه ، والصيغُ المذكورةُ لم تجئ على الوزن الذي قرب اسم الفاعل من أصله الذي هو المضارع ، أخذًا بتلك الشواهد ، وأبطلوا ما اعتذر به الكوفيون؛ فقالوا في جوابهم : إن المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الأبنية جبرت ما نقصها من الشبه في اللفظ؛ فتقابل مشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به أبنية المبالغة؛ فتحصل الموازنة ، والتساوي في طلب العمل من غير تفاضل .

٤- اختلاف أنظارهم في الشاهد أو الشواهد التي تذكر؛ ليقاس عليها؛ فيختلفون فيأمانة ناقلها ، أو في صحة عربية قائلها ، أو في وجوه فهمها وإعرابها . ومن لا يثق بأمانة الناقل للكلام ، أو لا يسلّم أن الكلام صادر من ينطق بالعربية الصحيحة لا يقيم لذلك الكلام وزناً ، ولا يعوّل عليه شيء من أحكام اللسان .

وإذا تبادر إلى ذهن عالم في فهم الكلام ، وإعرابه وجّه يفتح له السبيل لأن يستتبع منه حكمًا ، ويقيّم منه قاعدة - فقد يتبادر إلى ذهن غيره في فهمه وإعرابه وجّه يطابق أصلًا من الأصول الثابتة من قبل؛ فيخالف في ذلك الحكم ، ويراه خارجاً عن سنن القياس ، ومبنياً على غير أساس .

سادساً: **تقسيم اللغة من حيث القياس والاستعمال:** قسم ابن جني اللغة من حيث القياس والاستعمال ، وكون الكلام في ذلك مطرداً أو شاذًا إلى أربعة أقسام ، وهي^(١) :

١- انظر الخصائص ١٤١-١٣٨ و ١٥٥ و ١٦٠ و ١٧٦ و ١٧٧.

١- مطرد في القياس والاستعمال جمِيعاً: وهذا هو الغاية المطلوبة، وذلك نحو: قام زيد، وضررت عمرأ، ومررت بسعيد.

فالفاعل يطرد رفعه قياساً واستعمالاً، والمفعول به يطرد نصبه قياساً واستعمالاً، والمحرر يطرد جره قياساً واستعمالاً.

٢- مطرد في القياس شاذ في الاستعمال: وذلك نحو الماضي من الفعل: يَذَرْ ويدع.

وهذا تتحامى ما تحامت العرب من ذلك، وتجري في نظيره على الواجب في أمثاله من ذلك: وذر، وودع؛ لأنهم لم يقولوها.

٣- المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس: نحو قولهم: استصوت الشيء، ولا يقال: استصبت، وكذلك استحوذ، واستتوق الجمل.

٤- الشاذ في القياس والاستعمال جمِيعاً: وذلك كثُميم مفعول فيما عينه واو نحو: ثوب مصون، ومسك مَذُوف^(١).

وحكى البغداديون: فرس مقود، ورجل معوود من مرضه.

وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال؛ فلا يسوغ القياس عليه، ولا رد غيره إليه، ولا يحسن - أيضاً - استعماله فيما استعملته فيه إلا على وجه الحكاية.

قال ابن جني بعد ذلك: «واعلم أن الشيء إذا اطرب في الاستعمال، وشد عن القياس فلا بد من اتباع السمع الوارد فيه نفسه، لكنه لا يتخد أصلأ يقاس عليه غيره.

١- أي مخلوط، أو مبلول.

ألا ترى أنك إذا سمعت: استحوذ، واستصوب أديتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد السمع فيهما إلى غيرهما؟

ألا تراك لا تقول في استقام: استقوم، ولا في استساغ: استسوغ، ولا في استباع: استبيع، ولا في أعاد: أعود»^(١).

سابعاً: الكتب المؤلفة في القياس: اعني العلماء في القياس، ولعل أظهر وأكثر من اهتم به في القديم أبو الفتح ابن جنبي في كتابه الخصائص، حيث ضمنه آراءه في القياس، وذلك في مواضع متفرقة من الكتاب^(٢).

وكذلك السيوطي في المزهر حيث تكلم على القياس في مواضع ومنها ما ذكره في النوع الثاني عشر: معرفة المطرد والشاذ.

وكذلك المحدثون تكلموا على القياس، ويأتي في مقدمة أولئك الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (القياس في اللغة العربية).

ويكاد يكون أهم كتاب مفرد في هذا الباب على صغر حجمه.

ومن أعظم الكتب المعاصرة كذلك كتاب: (ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية د. عبدالفتاح البحرة).

ثامناً: الحاجة إلى القياس في اللغة: يقول الشيخ العلامة محمد الخضر حسين بِحَمْلِ اللَّهِ مبيناً الحاجة إلى القياس في اللغة: «وضعت اللغة ليعبر بها الإنسان

١- الخصائص ١٤٠/١

٢- انظر على سبيل المثال: ١٤١-١٣٧/١ و ١٤٢-١٧٧ و ٣٦٠-٣٧٠ و ٣٨٨ و ٣٩١-٣٩٢ و ٣٥٢ و ٤٦٨ و ٣٠٢ و ١١-٧/٣

عما يبدو له من المأرب، ويتردد في نفسه من المعاني. ومن البين جلياً أن المعاني تبلغ في الكثرة أن تضيق عليها دائرة الحصر، وتنتهي دونها أرقام الحاسبين، فلم يكن من حكمة الواضع سوى أن وضع لجانب كبير من المعاني ألفاظاً عينها كالسماء والمطر والنبات والعلم والعقل، وتوسل للدلالة على بقيتها بمقاييس قدرها.

والكلم التي تصاغ على مثال هذه المقاييس معدودة في جملة ما هو عربي صحيح.

ولولا هذه المقاييس لضاقت اللغة على الناطق بها، فيقع في نقية العي والفهمة، ويُكثر من الإشارات التي تخرج به عن حسن السمت والرزانة، ويرتكب التشابيه محاولاً بها إفادة أصل المعنى، لا كما يستعملها اليوم حلية للمنطق، ومظهراً من مظاهر البلاغة.

ولو صح أن يضع الواضع لكل معنىًّا لفظاً يختص به لكان الخرج الذي تقع فيه اللغة أن تضيق الجلadas الضخمة عن تدوينها، ويتعذر على البشر حفظ ما يكفي للمحاورات على اختلاف فنونها، وتبالين وجهاتها.

فالقياس طريق يسهل به القيام على اللغة، ووسيلة تمكن الإنسان من النطق بالآلاف من الكلم والجمل دون أن تقرع سمعه من قبل، أو يحتاج في الوثوق من صحة عريتها إلى مطالعة كتب اللغة أو الدواوين الجامدة لنشرور العرب ومنظومها.

وقد يخطر على بالك أن في اللغة العربية ألفاظاً مترادافات باللغات في الكثرة أن يكون للمعنى الواحد عشرات أو مئات من الأسماء، وتؤدي لو صرف الواضع

هذه المترادفات إلى جانب من المعاني التي تركها الحكم القياس. وجواب هذا أن للمترادفات في بлагة القول، ورصانة تأليف الكلم، وإقامة وزن الشعر، وتمكين القافية - فضلاً لا يغنى غيرها فيه غناءها؛ فهي من مفاخر اللغة، ودلائل سعة بيانها؛ فالمترادفات تسد وجوهاً من الحاجة غير الوجوه التي يسدها القياس، ولا ننسى أن الكثير من هذه المترادفات قد نشأ من تعدد اللغات، أو من ملاحظة اختلاف دقيق في الأحوال والصفات.

هذا وجه الحاجة إلى القياس في صيغ الكلم واشتقاقها.

ولا يخفى عليك بعد هذا وجه الحاجة إلى فتح باب القياس في نظم الكلام، وما يعرض من الكلم نحو التقديم والتأخير، والاتصال والانفصال، والإعراب والبناء، والحذف والذكر؛ فإن تبادل الأغراض، وتشعب العلوم، وتفاوت عقول المخاطبين، واختلاف أذواقهم - مما يستدعي إطلاق العنوان للمتكلمين، يذهبون في البيان كل مذهب قيم، ويتعلّقون منه بكل أسلوب مقبول، حتى يظهر فيهم الخطيب المصقع، والشاعر المفلق، والكاتب المبدع، والمناظر المفحّم، والمحاضر الغواص على الدرر، والعلامة الجلي للمعاني الغامضة في «أجمل الصور»^(١).

تاسعاً: المحدثون والقياس: واجهت العربية مشكلات كثيرة بسبب ما جدّ في العصر الحديث من علوم ومصطلحات، ومذاهب ثقافية وفكرية، ومظاهر حضارية لا حصر لها؛ فعاد المحدثون من علماء العربية إلى السؤال القديم: هل

١- القياس ص ٣٢-٣٤.

يجوز أن نقيس على كلام العرب؟

فمنهم من منع ذلك، ولم يأخذ به، ومنهم - وهم الأكثرة - من رأى القياس باباً جائزاً، وطريقاً حسناً من طرق تنمية اللغة، بل إن القياس يفوق التعريب، والارتفاع، والترجمة.

وبعد نقاش طويل توصل المحدثون إلى قبول القياس بالشروط التي ارتأوها والتي منها:

١- وجود الضرورة أو الحاجة الملحة: فاتفقوا على أن القياس للضرورة أو الحاجة الملحة، ولمواجهة الجديد؛ فتلك دوافع مقنعة تدعو إلى القياس؛ فليست المسألة ترفاً، ولا لعباً.

٢- أن يكون القياس على المطرد لا النادر.

٣- أن يقوم به المجامع اللغوية، وأن يكون تحت نظر العلماء.

٤- ألا يكون القياس في الأساليب؛ لأننا لسنا بحاجة إليها، وإنما يكون القياس في الصيغ كالمصادر، وأسماء الآلة وغيره في حدود الكلمات المفردة.

وفي الدلالات، كالتوسيع في المدلول؛ ليعم، ويستوعب أشياء أخرى، كالخمر عندما توسعوا في مدلولها، والسيارة التي كانت تعني القافلة في القديم؛ فكان هناك خيارات أمام المجامع اللغوية، إما أن تنقل معنى قريباً إلى قريب، فيتوسع في السيارة - مثلاً - فتُطلق على كل شيء يسير، وإما أن تؤخذ اللفظة الأجنبية؟ ومثال ذلك يقال في قياس قطار.

هذا وقد اقتصر المجمع في بعض دوراته على الأخذ بالقياس في مسائل معينة

رأى مسيس الحاجة إليها؛ فكان من قراراته :

١- جعل المصدر الصناعي - وهو ما ختم بياء مشددة بعدها تاء لغير الفاعلة كالجاهلية والرهبانية - مصدرًا قياسيًا.

وذلك لشدة الحاجة إلى هذا المصدر في التعبير عن كثير من حقائق العلوم والفنون؛ فبناءً على ذلك قرر المجمع الإتيان بأي مصدر صناعي بإضافة الياء المشددة مثل : اشتراكية ، جمهورية .

٢- صياغة (فعالة) للحرفة مثل : جزارة ، برادة ، نحاته .

٣- كذلك (فعال) للمرض : زُكام ، صُداع ، فأي مرض يجوز أن يصاغ على فعال كما صاغت العرب ما كانت تعرفه .

٤- (تفعال) للدلالة على المبالغة في الشيء والكثرة : ترحال ، تحوال .

٥- (مَفْعَلَة) : مثل : مأسدة ، ومنحلة .

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الرابع: الإبدال، والقلب المكاني

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الإبدال.

المبحث الثاني: القلب المكاني.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الرابع

الإبدال، والقلب المكاني

المبحث الأول:

الإبدال

أولاً: تعريف الإبدال:

أ - تعريفه في الأصل: الإبدال - في الأصل - جعل الشيء مكان شيء آخر^(١).
 ب - التعريف الصرف للإبدال: هو جعل حرف مكان حرف آخر، سواء كان الحرفان صحيحين مثل: اصطبر واصتبر، أو معتلين: قال وباع أصلها: قول وبيع، أو مختلفين: دينار وقيراط أصلها: دنار وقراط.
 والأحرف التي تبدل من غيرها إبدالاً شائعاً مطرداً لغير إدغام تسعه يجمعها: قول ابن مالك: (هدأت موطياً).
 وجمعها بِحَمْلِ اللَّهِ في التسهيل في (طويت قائماً)^(٢).

ج - التعريف اللغوي للإبدال: يُعرف الإبدال في اصطلاح فقه اللغة بتعريفات أشهرها تعريفان:

١ - تعريف المتوسعين في الإبدال: حيث يعرفونه بأنه: وضع حرف مكان حرف في الكلمة مع الاتفاق بين الكلمتين في المعنى، أو تقاربهما.
 قال ابن فارس بِحَمْلِ اللَّهِ: «ومن سنن العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام

١- انظر لسان العرب ٤٨/١١.

٢- انظر ضياء السالك إلى أوضح المسالك لابن هشام شرح محمد التجار ٤٤٨-٤٨٩.

الباب الثاني: دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة

بعض، ويقولون: مَدَحَهُ وَمَدَهُهُ، وَفِرْسٌ رِّفْلٌ وَرِفْنٌ^(١).

٦- تعريف غير المتوسعين: كابن جني وغيره من يقيدونه هو: إبدال حرف مكان حرف مع تقاريهم في المخرج، واتحاد الكلمتين في المعنى والمكان، وألا يتصرف أحدهما تصرفاً كاملاً.

ومعنى اتحادهما في المكان: أي أن يكونا في بيئة واحدة^(٢).

مثال ذلك: جداً وجثاً؛ فمعناهما واحد، ومخرجهما واحد، ولكن العرب أبدلوا إحداهما من الأخرى؛ فإن حدى الكلمتين هي الأصل.
أما جاس وحاس فهاتان ليس بينهما اتحاد تام في المعنى والمخرج؛ فليستا داخلين ضمن الإبدال عند غير المتوسعين.

أما المتسعون فيه فيرون أنهما داخلان في الإبدال.

ثانياً: أمثلة أخرى للإبدال: نقل السيوطي رحمه الله في المزهر أمثلة كثيرة للإبدال نقلها عن أئمة اللغة، ومن تلك الأمثلة:^(٣)

١- استأديت عليه، مثل: استعديت.

٢- الأيم والأين: الحياة.

٣- طانه الله على الخير وطامه: يعني جبله.

٤- فِنَاء الدار وثِنَاء الدار.

١- الصاحبي ص ١٥٤

٢- انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٧/١ و ١٨٠ و ٢١٠ و ٢٨٨ و ٣٥١.

٣- انظر المزهر ٤٦١/٤٦٩.

- ٥- جَدَثُ وجَدْفُ للقبر.
- ٦- وجذوتُ وجثوتُ: والجذو أن تقوم على أطراف الأصابع.
- ٧- نبض العِرق ونبذ.
- ٨- أيا وهيا، وإياك وهياك.
- ٩- أرَّخ وورَّخ.
- ١٠- وُشَاح وإشاح.
- ١١- وسادة وإسادة.
- ١٢- رجل المعي ويلمعي.
- ١٣- الناس والنات، وأكياس وأكيات.
- ١٤- الأقطار والأقتار: النواحي.
- ١٥- تلعثم، وتلعدم.
- ١٦- الحثالة والحفالة: الرديء من كل شيء.
- ١٧- الثوم والفوم: الحنطة.
- ١٨- اللثام والل GAM.
- ١٩- يرج ويرتك: إذا ترجم.
- ٢٠- ضبحت الخيل وضبعت.
- ٢١- كدحه وكدهه.
- ٢٢- اطْرَخَمَ واطْرَهُمْ: إذا كان طويلاً مشرفاً.
- ٢٣- وصخرته الشمس وصهرته إذا استد وقعها عليه.

٢٤- نزغه ونسفه: إذا طعنه.

٢٥- الشَّرْزُ والشَّرْصُ: الغَلْظُ من الأرض.

٢٦- أملصت الناقة وأملطت: ألقـت ولدها ولم يشعر.

٢٧- في صدره على حَسِيفَةٍ وحَسِيْكَةٍ، أي غل وعداوة.

٢٨- الغيم والغين: السحاب.

ثالثاً: الفروق بين الإبدال الصريفي والإبدال اللغوي: هناك فروق بين الإبدال الصريفي والإبدال اللغوي ومنها:

١- أن الصريفي له قواعد منضبطة ثابتة كما أنه مطرد من قاسم مثل إبدال الواو أو الياء همزة في اسم الفاعل: نحو: قائل، وبائع.
أما اللغوي فهو سمعي لا ينقاس ولا يطرد.

٢- الإبدال الصريفي ضروري في الاستعمال؛ فالإبدال واجب في مثل: قاول، وسماء، فلا بد أن يقال: قائل، وسماء.
أما الإبدال اللغوي فليس ضرورياً، وإنما هو للتوسيع، أو الميل إلى اليسر والسهولة.

٣- الإبدال الصريفي لا يجوز فيه استعمال الصيغة الأصلية مثل: قاول وإنما يقال: قائل - كما مر - فالصيغة الأولى لا تستعمل؛ لأنـه لا وجود لها في اللغة، وإنما يؤتى بها للتوضيح والتعليم.

أما الإبدال اللغوي فالصيغتان تستعملان لأنـ ينطقـ العرب بالذال أو الثاء مثل: جدا، وجثا.

٤- الإبدال الصرفي يقع في حروف محددة فابن مالك - كما مر - يراها تسعة. جمعها في قوله: (هَدَاتِ مُوْطِيَا) وفي التسهيل يراها ثانية جمعها في قوله: (طَوِيتِ دَائِمًا).

وعلى اختلاف عدّتها فهي مخصوصة.

إما الإبدال اللغوي فليس له حروف مخصوصة؛ لأنّه سمعي ولللغة كلّها مجال له.

رابعاً: التأليف في الإبدال^(١): تنبه علماء العربية للإبدال، وعنوا بجمع الألفاظ المبدلية والتأليف فيها.

ومن أشهر من ألف في هذا ابن السكّيت في كتابه (القلب والإبدال). وهو من الذين ينظرون إليه بالمعنى العام، ويعني بالقلب: الإبدال نفسه؛ فهو تفسير له.

ومن ألف في الإبدال: الزجاجي وهو من علماء القرن الرابع؛ حيث ألف رسالة صغيرة سماها: (الإبدال والمعاقبة والنظائر).

وهي أصغر من كتاب ابن السكّيت.

وكذلك أبو الطيب اللغوي جمع كتاباً سماه (الإبدال).

وهو أوسع كتاب في العربية في الإبدال، ويقع في مجلدين، ويظهر فيه أنه يمثل أوسع تعريف للإبدال؛ حيث لم يشترط الاتفاق بين الكلمتين في المعنى فحسب، وإنما يجعل التقارب بين الكلمتين داخلاً في الإبدال.

كذلك ابن مالك له كتاب مخطوط اسمه (وافق المفهوم في اختلاف المقول

١- انظر المزهر ٤٦٠/١

والمرسوم).

أما الكتب التي تكلمت على الإبدال ضمناً فكثيرة؛ فابن فارس أشار إليه في الصاحبي، وكذلك ابن جني؛ حيث ذكره في مواضع متعددة في الخصائص، وكذلك السيوطي في المزهر؛ حيث أفرد النوع الثاني والثلاثين في معرفة الإبدال، وكذلك أورده في مواضع أخرى من المزهر.

وأما أوسع الكتب التي تكلمت على الإبدال ضمناً وأعظمها فهو كتاب (سر صناعة الإعراب) لا بن جني؛ حيث أودعه خلاصة أرائه وأراء شيخه أبي علي الفارسي في الإبدال، فمن ضمن ما أورده ابن جني في ذلك الكتاب أنه أفرد لكل حرف من حروف العربية باباً ذكر فيه أحواله، وتصرفة في الكلام من أصليته، وزيادته، وصحته، وعلته، وقلبه إلى غيره، وقلب غيره إليه، فهو - بحق - لم يُؤلف مثله بعده في بابه.

وكما اعتنى القدماء بالإبدال فكذلك اعتنى به المحدثون، ومن الكتب التي تكلمت عليه ضمناً كتاب (من أسرار اللغة) لإبراهيم أنيس، و(الاشتقاق) لعبد الله أمين، وغيرهما.

خامساً: أسباب حدوث الإبدال: بين علماء العربية - وخصوصاً من ألف منهم في الإبدال - أسباب حدوثه، وأشهر تلك الأسباب ما يلي:

١- اختلاف اللهجات العربية: فيرون - على سبيل المثال - أن قبيلة تقول: ثوم، وجذف، والأخرى تقول: فوم، وجذف مما يدل على أنه ليس مطراً. قال السيوطي: «قال أبو الطيب في كتابه: ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد

تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة؛ تقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد.

قال : والدليل على أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى.

وكذلك إبدال لام التعريف مهماً ، والهمزة عيناً كقولهم في أن : عن؛ لاشتراك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم ، وذاك آخرون»^(١).

٤- التقارب الصوتي : فحلول صوت مكان صوت يؤدي إلى البدل؛ فكثير من الكلمات التي بينها تقارب صوتي وقع فيها إبدال؛ للتغيير الصوتي؛ وذلك لأن تكون قبيلة تميل إلى الترقيق فتبدل الصاد سيناً ، أو العكس كأن تميل بعض القبائل إلى التفحيم فتبدل السين صاداً.

مثال ذلك : قول : صَقْرٌ وسَقْرٌ ، ويساقون ، ويصاقون ، وصَخْرٌ وسَخْرٌ : مصدر سخرت منه إذا هزأت.

وصماماخ وسماخ : ثقب الأذن.

قال السيوطي : «قال ابن خالويه في شرح الفصيح : أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصممي قال : اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد؛ فتحاكما إلى أعرابي ثالث ، فقال : أما أنا فأقول : الزَّقْر بالزاي ، قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاثة لغات»^(٢).

١- المزهر ٤٦٠/١.

٢- المزهر ٤٦٠/١.

٣- التحريف والتصحيف: وهي الأخطاء التي ترد أحياناً إما عن طريق القراءة، أو السمع.

وذلك لأن ترد كلمة بالدال واللام؛ فيعزى ذلك إلى التصحيف أو التحريف؛ لأنه لا يمكن أن يحدث بين هذين الحرفين إبدال.

هذا وقد كتب أبو أحمد العسكري - وهو عم أبي هلال العسكري صاحب الصناعتين - كتيباً سماه (التصحيف والتحرف) ولم يدع أحداً من مشهوري اللغويين إلا جرمه وعابه ببعض التصحيف أو التحريف.

ومن نسب إليهم التصحيف في هذا الكتاب أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري، والأصمعي؛ فقد روى عنه أنه كان ينشد بيت الحطية:

وغررتني وزعمت أذ
لَكْ لابنْ بالصيف تامِرْ
قال :

وغررتني وزعمت أذ
لَكْ لَا تني بالصيف تامِرْ
وكان في مجلس فيه أبو عمرو بن العلاء فقال أبو عمرو: أنت - والله - في تصحيفك أشعر من الحطية.

ومهما يك من شيء فإنه ليس من اليسير أن يحكم بصفة قاطعة على وقوع التصحيف في كلمة بعينها^(١).

سادساً: الإبدال بين المتشعين فيه والمضيقين له: مر بنا في بداية

١- انظر من أسرار اللغة ص ٨٤-٨٥.

الحديث عن الإبدال عند اللغويين أن له تعرفيين أحدهما تعريف الموسعين فيه، والآخر تعريف المضيقين له.

والحديث هنا بيان لبعض الفروق بين هذين المذهبين في الإبدال؛ فأكثر القدامى يتسعون فيه - كما مر - .

أما بعض القدامى كابن جني وجميع المحدثين فإنهم يضيقون فيه، ويضيفون إلى التعريف العام شيئاً من القيود ومنها:

١- التقارب الصوتي: فهو شرط أساس عند المحدثين وابن جني؛ فهو لا يرى الإبدال إلا إذا كان بين حرفين متقاربين في المخرج كالذال والثاء، والراء واللام. ويمثلون لما ليس من الإبدال بـ: نصنص ونضنض: أي حرك لسانه، فيرى ابن جني أن هاتين الكلمتين أصلان، وليسما من الإبدال؛ لأن الصاد ليست أخت الصاد في المخرج، وإن اتفقا في المعنى.

يقول بِحَمْلِ اللَّهِ: «فاما قولهم: نضنض لسانه، ونصنصه: إذا حركه فأصلان، وليست الصاد أخت الصاد فتبدل منها.

وأخبرني أبو علي - يعني الفارسي - يرفعه إلى الأصممي قال: حدثنا عيسى بن عمر قال: سألت ذا الرمة عن النضناض فأخرج لسانه، فحركه، وأنشد: تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يسمع السرارا»^(٢) وكذلك قال في حثثوا وحثروا؛ فهو يرى أنهما أصلان.

١- انظر سر صناعة الإعراب ١/٢٨٢ و ٢١٠ و ٢٢٨ و ٥١ و ٥٣.

٢- سر صناعة الإعراب ١/٢١٣.

ونقل عن شيخه أبي علي الفارسي أنه قال مبينا العلة في ذلك: «فاما الحاء
فبعيدة من الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع قلب إحداهما إلى أختها»^(١).

وقد اتخذ ابن جني في هذه القضية المقياس الذي همس به في أذنه شيخه أبو
علي الفارسي ، وجعله قانوناً للإبدال ، ويتلخص هذا الأصل في أن أصل القلب
في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك كـ: الدال ، والطاء ، والتاء ،
والذال ، والظاء ، والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت
مخارجه^(٢).

٢- قلة التصرف لأحد اللفظين: وذلك بـألا يتصرف أحد اللفظين تصرفاً
كاماً ، أما إذا تصرف كلُّ منها تصرفاً تماماً من ناحية الأفعال ، أو المشتقات فلا
يكونان من الإبدال؛ بل يكون كل واحد منها أصلاً بذاته .
فلو وجد التقارب الصوتي كما بين الذال ، والثاء ولكن التصرف كامل في كلا
اللفظين لم يعد ذلك من الإبدال عند ابن جني.

مثال ذلك : جَدَثُ وجَدَفُ : والجمع أجداث وأجداف وهي القبور .
يرى ابن جني أن ذلك من الإبدال؛ لعدم اكتمال التصرف في أحد اللفظين؛
فال الأول منها يتصرف تصرفاً تماماً بحيث يقال : جدث ، وأجداث ، وأجدهث ،
وما جرى مجرى ذلك .

ولا يقال مثل هذا في : جدف؛ إذ لم يسمع أجدفت ...

١- سر صناعة الإعراب ١/١٨٠.

٢- انظر سر صناعة الإعراب ١/٣٦ و ١٨٠ .

وكذلك: بل، وبين.

أما مثل: هتن وهتل فلا يرى أنهما من الإبدال وإن كان بينهما تقارب صوتي؛ لأنهما أصلان لتساويهما في التصرف.

وبهذا يُخرج ألفاظاً كثيرة في اللغة من الإبدال.

قال ابن جني رحمه الله: «فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعاً أصلين كل واحد منها قائم برأسه لم يسع العدول عن الحكم بذلك؛ فإن دل دال، أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما عن صاحبه عملاً بموجب الدلالة، وصير إلى مقتضى الصنعة.

ومن ذلك: سُكّر طبرز وطبرزن: هما متساويان في الاستعمال؛ فلست بأن تجعل أحدهما أصلاً لصاحب أولى منه بحمله على ضنه.

ومن ذلك قولهم: هلت السماء وهتت: هما أصلان؛ ألا تراهما متساوين في التصرف؛ يقولون: هنت السماء تهتان، وهلت تهتل تهتان، وهي سحائب هتن وهتل، قال امرؤ القيس:

كُلّيَّ من شعيب ذات سح وتهتان

فسحت دموعي في الرداء كأنها

وقال العجاج:

ضرب السواري متنه بالتهتان^(١)

عزّر منه وهو مُعطّى الإسهال

إلى أن قال: «فاما قولهم: ما قام زيد بل عمرو وبين عمر فالنون بدل اللام؛ ألا ترى كثرة استعمال بل، وقلة استعمال بن، والحكم على الأكثر لا على

الأقل، هذا هو الظاهر من أمره، ولست - مع هذا - أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأيها^(١).

ويقرر هذا المعنى في سر صناعة الإعراب قائلاً: «وإذا ورد في بعض حروف الكلمة لفظان مستعملان - فالوجه وصحيح القضاء أن نحكم بأنهما كليهما أصلان منفردان، ليس واحداً منهما أولى بالأصلية من صاحبه؛ فلا تزال على هذا معتقداً له حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين من صاحبه.

وهذا عيارٌ في جميع ما يرد عليك من هذا؛ فاعرفه، وقسْ عليه تُصبِّ - إن شاء الله^(٢)».

٣- اتحاد المكان: ومعنى ذلك أن تكون الكلمتان مستعملتين في بيئة واحدة؛ لذلك فإن ابن جني يرى أن كثيراً من الألفاظ ليست من الإبدال؛ لأن إحداهما لجماعة، والأخرى لجماعة أخرى.

ومن أمثلة ذلك: أن قريشاً تقول: كشطت، وتيمأ تقول: قشطت؛ فالكاف ليست بدلاً من القاف؛ لأن الكلمتين اجتمعتا في قبيلتين؛ فيكون ذلك من اختلاف اللهجات لا من الإبدال.

٤- الاتفاق التام في المعنى: فإذا أمكن إيجاد فارق بين الكلمتين أخرجهما من الإبدال.

مثال ذلك: هز وأز؛ فالذين يتسعون في الإبدال يجعلون هذين اللفظين من

١- الخصائص ٤٥٦/١.

٢- سر صناعة الإعراب ٢١٠/١.

الإبدال، والذين يقيدونه ببعض القيود يخرجونه من الإبدال؛ فيرون أن بينها فارقاً؛ فالهز للشيء الضعيف، والأوز للشيء القوي.

سابعاً: كيفية معرفة الأصل في الإبدال: إذا اتفق على وجود الإبدال في لفظين سواء عند الموسعين فيه أو عند غيرهم كابن جني، فكيف يُعرف الأصل منها؟

والجواب أن ذلك صعب؛ وصعوبته تتفاوت من كلمات إلى أخرى، ويحتاج إلى كثرة اطلاع، ورجوع إلى كتب العربية.

ومهما يك من شيء فيمكن أن يتوصّل إلى ذلك بأمور مرتبة إشارات إليها فيما مضى، ويمكن أن تلخص في أمور ثلاثة:

١- كثرة الاستعمال: فقد يكون أحد اللفظين أكثر استعمالاً من الآخر؛ فيحکم على الكثير بأنه هو الأصل - كما مر التمثيل بـ: بل وبنـ. ومن ذلك - أيضاً - ثم وفـ.

قال ابن جني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: قَامَ زَيْدٌ فُمْ عَمْرَةً: الْفَاءُ بَدَلَ الثَّاءَ فِي ثُمَّ أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً»^(١).

٢- كثرة التصرف: بحيث يكون أحد اللفظين أكثر تصرفًا من الآخر - كما مر -. فيحکم على كثير التصرف بأنه الأصل، وقد مر أمثلة على ذلك.

ومنها ما ذكره ابن جني حيث قال: «وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: رَجُلٌ خَامِلٌ، وَخَامِنٌ، النون فيه بدل اللام؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ، وَأَنَّ الْفَعْلَ عَلَيْهِ تَصْرِيفٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ:

يَخْمُلُ خَمْوَلًا^(١).

٣- أن ينص أحد العلماء على الأصل: كأن يقول الخليل، أو الأصمعي أو غيرهما: إن هذه الكلمة هي الأصل.

قال ابن فارس رحمه الله: «وذكر عن الخليل ولم اسمعه سماعاً أنه قال في قوله - جل ثناؤه - : ﴿فَجَاسُوا﴾ إنما أراد: (فحاسوا) فقامت الجيم مقام الحاء، وما أحسب الخليل قال هذا، وما أحقه عنه»^(٢).

قال ابن جني: «قال الأصمعي: يقال: جُعْشوش^(٣)، وجُعْسوس، وكل ذلك إلى قمأة وقلة وصغر.

ويقال: هم من جعاسيس الناس، ولا يقال بالشين في هذا؛ فضيق الشين مع سعة السين يؤذن بأن الشين بدل من السين»^(٤).

ثامناً: آثار التوسيع في الإبدال: مما سبق تبين أن ابن جني والمحدثين يضيقون في الإبدال، وأن بعض علماء العربية وخصوصاً الأوائل يتوسعون فيه. وقد نتج عن ذلك التوسيع عرض عرض مسائل عديدة تبين ارتباط الإبدال بغيره من موضوعات فقه اللغة، ومن ذلك ما يلي:

١- علاقة الإبدال بالترادف: فبعض الذين تحدثوا عن الإبدال عمدوا إلى

١- الخصائص ٤٥٢/١.

٢- الصاحبي ص ١٥٤.

٣- جعشوش وجعسوس: هو القصير اللثيم.

٤- الخصائص ٤٥٣/١.

بعض الألفاظ المترادفة وعدوها من قبيل الإبدال.

ومن ذلك صنيع صاحب كتاب (الجاسوس على القاموس) أحمد بن فارس الشدياق؛ حيث جمع أربعين صفحة من ذلك، وإن كان صاحب القاموس لم يقصد كونها من الإبدال.

مثل الكلمة: الأمد بمعنى الأجل والأمد؛ فـيأخذ الأمد ويعدها من الإبدال.
ومثل الكلمة: محق، ومحا، يرى الشدياق أن هذا من الإبدال؛ لأن بينهما معنى عاماً.

فمن يأخذ كل كلمة من هاتين الكلمتين بمعناها الدقيق لا يجد إبدالاً، وإنما على سبيل التقرير؛ إذ ليس من الضروري عندما تفسر الكلمة بكلمة أن تأتي بمثلها، بل على سبيل التقرير، ولا يعني أن تكون مبدلة منها.

٤- مسألة الفروق الدلالية: فإن جندي يتشرط في الإبدال أن يكون المعنى دقيقاً، وبينهما اتفاق تام.

أما المتوسعون فيهملون الفروق الدلالية أحياناً، ويدخلون في الإبدال ما كان معناه عاماً أو ليس دقيقاً.

ومن ذلك: أومأت، أويأت، فهاتان اللفظتان بينهما اختلاف؛ فكل واحدة منهم لها معنى خاص.

ولكن المتوسعين يتركون هذه الأمور، ويجعلون بينهما معنى عاماً، وهو الإشارة، ويعدون ذلك من الإبدال.
ومثل ذلك: اللثام، واللغام.

فتتاسي الفروق، وإهمالها يتبع الترادف والإبدال.

كذلك كلمة نهش ونهس وردتا في الإبدال والترادف، وإن كان هناك فرق بينهما، ولكن المعنى العام هو العض؛ فجعلوه من الإبدال، مع أن هناك فرقاً من الناحية الدلالية.

فنشاً من التوسيع خلط بينها وبين الترادف.

٣- **الألفاظ الأعجمية**: التي ليس لها أصوات في العربية؛ فترتُّدُ - على سبيل المثال - في كتب العربية كلمة: التوت، وأصلها بالفارسية: التوت. ومن العرب من استخدمها بالثاء، على أصلها الفارسي، ومنهم من أبدلها تاء.

٤- **ربط الإبدال بالاشتقاق**: فبعض المحدثين صنع ذلك، حيث قال: إنه من عوامل تنمية اللغة أو الاشتقاد، وعده بعضهم أحد أنواع الاشتقاد، وسماه الاشتقاد الكبير أو الأكبر كما صنع عبدالله أمين^(١) أو الأكبر كما في أصول اللغة والنحو لسعيد الأفغاني^(٢).

وبعض المحدثين - كفؤاد ترزي - لا يرون ذلك، بل يرون أن الإبدال يتنافي وطبيعة الاشتقاد، وحجتهم في ذلك:

- أن الاشتقاد في أساسه لا يهدف إلى الترادف ولا يؤول إليه.

- أن ابن جني الذي توسع في مفهوم الاشتقاد إلى حد أن أدخل فيه القلب

١- انظر الاشتقاد لعبد الله أمين ص ٣٣٣.

٢- انظر في أصول اللغة والنحو لسعيد الأفغاني ص ١٢٣.

اللغوي لم يَعُدَّ الإبدال من ضروريه^(١).

أما القدماء فلم يتعرضوا لذلك ، لأنَّه ليس متعمداً.

١- انظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٢٠٧-٢٠٨.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

القلب المكاني

من الحديث عن القلب المكاني عند الكلام على الاشتقاد، والحديث عنه هنا سيكون فيما يلي:
أولاً: تعريفه:

أ - في اللغة: القلب في اللغة تحويل الشيء عن وجهه^(١).
ب - في الاصطلاح: هو تقديم وتأخير في بعض حروف اللفظة الواحدة؛ فتنطق على صورتين بمعنى واحد^(٢).
مثاله: جذب، وجذب، وما أطييه، وما أيطبه.

ثانياً: آراء العلماء في القلب المكاني^(٣): اختلف العلماء في القلب؛ فمنهم من يراه ويوسعه، ومنهم من يضيقه، ومنهم من أنكره، وإليك ذكر أقوالهم بإيجاز:

١ - ذهب اللغويون إلى وجود القلب، وإلى توسيع دائنته؛ فهم يرون أن كل ما جاء من قبيل (جذب وجذب) فهو مقلوب، ولا يعد ذلك إلا لغة واحدة من وضع واحد.

وكان هذا التقديم والتأخير إنما هو عارض في المنطق لسبب من الأسباب

١ - انظر لسان العرب ٦٨٥/١.

٢ - تاريخ آداب العرب ص ١٨٦.

٣ - انظر المزهر ٤٧٦/٤٨١، وتاريخ آداب العرب ص ١٨٦-١٨٧.

اللسانية كالخلفة والثقل.

يقول ابن فارس رحمه الله: «ومن سنن العرب القلبُ، وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة^(١)».

فأما الكلمة فقولهم: جذب وجذ، وبكل ولبك وهو كثير، وقد صنفه علماء اللغة، وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله - جل ثناؤه - شيء^(٢).
هذا وقد تابع اللغويين في ذلك النحويون من الكوفيين.

٢- وذهب البصريون إلى أن القلب لا يكون إلا إذا لم يكن أن يكون اللفظان جمِيعاً أصليين؛ بحيث يقصُّ أحدهما عن صاحبه، ولا يساويه.
ويررون أن من أدلة القلب عدم وجود المصدر، وعدم وجود الإعلال مع وجود موجبه، وقلة الاستعمال، وقلة التصرف^(٣).

ويمثلون لذلك بأمثلة منها قولهم: فلان شاكِي السلاح وشائِك، وجُرف هارِ وهائر.

وحيثَّ يعدون أوسع اللفظين أصلاً للثاني، ويعدُّون الثاني مقلوباً عنه، ويكون ذلك عندهم من قبيل الوضع الواحد.

وكل ما عدا ذلك مما يتصرف فيه اللفظان تصرفاً واحداً كـ: جذب وجذ
فليس بقلب عندهم، وإنما هما لغتان من وضعين مختلفين، وبذا يُعد كلُّ من

١- يريد بقوله: القصة: العبارة والكلمات كما مثل على ذلك بقوله: أدخلت الخاتم في أصبعي.

٢- الصاحبي ص ١٥٣.

٣- انظر الخصائص ١/٤٤٢-٤٤٥ و ٢/٤٠٥-٤٠٦.

اللفظين أصلاً مستقلاً.

قال السيوطي: «قال النحاس في شرح المعلقات: القلب الصحيح عند البصريين مثل: شاكي السلاح وشائك، وجرف هار وهائر. وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جبذ وجذب فليس بقلب عند البصريين، وإنما هما لغتان، وليس بمنزلة شاكٍ، وشائك؛ ألا ترى أنك قد أخرت الياء في شاكي السلاح؟».

وقال السخاوي في شرح المفصل: إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدرأً؛ لئلا يلتبس بالأصل، بل يُقتصر على مصدر الأصل؛ ليكون شاهداً للأصالة نحو يئس يأساً، وأيس مقلوب منه ولا مصدر له؛ فإذا وجد المصدران حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصلٌ وليس بمقلوب من الآخر، نحو جبذ وجذب. وأهل اللغة يقولون: إن ذلك كله مقلوب»^(١).

وقال ابن جني: «اعلم أن كلَّ لفظين وُجِدَ فيهما تقديم وتأخير فامكن أن يكونا جميعاً أصلين ليس أحدهما مقلوباً على صاحبه - فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصل، وأيهما الفرع، وسنذكر وجوه ذلك.

فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جَذَبْ، وجَبَذْ؛ ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفَا واحداً، نحو جذب يجذب جذباً فهو جاذب، والمفعول مجنوب، وجذب يجذب جذباً فهو جاذب، والمفعول مجنوب.

فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلًا لصاحبه فسد ذلك؛ لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعده بهذه الحال من الآخر.

إذا وقفت الحال بينهما ولم يُؤثِّرْ بالمزية أحدهما وجب أن يتوازيَا، وأن يَمْثُلَا بصفحتيهم معاً، وكذلك ما هذه سبيله.

فإن قَصَرَ أحدهما عن تصرف صاحبه، ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفاً أصلًا لصاحبه.

وذلك كقولهم: أَنِّي الشيءُ يَأْنِي، وَآنِّي يَئِنْ، فَآنَ مَقْلُوبٌ عَنْ آنِي.
والدليل على ذلك وجودك مصدرًّا أَنِّي يَأْنِي وهو الإِنْي، ولا تجده لـ: آن مصدرًا؛ كذا قال الأصممي^(١).

٣- وذهب بعضهم إلى إنكار القلب: قال السيوطي: «ذهب ابن درستويه إلى إنكار القلب؛ فقال في شرح الفصيح: في البطيخ لغة أخرى طَبِّيخ بتقديم الطاء، ولن يست عندنا على القلب كما يزعم اللغويون، وقد بينا الحجة في ذلك في كتاب: إبطال القلب»^(٢).

ثالثاً: من الأمثلة على القلب: عقد السيوطي في المزهر، النوع الثالث والثلاثين للقلب، واستقصى كثيراً من أمثلته، ومنها: نفر الشيطان بينهم لغة في

١- الخصائص ٤٤٢/١.

٢- المزهر ٤٨١/١.

نزع، وكلام حoshi، ووحشی، والأویاش من الناس: الأخلاط مثل: الأوشاب، والمقاطع حبل مثل القماط، وعمج في السير، ومعج، وقلقت الشيء، ولقلقته.

هذا وقد مر ذكر لأمثلة على القلب عند الحديث عن الاشتقاد.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الخامس: المشجر، والاتباع، والنحت

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المشجر.

المبحث الثاني: الاتباع.

المبحث الثالث: النحت.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الخامس

المشجر، والاتباع، والنحو

المبحث الأول:

المشجر

وهذا مما استخرجه اللغويون من الاشتراك في اللغة، ومداخلة الكلام للمعاني المختلفة، والحديث عنه سيكون من خلال ما يلي:

أولاً: تعريفه:

أ - في اللغة: هو اسم مفعول للفعل شَجَرَ يشجر تशجيراً.

قال ابن فارس رحمه الله في مادة (شجر): «الشين والجيم والراء أصلان متداخلان يقرب بعضهما من بعض، ولا يخلو معناهما من تداخل الشيء بعضه في بعض، ومن علوٌ في شيء وارتفاع»^(١).

إلى أن قال: «والمشجر سمي مشجرًا للتداخل بعضه في بعض»^(٢).

ب - وفي الاصطلاح: أن يؤتى بالكلمة المشتركة - كالعين مثلاً - فتعدّ شجرة يفرع من معانها المختلفة فروعًا، فيُسترسل في تفسير الكلام على الوجه المشترك، حتى تبلغ الشجرة مائة كلمة أو أكثر، وكلها متسللة في الكلمة واحدة، على نحو ما سيأتي من أمثلة^(٣).

١- معجم مقاييس اللغة ٣/٤٦-٤٧.

٢- معجم مقاييس اللغة ٣/٤٦-٤٧.

٣- انظر تاريخ آداب العرب ص ١٩٤.

ثانياً: التأليف المشجر^(١): أول من وضع كتاباً في ذلك أبو عمر المطرز الراوية المتوفى سنة ٣٤٥هـ؛ فقد عمل عليه كتاباً سماه (المداخل) في اللغة). وكان يعاصره أبو الطيب اللغوي المتوفى سنة ٣٥١هـ؛ فعل كتاباً سماه (شجر الدر) لأنها ترجمنا كل باب منه بشجرة، وجعلنا لها فروعاً؛ فكل شجرة مائة كلمة، أصلها كلمة واحدة، وكل فرع عشر كلمات إلا شجرة ختمنا بها الكتاب، عدد كلماتها خمسمائة كلمة، أصلها كلمة واحدة^(٢).

وهكذا ابتدع أبو الطيب هذه التسمية لهذا النوع من اللغة.

ثم جاء أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المتوفى في قرطبة سنة ٥٣٨هـ، فوضع كتابه الذي سماه (المسلسل).

وقد ضمن كتابه خمسين باباً افتتح كل باب منها بشعر عربي، وختمه بمثل ذلك.

ثالثاً: سبب التسمية: سمي بذلك - كما يقول أبو الطيب اللغوي - لاشتجار بعض كلماته بعض، أي تداخله؛ فكل شيء تداخل بعضه بعض فقد تشارج^(٣).

١- انظر المزهر ٤٥٤/١، وتاريخ آداب العرب ص ١٩٤.

٢- المزهر ٤٥٤/١.

٣- انظر المزهر ٤٥٤/١، ومعجم مقاييس اللغة ٢٤٧/٣.

رابعاً: أمثلة للمشجر^(١): - مثال الشجرة - العين: عين الوجه، والوجه: القصد، والقصد: الكسر، والكسر: جانب الخبراء، والخبراء: مصدر خبراء الرجل إذا اخترع له خبراء، وخبراء لك مثله، والخبراء: السحاب، والسحاب: اسم عمامة النبي ﷺ والنبي: التل العالي، والتل: مصدر التليل وهو المتصروع على وجهه والتليل: صفح العنق، والعنق، الرجل من الجراد، والرجل: العهد، والعهد: المطر المعاود، والمعاود: المريض الذي يعودك في مرضك، وتعوده في مرضه، والمريض: الشاك، والشاك: الطاعن يقال: شكه إذا طعنه، والطاعن: الداخل في السن إلى آخر ما في المشجر.

- مثال آخر: العين: عين الشمس، والشمس: شماس الخيل، والخيل: الوهم، والوهم: الجمل الكبير، والجمل: دابة من دواب البحر، والبحر: الماء الملحي، والملحي: الحرمة، والحرمة: ما كان للإنسان حراماً على غيره، وحرام: حي من العرب، والحي: ضد الميت.

وفي الكتب المؤلفة من هذا النوع أمثلة كثيرة من ذلك^(٢).

- مثال آخر^(٣): الأولى: الأول، وأول: يوم الأحد، والأحد الواحد، والواحد: الفرد: والفرد: الثور، والثور: الظهور، والظهور: الغلبة، والغلبة: جمع غالب، وغالب: أبو لؤي، ولؤي: تصغير لأبي، واللأبي: الثور، والثور:

١- انظر المزهر ٤٥٤-٤٥٥.

٢- انظر المزهر ٤٥٧/١.

٣- انظر تاريخ آداب العرب ص ١٩٥-١٩٦.

فحل البقر، والبقر: الفرق، والفرق: تباعد ما بين الثنایا، والثنایا: العقاب، والعقاب: الموالاة، والموالاة: المظاهره، والمظاهره: لبس الثوب على ثوب، والثوب: الرجوع، والرجوع: الکرُّ، والکرُّ: جبل النخل، والنخيل: الخيار، والخيار: الحكم، والحكم: الحکمة، والحكمة: العلم والعدل، والعدل: القيمة، والقيمة: الثمن، والثمن: العوض، والعوض: البدل، والبدل: الخلف، والخلف: الجبر، والجبر: إصلاح الكسر، والكسر: كسر جانب البيت، والبيت: الزوج، والزوج: النمط، والنمط من الناس: الضرب، والضرب من الرجال: المشوق القَدَّ، والقد: قطع السير، والسير: سرعة المشي، والمشي: سعي الواشي، والواشي: المُحَسِّن: والمحسن: اسم إنسان، والإنسان: صبي العين، والعين: خاصة الملك، والملك: الصَّيْدَن، والصيدين: الثعلب، والثعلب: ما يدخل السنان في القناة، والقناة: القامة، والقامة: جمع قائم، والقائم: مقبض السيف، والسيف: الضرب به، والضرب: الذهاب في الأرض، والأرض: الرُّعدة، والرُّعدة: الرَّعْش، والرَّعْش: سرعة الظليم، والظليم: اللبن قبل الروب، والروب: خثارة النفس من كثرة النوم، والنوم: الكرا، والكرا: طائر، والطائر: عمل العامل، والعامل من الرمح: الصدر، والصدر: الأول.

المبحث الثاني:

الإتباع

أولاً: تعريفه:

أ - في اللغة: الإتباع في اللغة هو السير في الأثر^(١).

ب - تعريفه في الاصطلاح: قال ابن فارس رحمه الله: «الإتباع: وهو أن تُتبع الكلمة على وزنها، أو رويها إشباعاً وتأكيداً»^(٢).

ثم مثل للإتباع قائلاً: «وذلك قولهم: ساغبٌ لاغبٌ، وهو خبٌ ضب، وخرابٌ يباب»^(٣).

ثانياً: سبب التسمية: سمي إتباعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلّم بالثانية منفردة^(٤).

ثالثاً: الفرق بين الإتباع والترادف، والإتباع والتأكيد: قال السيوطي رحمه الله: «قال التاج السبكي في شرح منهاج البيضاوي: ظن الناس أن التابع من قبيل المترادف؛ لشبهه به.

والحقُّ الفرقُ بينهما؛ فإن المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت.

١ - انظر لسان العرب ٥٩/٨.

٢ - ٣ - الصاحبي ص ٢٠٩.

٤ - المزهر ٤١٥/١.

والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل شرط كونه مفيداً تَقْدُمُ الأول عليه، كذا قال الإمام فخر الدين الرازي.

وقال الأمدي: التابع لا يفيد معنى أصلاً؛ وللهذا قال ابن دريد: سألت أبي حاتم عن معنى قولهم: بَسَن^(١)، قال: لا أدرى ما هو.

قال السبكي: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية؛ فإن العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضر، بل مقتضى قوله: (لا أدرى) معناه أن له معنى وهو لا يعرفه.

قال: والفرق بينه وبين التأكيد أن التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز، وأيضاً فالتابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع، والتأكيد لا يكون كذلك»^(٢).
رابعاً: أمثلة للإتباع^(٣):

نقل السيوطي رحمه الله في المزهر ألفاظاً كثيرة في الإتباع منها:
قسيم وسيم، ضئيل ويسيل، عطشان نطشان، قبيح شقيح، وخبيث نبيث،
وشيطان ليطان، وسائغ لائغ، وحارٌ يارٌ، وهو أَشِرٌ أَفِرٌ، وإنَّه لَهَذِرٌ قَذِيرٌ، وعين
حدرة بدرة، ورجل سدمان ندمان، ورجل خياب تياب، وإنَّه عَجَرَبٌ مَدْرَبٌ،
وخائب لائب، وفرس صلتان فلتان.

١- يعني قولهم: هذا حسن بسن.

٢- المزهر ٤١٥-٤١٦.

٣- انظر المزهر ٤١٥-٤٢٥.

المبحث الثالث:

النَّحْتُ

لون من ألوان الاختصار، ونوع من أنواع الاشتقاء عند المحدثين، والحديث عنه سيتناول ما يلي:
أولاً: تعريفه:

أ - تعريفه في اللغة: هو مصدر الفعل نحت ينحت نحتاً، أي شقّه وبراه، وهذبه.

قال ابن فارس رحمه الله: «النون والراء، والتاء كلمة تدل على نحر شيء، وتسويته بجديدة. ونحت النجار الخشبة ينحتها نحتاً.

والنحوية: الطبيعة، يريدون الحالة التي نحت عليها الإنسان كالغريزه التي غرز عليها، وما سقط من المنحوت: نحاته»^(١).

وقال ابن منظور رحمه الله: «ونحت الجبل ينحته: قطعه، وهو من ذلك. وفي التنزيل: «وَتَنْحِثُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ»^(٢).

ب - تعريفه في الاصطلاح: أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة.
أو هو: استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر^(٣).

١- معجم مقاييس اللغة ٤٠٤/٥.

٢- لسان العرب ٩٧/٣.

٣- انظر من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس ص ٨٦.

ومعنى ذلك: أن يُعمَدَ إلى كلمتين فأكثر، فيجعلَ منها كلمة واحدة تعبّر عن الكلمتين.

مثال ذلك: عبشي: نسبة إلى عبد شمس، وحيعل نسبة إلى حي على الفلاح، وسيأتي مزيد أمثلة للنحو.

ثانياً: شروط النحو: من خلال التعريف الماضي يتبيّن أنه يشترط للكلمة المنحوتة شروط وهي:

- ١- أن تكون معبرة عن معنى الكلمات التي أخذت منها.
- ٢- أن تَجْمِع بين حروف ما أخذت منه خصوصاً إذا كان من كلمتين فقط.

مثـلـ: عبدـريـ نسبةـ إـلـىـ عبدـ الدـارـ، حيث جـمـعـ بـيـنـ حـرـوفـ الـكـلـمـتـيـنـ.

أما إذا كان من ثـلـاثـ كـلـمـاتـ فـلاـ يـشـتـرـطـ الأـخـذـ مـنـ كـلـ كـلـمـةـ مثلـ: جـعـفـةـ منـ قـوـلـهـمـ: جـعـلـنـيـ اللهـ فـدـاكـ؛ـ فـلـفـظـ الـجـلـالـةـ لـمـ يـؤـخـذـ مـنـهـ شـيـءـ.

ثالثاً: أهم طرق النحو^(١): هناك طرق يتم من خلالها النحو، ومن أهمها ما يلي:

إـلـصـاقـ الـكـلـمـةـ بـالـأـخـرىـ دـوـنـ تـغـيـيرـ شـيـءـ بـالـحـرـوفـ وـالـحـرـكـاتـ،ـ نـحـوـ بـرـمـائـيـ،ـ وـالـلـأـدـرـيـةـ.

- ٤- تغيير بعض الحركات دون الحروف نحو: شـقـحـطـبـ،ـ منـ:ـ شـقـ حـطـبـ.
- ٥- إبقاء إحدى الكلمتين كما هي، واحتزال الأخرى نحو: مـشـلـوـزـ منـحوـتـ منـ المـشـمـشـ وـالـلـوـزـ،ـ وـمـحـبـرـمـ منـ:ـ حـبـ الرـمانـ.

١- انظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٢١٣-٢١٤.

٤- إحداث اختزال متساوٍ في الكلمتين؛ فلا يدخل في الكلمة المنحوة إلا حرفان من كلّ منها، نحو: تَعْبُشَمْ من: عبد شمس.

٥- إحداث اختزال غير متساوٍ في الكلمتين، نحو: سبحل من قال: سبحان الله.

٦- حذف بعض الكلمات حذفاً تاماً دون أن تترك في الكلمة المنحوتة أي أثر،
نحو: طَلْبَقْ - أي أطّال الله بقاءك - وهيلل - قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - فإن لفظ الجلالة
(الله) حذفت منه الكلمتين ، ولم يبق لها أي أثر في الكلمتين المنحوتين ، وقد مر
ذلك في الفقرة الماضية عند الحديث عن شروط النحو.

رابعاً: النحت عند العلماء: كان النحت معروفاً عند العرب قديماً، ولكنهم لم يعنوا به، ويعود ابنُ فارسٍ بِحَمْلِ اللَّهِ فارسٌ هذه الفكرة، وإمامها المتسع فيها.

وعلماء العربية قديماً وحديثاً يعلونه رائد هذا المضمار، والمطبق الفعليّ له.
وقد بين ابن فارس أن العرب تعرف هذا، ونقل عن الخليل وغيره؛ ليبين أن
هذه الفكرة ليست مبتدعة من قبله.

قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في باب عقده في كتابه الصاحبي عنوانه (باب النحت) : «العرب تتحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك : (رجل عبشي) منسوب إلى اسمين ، وأنشد الخليل :

أقول لها ودمع العين جاري
الم تحزنك حيعلة المنادي
مكان قوله (حي على)

وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد: (ضيَّطْ) من ضبط وضبر. وفي قولهم: (صهصلق) إنه من (صهل) و (صلق) وفي (الصلدم) إنه من (الصلد) و (الصدم).

وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة^(١).

وبهذا يتبين أن ابن فارس هو إمام هذا الفن، وأنه أول من أرجع كثيراً من الكلمات الرباعية والخمسية إلى النحت؛ حيث كان ذلك منهجه في كتاب (معجم مقاييس اللغة) في أبواب ما زاد على ثلاثة أحرف من الكلمات، وإن كان - كما سبق - قد ذكر أن الفكرة كانت موجودة عند الخليل^(٢).

ومن أمثلة المنحوت التي أوردها من الرباعي قوله: «ومن ذلك قولهم: (بلطح) الرجل إذا ضرب بنفسه في الأرض؛ فهي منحوتة من بُطْح وأبْلَط إذا لَصِقَ بِلَاطَ الأرض».

ومن ذلك قولهم: (يزمخ) الرجل إذا تكبر، وهي منحوتة من قولهم: زَمَخَ إذا شمخ بأنفه، وهو زامخ، ومن قولهم: بزخ إذا تقاعس، ومشى متبازحاً إذا تكلف إقامة صُلْبه»^(٣).

وقال: «ومن ذلك (البرْقِش) وهو طائر، وهو من كلمتين: من رقتْ الشيء

١- الصاحبي ص ٢٠٩-٢١٠، وانظر المزهر ٤٨٢/١.

٢- انظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فاخر ص ١١١ و ١١٢.

٣- معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٠-٣٣١.

- وهو النَّقْشُ - وَهُوَ مِنَ الْبَرْشِ وَهُوَ اخْتِلَافُ الْلَّوْنَيْنِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ «^(١)». وَمَا أَوْرَدَهُ مِنْ أَمْثَالَ الْخَمَاسِيِّ قَوْلُهُ : «وَمِنْ ذَلِكَ (الدَّلَّهُمَّسُ): وَهُوَ الْأَسْدُ. قَالَ أَبُو عَبِيدٍ: سُمِيَ بِذَلِكَ لِقُوَّتِهِ وَجُرَائِهِ.

وهي عندنا منحوتة من كلمتين: من دَالْسَ، وَهَمَسَ؛ فَدَالِسٌ: أُتى في الظلام، وقد ذكرناه، وَهَمَسٌ: كأنه غمس نفسه فيه، وفي كل ما يريد، يقال: أَسْدٌ هَمُوسٌ»^(٢).

وهذه الكلمة منحوتة من كلمتين: من دغم يقال: أدغمت الحرف في الحرف إذا أخفيته، وقد فسرناه، ومن دغر: إذا دخل على شيءٍ^(٣).
هذا وسيأتي مزيد أمثلة فيما بعد.

ومن العلماء الذين ألفوا في النحت الظهير العماني.

قال السيوطي رحمه الله : « وقد ألف في هذا النوع أبو علي الظهير بن الخطير الفارسي العماني كتاباً سماه (تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب) ولم أقف عليه ، وإنما ذكره ياقوت الحموي في ترجمته في كتابه معجم الأدباء .

١- معجم مقاييس اللغة ١/٣٣

٤- معجم مقاييس اللغة ٢٣٨/٢

قال ياقوت في معجم الأدباء: «سأل الشيخ أبو الفتح عثمان بن عيسى الملطي النحوي الظهير الفارسي عما وقع في ألفاظ العرب، على مثال شَقْحَطْبَ فقال: هذا يسمى في كلام العرب المنحوت، ومعنى أن الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبيتين و يجعلهما واحدة؛ فـ: شَقْحَطْبَ منحوت من شِقَّ حَطَبَ، فسأله الملطي أن يثبت له ما وقع من هذا المثال إليه؛ ليقول في معرفتها عليه، فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه، وسماها كتاب (تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب)»^(١).

خامساً: أقسام النحوت: يمكن أن يقسم النحوت باعتبار كلماته المنحوتة إلى أربعة أقسام وهي^(٢):

١- **النحوت النسبي:** وهو ما يكون لبيان نسبة الشخص إلى قبيلة أو مذهب أو غير ذلك، ومن أمثلته: عبدري نسبة إلى عبدالدار، وع بشمي نسبة إلى عبدشمس، وعقبسي نسبة إلى عبدالقيس، ومرقسي نسبة إلى امرئ القيس، وتيلمي نسبة إلى تيم اللات.

ومن ذلك: شفعني، وحنفلي نسبة إلى مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي - رحمهما الله -.

٢- **النحوت الفعلي:** وهو ما يكون في الأفعال، وهو ما ينحوت من الجملة دلالة على منطوقها، وتحديداً لضمونها، نحو: بسم الله، ومن

١- المزهر ٤٨٣-٤٨٥/١.

٢- انظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٢١٠-٢١١.

شواهده :

لقد بسملت ليلي غداة لقيتها
فيما حبذا ذاك الحبيب المبسم
ومن ذلك قول: حيعل وقد مر، ومن ذلك: حوقل: أي قال: لا حول ولا
قوة إلا بالله، وهل: أي قال: لا إله إلا الله.

٣- النحت الوصفي: وهو أن تنحّت من كلمتين كلمة على صفة بمعناها أو
بأشد من هذا المعنى، ومن أمثلته: صهصلق: صفة للرجل الشديد الصوت
الصخاب، يقال: امرأة صهصلق: صخابة.

قال ابن فارس رحمه الله: «وهذا منحوت من كلمتين: من صهل، وصلق»^(١).

٤- النحت الاسمي: وهو أن تنحّت من كلمتين فأكثر اسمًا، وهو أقل هذه
الأنواع، مثل: جلمد من جلد وجمد، قال ابن فارس: «وهذا من كلمتين: من
الجلد: وهي الأرض الصلبة، ومن الجمود: وهي الأرض اليابسة»^(٢).

ومن ذلك: الضرغام: الأسد، يقول ابن فارس: «فهذا منحوت من كلمتين:
من ضغم وضرم، كأنه يلتهب حتى يضئ»^(٣).

ومن ذلك عقابيل: من عقبى وعلة، وحبقر: من حب وقرّ.

سادساً: أمثلة للنحت: من فيما مضى ذكر لعدد من الأمثلة، وفيما يلي

١- معجم مقاييس اللغة العربية ٣/٣٥١.

٢- معجم مقاييس اللغة ١/٥٠٧.

٣- معجم مقاييس اللغة ٣/٤٠١.

ذكر لشيء منها^(١):

- ١- الضَّبْطُ: وهو الشديد، وهي منحوتة من كلمتين: ضبط وضرر^(٢).
- ٢- الحِيَعَةُ: حكاية عن قول المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح.
- ٣- الدَّمْعَةُ: حكاية قوله: أَدَمَ اللَّهُ أَعْزَكَ.
- ٤- الْحَمْدَلَهُ: أي من الحمد لله.
- ٥- السَّبْحَلَهُ: من سبحان الله.
- ٦- الْحَسْبَلَهُ: قول: حسبي الله.
- ٧- الْمَشَأَلَهُ: قول: ما شاء الله.
- ٨- الْحَيَهَلَهُ: قول: حيهلاً بالشيء.
- ٩- السَّمْعَلَهُ: قول سلام عليكم.
- ١٠- الْطَّلْبَقَهُ: أطال الله بقاءك.
- ١١- الْجَعْفَلَهُ أو الْجَعْفَدَهُ: من جعلت فداك.
- ١٢- مَشْكُنٌ: قول ما شاء الله.
- ١٣- هَيْلَلٌ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
- ١٤- وَيَلَمْ: أي قال: ويلمه، ويل لأمه.
- ١٥- كَبْتَعٌ: قال: كبت الله عدوك.

سابعاً: النحت عند المحدثين^(١): لقد تنبه المحدثون إلى هذا الفن،

١- انظر المزهر ١٨٥-٤٨٦/١، ومن أسرار اللغة ص ٨٧-٨٩.

٢- معجم مقاييس اللغة ٣/١٤٠.

وريطوه بالاشتقاق، وجعلوه لوناً من ألوانه، ومن عوامل تنمية اللغة. ولهذا نجد أن أكثر كتب المحدثين التي تناولت عوامل تنمية اللغة والاشتقاق تكلمت عن النحت، حتى سماه بعضهم: الاشتقاء الكبار - كما مر.. وبعضهم قال: النحت غير قياسي، بل هو مسموع نقله ابن فارس عن العرب، وقد تكون الكلمة رباعية، أو خماسية. وما يذكر من الألفاظ كالحوقلة، والبسملة يعد من الألفاظ المولدة، وليس بحججة؛ فزعموا أنه من الألفاظ المركبة، وأنه غير قياسي. ومع ذلك فقد أجاز النحت بعضُ العلماء، وأجازه المجمع اللغوي، بعد جدل طويل بين أعضائه؛ حيث توصلوا في نهاية المطاف إلى جوازه، وحدوده بشروط وهي:

١- **الضرورة:** كأن يمر مصطلح من العلوم، أو الفنون، أو المخترعات وما إلى ذلك، فحينئذ يلتجأ إليه، بل الضرورة هنا أعظم من الضرورة في باب التعريب؛ لأنهم قيدوه بالمصطلحات، وأن يكون معبراً عن المعنى، وأن تكون الألفاظ المنحوتة مركبة من أصلها، وأن تكون معبرة عن معانٍ متلاصقة لا يمكن أن ينهض بها التعريب، أو الاشتقاء.

٢- **مراجعة أساليب العرب في النحت:** وهذا عسير جداً؛ لأن العرب لم يسيروا

١- محاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية، وانظر من أسرار اللغة لأنيس ٩٤-٩٠، وفقه اللغة د. وفي ص ١٤٤-١٤٥.

على قواعد معينة، وما روي عنهم لا يكاد يجتمع به نظام لغوي واحد؛ فهم على سبيل المثال - لا يشترطون الأخذ من كل كلمة، وخاصة إذا كانت أكثر من كلمتين.

مثلاً: جعفدة من: جعلني الله فداك؛ فلفظ الجملة لم يؤخذ منه شيء.

٣- **التناسب الصوتي**: بحيث يراعى ألا يجمع بين الأصوات المتنافرة؛ كالصاد والجيم في الكلمة المنحوتة.

وهكذا أجاز المجمع مثل ذلك، مع أن بعض أعضائه منعوه؛ بحجة أن العرب نحتوا؛ رغبة في استكمال اللغة، أما الآن فإن اللغة مستقرة، وكافية؛ فلا حاجة إلى ذلك.

وردد عليهم بأننا أشد حاجة من القدماء لمواجهة الجديد، وإن حكم على اللغة بأنها لغة جامدة، بخلاف ما هو معلوم من أنها لغة حية تستوعب الجديد، وتنفي بال حاجات.

والطريف في الأمر أن المجمع ضم من بين أعضائه من ليس مختصاً باللغة العربية، فمنهم الأطباء، والمهندسون، وغيرهم.

وخلاصة القول أن المحدثين اهتموا كثيراً بالنحو، وألفوا فيه، بعكس القدماء، الذين لم يولوه اهتماماً عدا ابن فارس، وما ذكر في خبر الظهير العماني. ثامناً: أسماء بعض الذين عنوا بالنحو من المحدثين، ونماذج مما وضعوه من الألفاظ المنحوتة^(١):

١- محاضرات أ. د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

أ - إسماعيل مظہر: ولہ کتاب اسمہ (تجدید العربیة) وقد تحدث فيه عن مواجهہ الجدید.

کما ألف قاموساً في جزأين (قاموس النهضة) وكله في المصطلحات العلمية، ويعتمد على الألفاظ المنحوتة في الطب ، والهندسة ، والكيمياء.

ومن الأمثلة التي ذكرها :

١ - کم أرضي : منحوت من : كيمائي أرضي .

٢ - بي عضلي : منحوت من : بين العضل .

٣ - بي جبل : منحوت من : بين الجبل .

٤ - كريض : منحوت من : كريات الدم البيضاء .

٥ - نزعق : من نزع الورق .

٦ - زأكدة : من : إزالة الأكسيد .

٧ - مقىهل : من : مقيء ومسهل .

٨ - عنشم : من : عين شمس .

٩ - بلغز : من : بلا غاز .

١٠ - قوزح : من : قوس قزح .

١١ - شبهم : من : الأشياء المبهمة .

ب - د. رمسيس نجيب: وهو طبيب معنی بالنحت ، وقد أتى بعض الألفاظ المنحوتة المستعملة في ميدان الطب مثل :

١ - صلکلة : بمعنى : استئصال الكلية؛ فكلمة صل : بمعنى استئصال والذی

يركب معها يعبر عن الكلمة الأخرى.

٦- صلّكـد: استئصال الكبد.

٧- صلـعـد: استئصال المعدة.

٨- حـلـمـاـ: التحليل بالماء.

٩- حلـكـد: التحليل بالكحول؛ فكلمة حل بمعنى تحليل، وما ركب معها يعبر عن الكلمة الأخرى.

ج - صلاح الدين الكواكبي: وهو أستاذ في الكيمياء، ويعود من أعلام سوريا، وقد حاول أن يضع مصطلحات في الكيمياء، كلها تعتمد على النحت. ولا ريب أن مثل هذه الأعمال تدل على سعة اللغة، واستيعابها للجديد، وإن كان هناك من يرى أن هذه الألفاظ مولدة غير عربية، وأن فيها صعوبة. ومهما يكـ من شيء فهـ أيسـ من الـفـ الأـجـنـيـ.

المجاز

المجاز مصطلح معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والتفسير، والأصول وغيرهم.

كما أنه يرد كثيراً في كتب العقائد، خصوصاً في باب الأسماء والصفات؛ ذلك أن كثيراً من أهل التعطيل اخذوه مطية لنفي الصفات الإلهية.

ونظراً لكون المجاز عند القائلين به وسيلة من وسائل تنمية اللغة، ولأجل أن تتضح صورة المجاز فهذا عرض مجمل ميسر يبين معالم المجاز، وحقيقة الخلاف فيه، وما جرى مجرى ذلك.

وقبل الدخول في ثانياً الحديث عن المجاز يحسن الوقوف عند مصطلح (الحقيقة)؛ وذلك لأن المجاز عند من يقول به قسيم الحقيقة.

فالكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز؛ فإلى تفصيل الحديث؛ حتى يتبيّن الأمر. **أولاً: تعريف الحقيقة:** هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع.

أو هي: استعمال اللفظ فيما وضع له في الأصل.

مثل كلمة (أسد): تدل على الحيوان المعروف، وكلمة (الشمس): تدل على الكوكب العظيم المعروف، وكلمة (البحر): تدل على الماء العظيم الملحي؛ وهكذا جميع ألفاظ اللغة.

ثانياً: تعريف المجاز: المجاز في اللغة: اسم مكان كالمطاف والمزار، والألف

فيه منقلبة عن واو، وقيل: هو مصدر ميمي.

وفي الاصطلاح: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل؛ لعلاقة بين المعينين الحقيقي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ثالثاً: شرح مفردات تعريف المجاز: قوله: (في غير ما وضع له): أي المعنى الوضعي للّفظ، ويسمى الحقيقي أو الأصلي الذي ذكرته معاجم اللغة، كوضع كلمة الأسد للحيوان المعروف الكاسر، وكذلك القمر.

قوله: (العِلَاقَة): العلاقة هي الشيء الذي يربط بين المعنى الأصلي للّفظ، والمعنى المجازي، كالشجاعة في قولك: رأيت أسدًا يكرُّ بسيفه! فالأسد هنا لا يقصد به الحيوان؛ وإنما يقصد به الرجل الشجاع، إذاً فقد انتقل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، والعلاقة هي الشجاعة.

قوله: (القرينة)؛ القرينة: هي التي تمنع الذهن من أن ينصرف إلى المعنى الوضعي الأصلي للّفظ، مثل قولك (يكر بسيفه) في قولك: (رأيت أسدًا يكر بسيفه) لأن الأسد لا يكر بالسيف؛ فعلم أن المقصود باللفظ مجراه لا حقيقته؛ لأن الأسد لا يحمل السيف.

وكذلك قولك في الرجل الكريم: جاء البحر، ونحو ذلك من الأمثلة مما سيأتي ذكره^(١).

١- انظر في تفصيل الحديث عن المجاز إلى:

- أسرار البلاغة لعبد القادر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمود شاكر ص ٣٥٠ - ٤٢٤.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٧ في الإيمان.

رابعاً: «تطبيق»: إليك هذا التطبيق الذي يبين لك ما ذكر ب بصورة أ洁ى: قال أهل المدينة في استقبالهم للنبي ﷺ لما قدم من تبوك هو وأصحابه:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فالمحاز في هذا البيت واقع في لفظ (البدر) حيث يريدون به النبي ﷺ وهذا استعمال مجازي؛ ذلك لأن الاستعمال الحقيقي للبدر إنما هو الكوكب العظيم الذي يكون في السماء ليلاً.

والعلاقة بين المعندين الحقيقي والمجازي هي الحسن والإشراق؛ فالبدر حَسَنٌ مشرق، وكذلك النبي ﷺ.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي الحقيقي هي: (من ثنيات الوداع) فهي التي أثبتت مجازية البدر، والسبب أن البدر الحقيقي لا يظهر بين ثنيات

- بغية الإيضاح لتخلص المفتاح لعبدالتعال الصعيدي ص ٨٤ - ١٧١.
- منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
- معجم البلاغة د. بدوي طبانة ص ١٤٥ - ١٤٩.
- علوم البلاغة للشيخ المراغي ص ٢٤٦ - ٢٩٨.
- فقه اللغة د. وافي ص ١٧٢ - ١٧٨.
- البلاغة العربية في فنونها وأفاناتها علم البيان والبديع د. فضل حسن عباس ١٣٧ - ٢٧٠.
- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً د. سليمان بن صالح الغصن ٤٤٥ - ٤٧٧.
- مقدمة في المجاز - وهي مذكرة مخطوطة - كتبها الأخ الدكتور الشيخ عبد المحسن العسكري - حفظه الله - وهي نافعة لطيفة في بابها.

الوداع وهي الجبال الصغيرة، وإنما يظهر في السماء كما هو معلوم؛ فعلم بذلك أن اللفظ أريد به مجازه لا حقيقته.

خامساً: «أمثلة لألفاظ يتبعن فيها الحقيقة من المجاز»:

١- الشمس لها دلالتان: إحداهما حقيقة وهي دلالة الكوكب العظيم المعروف.

والأخرى مجازية وهي : الوجه الملبح.

٢- البحر له دلالتان: إحداهما حقيقته ، وهي دلالته على الماء العظيم الملحن والأخرى مجازية وهي : دلالته على الرجل الججاد الكبير العطاء ، أو العالم الغزير العلم.

٣- اليد لها دلالتان: إحداهما حقيقته ، وهي الجارحة المعروفة ، كما تقول: كتبت بيدي.

والأخرى مجازية بمعنى النعمة ، كما تقول: لفلانٍ عليّ يدٌ، أي : نعمة.

سادساً: كيف يُفرق بين الحقيقة والمجاز؟

يفرق بسياق الكلام ، وقرائن الأحوال ، ولا يمكن أن يقال: إن كلا الدلالتين الحقيقة والمجازية سواء؛ بحيث إذا أطلق اللفظ دل عليهما معاً ، لأن يقال: إن الشمس حقيقة في دلالتها على الكوكب والوجه الملبح ، وأن البحر حقيقة في الماء العظيم الملحن والرجل الججاد؛ بل لابد من قرينة تخصص المعنى المراد^(١).

سابعاً: لم سمي المجاز بهذا الاسم؟

١- انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧.

لأنه مأْخوذ من قولهم: جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطاه إليه.

فالمجاز - إذاً - اسم للمكان الذي يُجاز فيه كالمزار، والمعاج، وأشباههما.

وحقiqته: الانتقال من مكان إلى مكان؛ فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، كقولنا: زيد أسد؛ فإن زيداً إنسان، والأسد هو ذاك الحيوان المعروف، وقد جُزِّنا الإنسانية أي: تخطيناها وانتقلنا منها وعَبَرْناها إلى الأسدية؛ لِوصلة بينهما - أي علاقة-. وتلك الوصلـة هي صفة الشجاعة؛ فهذا هو سبب تسمية المجاز بهذا الاسم.

أما الحقيقة فهي: مأْخوذة من الكلمة حقًّ وهو الشيء الثابت، ولعلك تشم رائحة التضاد بين هاتين الكلمتين؛ فالحقيقة ثبوت الشيء، والمجاز تَعَدِّية^(١).

ثامناً: هل كل مجاز له حقيقة، وكل حقيقة لها مجاز؟

والجواب: أن كل مجاز له حقيقة؛ لأنه لم يطلق عليه لفظ مجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة.

وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز^(٢).

تاسعاً: هل الأصل في الكلام الحقيقة أو المجاز؟

والجواب: أن الأصل فيه الحقيقة، ولا ينصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بقرينة - كما مر في الأمثلة الماضية -.

عاشرًا: اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز:

١- انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧ ، والبلاغة فنونها وأفاناتها ص ١٣٨ .

٢- انظر معجم البلاغة العربية ص ١٤٧ .

اختلف العلماء في أصل وقوع المجاز وثبوته في اللغة والقرآن، على ثلاثة أقوال:

١- أن المجاز واقع في اللغة والقرآن: وهذا مذهب جماهير العلماء، والمفسرين، والأصوليين، واللغويين، والبلاغيين، وغيرهم؛ بل حكم الإجماع على ذلك يحيى بن حمزة العلوي في كتابه (الطراز)^(١) غير أن في تلك الدعوى توسيعاً؛ لوجود المخالف المعتبر.

٢- إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن: وقد ذهب إلى ذلك أبو إسحاق الأسفرايني، وتبعه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

٣- أن المجاز واقع في اللغة دون القرآن: وقد ذهب إلى ذلك داود الظاهري، وابنه محمد، وابن القاص الشافعي، وابن خويز منداد المالكي، ومنذر بن سعيد البلوطني، ومن المعاصرين الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

حادي عشر: حجة القائلين بمنعه:

القائلون بمنع المجاز في اللغة والقرآن، أو في القرآن وحده يحتاجون على ذلك بحجج منها:

١- أن كل مجاز كذب يجوز نفيه: فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في

١- انظر الطراز ٨٣/١، وإليك نص كلامه بِحَمْدِ اللَّهِ قَالَ: «أجمع أهل التحقيق من علماء الدين والناظار من الأصوليين، وعلماء البيان على جواز دخول المجاز في كلام الله، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلا نوعيه: المفرد والمركب.

ويحكي الخلافُ عن أبي بكر داود الأصبغاني».

القرآن ما يجوز نفيه، قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نفيه صادقاً في نفس الأمر؛ فتقول له: رأيت أسدًا يرمي: ليس هو بأسد وإنما هو رجل شجاع؛ فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه، ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن» ^(١).

٦- أن القول بالمجاز ذريعة إلى نفي الصفات الإلهية وتأويلها: قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض الصفات قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والخلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك، فقالوا: لا يد، ولا استواء، ولا نزول، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات؛ لأن هذه الصفات لم ترُدْ حقائقها؛ بل هي عندهم مجازات؛ فالإيد مستعملة عندهم في النعمة، أو القدرة، والاستواء في الاستيلاء، والنزول نزول أمره ونحو ذلك؛ فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول المجاز.

مع أن الحق الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفات التي أثبتتها - تعالى - لنفسه، والإيمان بها من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تمثيل» ^(٢).

١- منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ص.٨.

(٢) منع المجاز ص.٨ - ٩.

فهذا السبب - وهو نفي الصفات عن طريق القول بالمجاز - هو من أعظم الأسباب التي دعت القائلين بإنكار المجاز إلى ذلك.

٣- ادعاء أن الألفاظ كلها حقيقة والجزم بأن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المجاز: «ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ.

وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلّم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بِإِحْسَانٍ، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، بل ولا تكلّم به أئمة اللغة والنحو كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، ونحوهم»^(١).

وقد كرر رحمه الله ذلك في موضع من كتبه، خصوصاً في كتابه الإيمان، وفي الأسماء والصفات من مجموع الفتاوى.

٤- أن إطلاق المجاز في القرآن يفضي ويؤدي إلى وصف الله بِالْمُتَجَوِّزِ: وذلك مما لم يرد الإذن به؛ ذلك أن أسماء الله وصفاته توقيفية كما هو معلوم.

ثاني عشر: مناقشة مثبتي المجاز لمنكريه:

١- أن القول بأن كل مجاز كذب يجوز نفيه ليس صحيحاً: وإنما يكون المجاز كذباً لو أثبت المعنى على التحقيق لا على المجاز، أي أنه إذا أطلق القمر - مثلاً - على إنسان بهيّ الطلعة يكون كذباً لو أدعى أنه القمر الذي في السماء حقاً.

١- مجموع الفتاوى ٧/٨٧-٨٨.

ولا ريب أن هذا ليس بمراد في المجاز، وإنما المراد تشبيهه به في البهاء والحسن، فأين الكذب؟!

وكذلك قولنا للبليد: (حمار) ليس المقصود بأنه حمار في الشكل والخلقة، وإنما لصح أن ينفي ويقال: ليس هو بحمار بل هو إنسان؛ فالنفي هنا منصبٌ على إرادة الحقيقة لا على المعنى المجازي، وهذا لا يسمى كذباً؛ لأن المتكلم جاء بقرينة تبين مراده، وترفع اللبس.

ثم أن البلاغيين حرصوا في مصنفاتهم على أن يبينوا الفرق بين المجاز والكذب؛ فهم متتفقون على أن المجاز ليس كذباً؛ لأن التجوز يضع بين يدي المجاز قرينة تصريفٍ عن إرادة المعنى الأصلي للفظ.

أما الكذب فإن الكاذب يحرص فيه على إخفاء حاله؛ ترويجاً للكذب الذي يريده.

ولقد عني البلاغيون بالقرائن عناية بالغة، واستبطواها من كلام العرب، وفصلوا فيها القول تفصيلاً؛ فإذا خلا المجاز من القرائن كان الكلام فاسداً؛ لعدم دلالته.

٤- أن القول: بأن المجاز ذريعة إلى نفي الصفات الإلهية، وتأويلها ليس مسوغاً لنفي المجاز؛ ذلك أنه لا حجة لهؤلاء النفاة المعطلة فيما ذهبوا إليه.

وإنما هم أصحاب هوى وضلال، ومن كانت هذه حالة ركب كل صعب وذلول في سبيل هواه، فاستدلل لهم بالمجاز على نفي الصفات استدلال فاسد، فنحن نجعله حجة عليهم لا لهم؛ فيقال لهؤلاء النفاة المعطلة: إن الأصل في

الكلام أن يحمل على حقيقته وظاهره المبادر ما لم تقم قرينة توجب صرفه عن هذه الحقيقة، وذلك الظاهر لنا.

ثم إن الناس متبعدون باعتقاد الظاهر من أدلة الكتاب والسنة ما لم يمنع مانع. وبناء على ذلك يقال لهؤلاء النفاوة: إن النصوص الصحيحة القطعية أثبتت صفات الكمال لله - تعالى - كصفة الكلام، واليد، والاستواء، والنزول، والعلو، والساقي، والقدم، والضحك، والأصابع.

والنصوص الواردة في ذلك لا تظفر فيها بأي قرينة تنقلها عن معانيها الحقيقة التي دلت عليها؛ فهي صفات حقيقة ثابتة للرب - سبحانه - على ما يليق به.

وادعاء هؤلاء المعطلة أن إثبات الصفات يلزم منه التمثيل، وأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي تنزيه الله - سبحانه - عن مماثلة المخلوقين ادعاء باطل متهافت، ظاهر السقوط؛ إذ لا يلزم من إثبات الصفات لله تمثيله وتشبيهه بخلقه؛ فللخالق - سبحانه - صفاتٌ تليق به، وللمخلوق صفاتٌ تليق به.

ثم إن مجيء نصوص الصفات متکاثرة يقطع بأن المراد منها معانيها الحقيقة، ويدرأ عن تلك النصوص أن تكون مجازية أنها لا تقبل دعوى المجاز من جهة اللغة نفسها، وترأكيب الكلم فيها؛ فهي تأبى أن تbarح المعنى الحقيقي.

ونمثل بهذا المثال وهو قوله - سبحانه - : ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء : ١٦٤.

فلا يجوز أبداً أن يقال: إن الكلام في هذه الآية مجازي، لأن الفعل (كلم) أكّد بالمصدر (التكليم) الدال على النوع.

وقد نقل أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨) إجماع النحاة على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً، بل هو حقيقة قطعاً.

كيف وقد قال - تعالى - : «**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ**» الأعراف :

١٤٣

ومما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله - سبحانه وتعالى - : «**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي**» ص ٧٥ أنه قال : «فقوله - تعالى - : «**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي**» لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد.

ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تختص؛ فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تختص بصيغة الشنية.

ولا يجوز أن يكون (ما خلقت أنا) لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد؛ فتكون إضافته إلى اليد إضافة إلى الفعل، كقوله : «**بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ**» الحج : ١٠ و «**قَدَّمْتُ أَيْدِيْكُمْ**» يس : ٧١.

أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل وعد الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله : «**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي**» فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه؛ ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال : فعلت هذا بيديك، ويقال : هذا فعلته يداك؛ لأن مجرد قوله : فعلت كاف في الإضافة إلى الفاعل؛ فلو لم يُرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة.

ولست تجد في كلام العرب ولا العجم - إن شاء الله تعالى - أن فصيحاً يقول :

فعلت هذا بيدي ، أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة ، ولا يجوز أن يكون لا يدل له ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها . وبهذا الفرق المحقق تتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، ويتبين أن الآيات لا تقبل المجاز البينة من جهة نفس اللغة »^(١) .

وبالجملة ، فالأمثلة على هذا النحو كثيرة جداً أو من خلالها يظهر أن نصوص الصفات لا تقبل المجاز من جهة نظمها ، وتركيبها ، وإضافتها إلى الله - عز وجل - .

كيف وأهل السنة مجتمعون على الإقرار بأسماء الله تعالى وصفاته وحملها على الحقيقة لا المجاز ؟ !

٣- أما القول بأن الألفاظ كلها حقيقة أو أن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب فذلك يحتاج إلى نظر؛ فإن أريد بذلك أن العرب لم يضعوا هذا المصطلح فنعم.

وإن أريد نه لا يوجد في كلامهم المجاز فهذا غير صحيح ، بل الشواهد من كلامهم على استعمال المجاز أكثر من أن تحصر ، وذلك مما استفاض به النقل عن علماء اللغة.

ثم إن القول إن هذا الاصطلاح لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة المفضلة غير مُسَلِّم به؛ فقد تلكم بالمجاز غير واحد من علماء اللغة في أوقات القرون المفضلة ، ومن هؤلاء أبو زيد القرشي المتوفي سنة ١٧٠ هـ.

١- مجموع الفتاوى ٣٦٥-٣٦٦.

ومن أهل اللغة من يعبر عن المجاز بـ: (التوسيع والسعنة في الكلام).

٤- وأما القول بأن إطلاق المجاز يفضي إلى وصف الله بالمتجوز وذلك لا يصح فيجاب عنه: بأنه لا يلزم ذلك؛ لأن هذا الإطلاق لا يكون إلا بدليل.

ثم إن إطلاق المجاز على اللفظ في بعض استعمالاته اصطلاح، ولا يلزم إضافة المعاني الاصطلاحية إلى الله - تعالى - وإنما ففي القرآن سجع، وأمثال، فهل يقال في حق الله - تعالى - : الساجع، والممثل؟

هذه بعض حجج القائلين بمنعه ورد القائلين به على سبيل الإيجاز.

ثالث عشر: خاتمة الحديث عن المجاز: وبعد أن وقفت عن شيء من أمر المجاز، وما جاء في الخلاف حول إثباته أو نفيه - يتبين لك أن أعظم الأسباب التي دعت إلى نفيه وإنكاره أن أهل التعطيل اخذوه مطية لتحريف بعض نصوص الشرع لاسيما في باب الصفات.

فهذا هو الذي دعا بعض العلماء أن يشدد في النكير على القائلين بالمجاز.

وإلا لو كان الأمر مجرد اصطلاح لغوي لا يترتب عليه خوض في مسائل الشريعة لمان الخطب، ولما حصل فيه كبير خلاف.

ولكن لما أدرك بعض العلماء خطورة ذلك وكثرة المبتدعين به سارعوا إلى إنكاره؛ سداً للذرية، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواطن كثيرة من كتبه، وإن كان قد قال بالمجاز في إحدى مراحل عمره.

يقول الشيخ د. عبد المحسن العسكري - حفظه الله - في مقدمة مخطوطته له عن المجاز: «وأحسب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قال بالمجاز في إحدى مراحل

عمره، فقد رأيت في (محاسن التأويل) لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) ما
هذا نصه:

«قال ابن تيمية في بعض فتاواه: نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله، وبالتأويل
الجاري على نهج السبيل، ولم يوجد في شيء من كلامنا وكلام أحد منا أنا لا
نقول بالمجاز والتأويل، والله عند لسان كل قائل، ولكن ننكر من ذلك ما خالف
الحق والصواب، وما فتح به الباب إلى هدم السنة والكتاب، واللحادق بحرفه
أهل الكتاب.

والمقصود عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه أن القرآن مشتمل على
المجاز، ولم يعرف عن غيره من الأئمة نص في هذه المسألة.

وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم، كأبي بكر بن أبي داود،
 وأبي الحسن الخزري، وأبي الفضل التميمي، وابن حامد وغيرهم إلى إنكار أن
 يكون في القرآن مجاز.

وإنما دعاهم إلى ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعي المجاز،
 قابلوا الضلال بجسم المورد، وخيار الأمور التوسط، والاقتصاد»^(١).

ويعد أن نقل الشيخ العسکر هذه الفتوى قال: «ومع أنني لم أهتدى إلى هذه
الفتوى في مظانها من المطبوع من مؤلفات شيخ الإسلام وفتواه فإن عدم اهتدائي
هذا لا ينفي وجودها في كتابات الشيخ مطلقاً.

بَيْدَ أَنِّي مطمئنٌ غير مرتابٍ في نسبة هذا الكلام إلى شيخ الإسلام بِحَمْلِ اللَّهِ وذلك

١- محاسن التأويل للقاسمي ٦١٥٦/١٧ تفسير سورة الفجر

لما يلي :

١- أن المطبوع من أعمال شيخ الإسلام لا يمثل إلا القليل مما كتب في حياته كلها.

وأنت خبير أنه صاحب قلم سيال، ومكثر من الكتابة جداً، حتى قال الذهبي : «جاوزت فتاوى ابن تيمية ثلاثة ملئية مجلد».

٢- أن من له أدنى صلة بتراث شيخ الإسلام لا ينزع في أن هذا **النفس نفسه**، والأسلوب أسلوبه، وقد وقفت على هذه الفتوى بعض العلماء فأجابوا بذلك منهم فضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله وشيخنا عبد الرحمن البراك أحسن الله إليه.

٣- أن الذي نقل هذه الفتوى من أعظم الناس اطلاعاً في هذا العصر على كتابات الشيخ وتلميذه ابن القيم، وكان يعيش في بلاد الشام بلاد الشيفين، ومؤلفات القاسمي وخاصة تفسيره طافحة بالنقولات الكثيرة عنهما.

ثم إنه أحد القلة في عصره الذين نهضوا بالمنهج السلفي، ومناصريه، وأوذى في ذلك أذى كثيراً.

وما كان الشيخ ليصدق بشيخ الإسلام قوله «يتطرق الشك في نسبته إليه».

ولقد توصل إلى تلك النتيجة بصورة أوضح وأجلـى د. هادي أحمد فرحان الشجيري، وذلك في كتابه (الدراسات اللغوية وال نحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية).

وهذا الكتاب رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراة من كلية الآداب جامعة بغداد.

وكان مما درسه في بحثه المجاز وآراء ابن تيمية فيه، ومن ضمن فقرات ذلك المبحث فقرة عنوانها: موقف ابن تيمية من المجاز، حيث قال فيها: «إن المتبع لكلام ابن تيمية في مؤلفاته المختلفة سيتبين له بيسر وسهولة أن له موقفين من المجاز، أولهما موقف من الإقرار به، ويبدو أن هذا الموقف كان السابق في حياته العلمية، وهو الذي درج عليه في غالب أحواله ومؤلفاته.

أما موقفه الآخر وهو موقف النافي للمجاز في اللغة فقد ذكره مفصلاً فيما لاحظته بعد طول معاينة، وكثرة تتبع في موضوعين.
وهو موقفٌ نابع عن فكر، وتأمل، وروية.

ويبدو أن كان آخر ما استقر عليه، وإن كنا لا نملك من أدلة التوثيق التاريخية ما يكون عوناً لنا في هذا الحكم، ولكن طبيعة ذكر الأدلة والتفصيل، ونقد مفاهيم المجاز، وتبني تلميذه المقرب ابن قيم الجوزية لهذا الموقف، ودفاعه عنه - كلها ترجح أنه آخر ما استقر عليه رأي ابن تيمية^(١).

ثم قال تحت فقرة عنوانها (موقف المقر بالمجاز): «لقد وقف ابن تيمية مقراً بالمجاز مدافعاً عن العقيدة مع إقراره بالمجاز، ويمكن أن يتبيّن هذا الموقف من خلال صور متعددة:

أولاً: النصوص الكثيرة المبثوثة في مواضع متفرقة من كتبه والتي تدل تصريحًا أو تلوينًا على إقراره بالمجاز.

ثانياً: ومن صور إقراره بالمجاز، قوله بالحقائق الشرعية والعرفية، وهي في

١- الدراسات اللغوية وال نحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩٨.

حقيقة نوع من التغير الدلالي الذي أصاب اللفظ آنفاً.

ثالثاً: ذكره بعض أنواع المجاز.

رابعاً: ذكره بعض علامات المجاز.

خامساً: من خلال تعبيراته ومعاججاته لبعض الأمثلة.

سادساً: وما يدخل في هذا الموقف عموماً قوله بالمجاز المنضبط خاصة في باب ^(١) «الصفات».

وتحت هذه العناصر ذكر نماذج من كلام ابن تيمية، وأحال على مواضع أخرى.

ومن الأمثلة التي ذكرها: قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقبض اليد عبارة عن الإمساك، كما في قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.

وفي قوله: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بِأَنَّ يَدَاهُ مَبْسُوطَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

وهي حقيقة عرفية ظاهرة من اللفظ، أو هي مجاز مشهور» ^(٢).

ثم نقل نقولاً أخرى لا يتسع المجال لبسطها، ولعل الإشارة إلى مواضعها تكفي ^(٣).

١- الدراسات اللغوية في مؤلفات شيخ الإسلام ص ١٩٨-٤٠٢.

٢- اقتضاء الصراط المستقيم ١٩-٤٠.

٣- انظر بيان تلبيس الجهمية ٤١١/٢ و ٢٦/٢ ، والتسعينية ص ١٣٠-١٣٩ و ١٣٨-١٣٩ ، و ٢٢٠، والتفصير الكبير ٤/٣٦٢ ، وجمع المفتاوي ٥/٤١٠ و ٥/٩٤ و ٩٥ ، و ٧/١٤ و ١٠/٢٧١ و ٤٦/١٢ و ٢٧١ و ٩٦/٣٤ و ٣٥/٣٢٩ و ٣٢٢ و ٢٢٢ و ٢١ و ٨٦ و ٣٥/٣٤ و ٣٢٣ و ٣٢٢ و ٦٨/٣٩.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المُعَاجِمُ عفَا اللَّهُ عَنْهُ

الباب الثالث: دراسات في المعاجم العربية

وتحته مدخل، وأربعة فصول:

- مدخل

الفصل الأول: مفهوم المعجم، والمدارس المعجمية.

الفصل الثاني: دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقلبيات.

الفصل الثالث: المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية، ودراسة لبعض المعاجم التي تسير عليها.

الفصل الرابع: المدرسة المعجمية الثالثة مدرسة الأبجدية العادية.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الباب الثالث

دراسات في المعاجم العربية

مدخل

المعاجم العربية كثيرة ومتعددة، وهي - كذلك - مختلفة في طريقة ترتيبها للألفاظ اللغة، وشرحها لتلك الألفاظ.

ومنذ عصر الخليل بن أحمد - وهو صاحب أول معجم شامل في العربية حتى وقتنا الحاضر - والباحثون ينهلون من تلك الموارد، ويفيدون منها كل بحسبه.

ولما كان الأمر كذلك كان من المناسب أن تدرس تلك المعاجم دراسة موجزة تُعني بأصحاب هذه المعاجم، وبالمنهج الذي اتباعوه في تأليفها، وبيان خصائصها، ومميزاتها، والمآخذ عليها؛ حتى يكون الباحث على بينة من أمرها؛ بحيث يتمكن - عند الكشف عن معنى لفظ يريده - من أن يختار منها ما يناسبه دون مشقة أو عناء.

ولهذا فسيعرض - فيما يأتي - من صفحات دراسة موجزة لأشهر معاجم اللغة العربية^(١).

وقبل الشروع في ذلك يحسن الوقف على مسائل مهمة في هذا الباب، وذلك في الفصل الأول منه.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فاخر ص ٣.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الأول: مفهوم المعجم، والمدارس المعجمية

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم المعجم.

المبحث الثاني: المدارس المعجمية.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الأول

مفهوم المعجم، والمدارس المعجمية

المبحث الأول:

مفهوم المعجم

المسألة الأولى: تعريف المعجم:

أ - تعريفه في اللغة: قال ابن فارس رحمه الله: «العين والجيم والميم ثلاثة أصول، أحدها يدل على سكوت وصمت، الآخر على صلابة وشدة، الآخر على عرضٍ ومذقة».

فال الأول: الرجل الذي لا يفصح، وهو أعجم، والمرأة عجماء بِيَنَة العجمة^(١).
 وقال: «ويقال: للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبيٌّ أَعْجَمٌ، ويقال: صلاة النهار عجماء؛ إنما أراد أنه لا يجهر بها القراءة، وقولهم: العجم الذين ليسوا من العرب؛ فهذا من القياس لأنهم لما لم يفهموا عنهم سموهم عجماً^(٢).
 وقال: «والعجماء: البهيمة، وسميت عجماء لأنها لا تتكلم، وكذلك كل من لم يقدر على الكلام فهو أَعْجَمٌ، ومستعجم^(٣).
 وهكذا نجد أن استعمال العرب لهذه المادة وما تصرف من ألفاظها إنما هو للدلالة على الإبهام والخفاء.

ولكن هذه المعاني لا تتفق مع معنى (المعجم) الذي نحن بصدده الحديث عنه

١- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٣٩-٢٤٠.

٢- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٤٠.

كما سيأتي^(١) ..

ب - تعريف المعجم في الاصطلاح: هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين، مشرحة شرحاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده^(٢).

ج - التوفيق بين المعنين: الأصلي اللغوي، والاصطلاحي:

لسائل أن يسأل؛ فيقول: كيف يمكن التوفيق بين المعنى الأصلي اللغوي للمادة وكثير من ألفاظها المشتقة منه وهو الإبهام والغموض، وبين المعنى الاصطلاحي لكلمة المعجم المأخوذة من نفس المادة، والتي تدل على الشرح والتوضيح؟

والإجابة عن ذلك أن يقال: إن زيادة بعض الحروف في الكلمة قد تسبب تغييراً في المعنى، وقد خصص لذلك علماء الصرف باباً سموه (معاني صيغ الزوائد).

بل إن بعض أنواع الزيادة قد تقلب المعنى إلى صدره، كتضعييف عين الكلمة وكزيادة الهمزة في أول الكلمة؛ لتدل على معنى الإزالة، كما يقال مثلاً: في قدّيت عين فلان: أقدّيت عينه بمعنى أزّلت القذى، وأشكيت فلاناً أي أزّلت شکواه.

وكذلك قسط بمعنى جار، وأقسط: بمعنى عدل.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فاخر ص ٥-٦.

٢- انظر المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص ٥، ودراسات في المعاجم العربية ص ٥.

ويقال: أَعْجَمَتِ الْكِتَابُ أَيْ أَزْلَتْ عِجْمَتَهُ بِنَقْطَهُ أَوْ شَكْلِهِ كَمَا يُقَالُ:
عِجْمَتِ.

قال ابن فارس: «**قال الخليل: «كتاب معجم، وتعجيمه: تنقيطه؛ كي تستبين عجمته وتوضح»**^(١).

وقد وضَّحَ ذَلِكَ - أَيْضاً - ابن جنِي حين قال: «ثُمَّ إِنَّهُمْ قَالُوا: أَعْجَمَتِ الْكِتَابُ: إِذَا بَيَّنَتْهُ وَأَوْضَحَتْهُ؛ فَهُوَ - إِذَا - لَسْلَبٌ مَعْنَى الْإِسْتِبْهَامِ لَا إِثْبَاتَهِ»^(٢).
فَمَعْنَى الْمَعْجَمِ - إِذَا - هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أُزِيلَتِ الْعِجْمَةُ فِيهِ، وَذَهَبَ الْخَفَاءُ مِنْهُ.
وَحْرَوْفُ الْمَعْجَمِ - كَمَا حَكَى ابن فارس عن الخليل - «هِيَ الْخَرْوَفُ الْمَقْطُعُ؛
لَا نَهَا أَعْجَمِيَّةً»^(٣).

ويوضَّحُ ابن فارس هذا بقوله: «وَأَظُنُّ أَنَّ الْخَلَيلَ أَرَادَ بِالْأَعْجَمِيَّةِ أَنَّهَا مَا دَامَتْ مَقْطُعَةً غَيْرَ مَوْلَفَةً تَأْلِيفَ الْكَلَامِ الْمَفْهُومُ فِيهِ أَعْجَمِيَّةٌ لَا تَدْلِي عَلَى شَيْءٍ؛
فَإِنْ كَانَ هَذَا أَرَادَ فِلَهُ وَجْهٌ، وَإِلَّا فَمَا أَدْرِي أَيْ شَيْءٍ أَرَادَ بِالْأَعْجَمِيَّةِ»^(٤).

الْمَسَأَةُ الثَّانِيَّةُ: تنبِيَّهُ حَوْلَ كَلْمَةِ إِطْلَاقِ الْمَعْجَمِ:
إِطْلَاقُ كَلْمَةِ الْمَعْجَمِ تَدْلِي عَلَى مَا تَقْدِمُ ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهُ كِتَابٌ يَضْمُنُ الْفَاظَ الْلُّغَةِ
وَيُشَرِّحُ مَعَانِيهَا إلخ.. إِنَّمَا هُوَ الْمَعْنَى الْغَالِبُ عَلَيْهِ.

١- معجم مقاييس اللغة ٤/٤٢٤٠.

٢- المخصص ٣/٧٦ طبعة التجار.

٣- معجم مقاييس اللغة ٤/٤٢٤٠.

٤- معجم مقاييس اللغة ٤/٤٢٤١-٤٢٤٠.

وإلا فإن المؤرخين من علماء الحديث قد سبقو علماء اللغة في هذا الإطلاق؛ فسموا كتبهم معاجم.

فهذا أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠-٣٠٧) يُطلق على كتاب وضعه لعرفة الصحابة : (معجم الصحابة).

وكذلك فعل عبدالله بن عبد العزيز البغوي (ت ٤١٤) المحدث حين أطلق على كتابه (المعجم الكبير) و (المعجم الصغير). ولذلك يحسن التقييد عند البحث فيقال : المعجم اللغوية^(١).

المسألة الثالثة: أنواع المعاجم:

ينبغي التفريق بين نوعين من هذه المعاجم اللغوية : أحدهما : نوع يشرح معاني الألفاظ، ويبين أصلها، وما اشتقت منه ، معتمدًا في ذلك صاحبها على نظام معين في ترتيب المواد اللغوية؛ بحيث يمكنه جمع اللغة بطريقة حاصرة سواء على نظام التقليبيات أم القافية أم الأبجدية - كما سيتبين ذلك فيما بعد - .

ويطلق على هذا النوع من المعاجم اسم (المعجم المنسنة) أو (معجم الألفاظ).

وقد مر تأليف هذه المعاجم بمرحلتين :

الأولى : جمع الكلمات كم اتفق؛ فالعالم يرحل إلى الbadia؛ فيسمع كلمة مثلاً كلمة في الأنواء، وثانية في المطر، وثالثة في الغابات والشجر وهذا... .

١- انظر دراسات في المعجم العربية ص ٦.

الثانية: جمع الكلمات بطريقة حاصرة لكل ألفاظ اللغة، وهذا هو المقصود الآن من المعاجم اللغوية.

النوع الثاني: يهدف إلى جمع الألفاظ الموضوعة ل مختلف المعاني: وهذه يرجع إليها من يعرف المعنى، ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له. ويُطلق على هذا النوع بعض الباحثين: (المعاجم المبوبة) أو (معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات).

ومن أبرز الكتب التي ألقت في ذلك كتاب (غريب المصنف) لأبي عبيد ت ٤٢٢هـ، و (الألفاظ) لابن السكريت ت ٤٤هـ، و (الألفاظ الكتابية) للهمذاني ت ٤٣٧هـ، و (مبادئ اللغة) للإسکافي ت ٤٤١هـ، و (فقه اللغة) للشعابي ت ٤٤٩هـ، و (المخصص) لابن سيدة ت ٤٥٨هـ^(١).

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٦-٧.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

المدارس المعجمية^(١)

أمكن لبعض الباحثين المحدثين أن يقسموا المعاجم اللغوية - حسب طريقة ترتيب الألفاظ فيها، وجمعها في أبواب مرتبة ترتيباً معيناً - إلى أقسام ثلاثة، سموها: المدارس المعجمية.

ومعرفة هذه المدارس تعين على الاستفادة من تلك المعاجم، حيث تُعرف طريقة مؤلفيها، ومناهجهم.

المدرسة الأولى: هي مدرسة التقليبات بنوعيها، الصوتية، والأبجدية.

المدرسة الثانية: مدرسة القافية.

المدرسة الثالثة: مدرسة الأبجدية العادية.

وإليك شرح هذه المدارس على سبيل الإيجاز.

أولاً: مدرسة التقليبات: وأول من ابتكرها صاحب أول معجم شامل في العربية، وهو الخليل بن أحمد في كتابه (العين).

حيث جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في مكان واحد مراعياً بذلك الناحية الصوتية؛ فهو يبدأ بأبعد الحروف من هذه الناحية.

ولما كانت حروف الخلق هي الأبعد مخرجاً فهو يبدأ بها، ثم يبني باللسانية، وهي التي تليها في المخرج، ثم بالشفوية، ثم اختتم بحروف العلة.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٩-٨.

فمثلاً: الكلمات الثلاثية يكون لها ستة تقليليات، ويبدأ فيها بأبعدها مخرجاً. مثل ذلك: الكلمات التي تكون منباء والراء والعين لها تقليليات ستة. كما مر. ويبدأ بأبعدها مخرجاً وهي العين، ثم بالراء؛ لأنها لسانية، ثم بالياء؛ لأنها شفوية.

هكذا: ١- عرب ٢- عبر ٣- رعب ٤- ريع ٥- بعر ٦- برع.

وهذا ما يعرف بالتقليبات الصوتية، فالخليل رحمه الله وضع الحروف على حسب مخارجها؛ فبدأ بأبعدها مخرجاً وهو العين فسمى معجمه بذلك. وهذا تأليفه للحروف رحمه الله:

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ي / همزة.

مثال آخر لطريقة التقليبات:

مادة: الراء، والكاف، والباء: ركب

كيف نبحث عنها في كتاب العين أو غيره من يأخذ بنظام التقليبات؟ والجواب أن ذلك يكون بطريقة التقليبات الصوتية؛ حيث يبحث عن أبعد حروف المادة مخرجاً فيبدأ به، وذلك كما يلي:

كرب، كبر، ركب، ريك، بكر، برك، وهكذا...

هذا وقد تبع الخليل بنَ أَحْمَدَ في هذه الطريقة علماءً كثيرون، من أشهرهم: أبو علي القالي ت ٣٥٦هـ في معجمه (البارع)، وأبو منصور الأزهري ت ٣٧٠هـ في معجمه (التهذيب)، وابن سيدة ت ٤٥٨هـ في معجمه (المحكم).

وهذه الطريقة صعبة، وتحتاج إلى معرفة بالأصوات، وهذا ما قلل الاستفادة من المعاجم التي تأخذ بهذه الطريقة.

وهناك نوع آخر من التقليبات، ويكون حسب أول الحروف ترتيباً من الناحية الأبجدية؛ فالمادة الثلاثية وتقليلياتها الستة توضع تحت أول الحروف ترتيباً من هذه الناحية.

فمثلاً ترتيب مادة الباء، والراء، والعين، يكون هكذا: برع، بعر، ربع، رب، عبر، عرب.

وينفرد ابن دريد بهذه الطريقة في كتابه الجمهرة.

ثانياً: مدرسة القافية، أو نظام القافية:

وهذه المدرسة تعتمد على الحرف الأخير - كما يبدو في التسمية - حيث يُنظر إلى الحرف الأخير في المادة، فَيُجْعَلُ باباً، والحرف الأول، فيجعل فصلاً. والمعلم - بذلك - يحتوي على ثانية وعشرين باباً بعد حروف الهجاء، وكل باب يحوي ثانية وعشرين فصلاً.

مثال ذلك كلمة (علم) يبحث عنها في باب الميم، فصل العين وهكذا...

وقد اتبع هذه الطريقة كثير من العلماء، من أشهرهم الجوهرى ت ٣٩٨هـ في معجمه (الصالح)، وابن منظور ت ٧١١هـ في معجمه (لسان العرب) والفيروزبادى ت ٨١٧هـ في (القاموس المحيط) والزيدي ت ١٢٠٥هـ في معجمه (تاج العروس في شرح ألفاظ القاموس).

ثالثاً: مدرسة الأبجدية العادية:

وهي التي يراعى فيها وضع الألفاظ وترتيبها في أبواب وفصول حسب الترتيب الموجود في الكلمة، فينظر إلى الحرف الأول، والثاني وما يكون معهما لفظاً ثالثياً بدون تقليل، بل ترتب الأبواب حسب الحرف الأول مراعيًّا في ذلك الحرف الثاني، ثم الثالث.

وهذه طريقة سهلة ميسرة؛ ولهذا رأى كثير من العلماء - وخاصة المحدثين - اتباعها؛ لأنها لا تحتاج إلى دراسة الأصوات، ولكنها تسير حسب ما هو معروف في الترتيب الأبجدي العادي.

ولعل أول من أخذ بتلك الطريقة العالم اللغوي ابن فارس في معجميه (مقاييس اللغة) و (جمل اللغة).

وكذلك الزمخشري ت ٥٣٨ هـ في معجم (أساس البلاغة) وكذلك المعاجم الحديثة مثل (المعجم المحيط) و مختصره (قطر المحيط) لبطرس البستاني ت ١٣٠٧ هـ، و (المجادل) للأب لويس المعمول ت حوالي ١٣٢٤ هـ، و (المعجم الوسيط) الذي صدر عن المجمع اللغوي سنة ١٣٨٠ هـ.

الفصل الثاني: دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليبات

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: الكتاب الأول: كتاب العين.

المبحث الثاني: الكتاب الثاني: تهذيب اللغة.

المبحث الثالث: الكتاب الثالث: الحكم والمحيط الأعظم

في اللغة.

المبحث الرابع: الكتاب الرابع: معجم الجمهرة.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثاني:

دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليبات

نظام التقليبات - كما مر - على نوعين: أحدهما: نظام التقليبات الصوتية، والآخر: نظام التقليبات الأبجدية.
والحديث هنا سيتناول أربعة كتب تأخذ بنظام التقليبات، ثلاثة منها تأخذ بنظام التقليبات الصوتية، وهي (العين) و(التهذيب) و(المحكم).
وواحد منها يأخذ بنظام التقليبات الأبجدية، وهو (الجمهرة).

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الأول:

الكتاب الأول: كتاب العين^(١)

أولاً: صاحبه: هو **الخليل بن أحمد اليحمدي الأزدي الفراهيدى**. وهو من أصل عربي ، ولد في عُمان على الخليج العربي سنة ١٠٠ هـ ، ونشأ في البصرة ، وعرف بالبصري ، وتلقى على أيدي كبار علمائها من أمثال أبي عمرو ابن العلاء ، وأيوب ، وعاصم الأحول ، كما تصدى للتدريس بجالس البصرة ، فتلمذ على يديه كثير من أفاضل العلماء كالنضر بن شميل ، والأصمسي ، وسيبويه .

وكان ذا ديانة ، وعفاف وصيانة ، وجود وزهد ، وقناعة ، وسماحة نفس .

وكان ذا عقلية جبارة ، وموهبة فذة مبتكرة .

ولم يقف علمه عند اللغة فحسب ، بل تفوق في علوم الشريعة وغيرها . أثني عليه العلماء ، وأقروا بفضله ، ونبوغه ، وعقبريته .

قال سفيان الثوري رحمه الله : «من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك - فلينظر إلى الخليل بن أحمد» .

وقال حمزة الأصبغاني رحمه الله : «لم يكن للمسلمين أذكي عقلاً من الخليل» . كما أعجب به كثير من المستشرقين الذين اعترفوا بفضله ، ونبوغه .

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٢٥-١٠ ، ومقدمة كتاب العين تحقيق د. عبدالحميد هنداوي

ثانياً: الاهتمام بكتاب العين وخلاصة الآراء حوله^(١):

اهتم العلماء بكتاب العين، وكثير الجدل والخلاف حوله خصوصاً من ناحية تأليفه ومؤلفه؛ فمنذ عصر الخليل إلى عصرنا هذا والخلاف حوله كثير جداً. ويكاد الخلاف في هذه المسألة يتلخص في الآراء التالية:

- ١- أن الخليل لم يمؤلف كتاب العين، ولا صلة له به، ومن قال بذلك أبو علي القالي، وأستاذه أبو حاتم.
- ٢- أن الخليل لم يضع نص كتاب العين، ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه، فزعموا أن الفكرة للخليل، والتنفيذ لتلميذه الليث بن المظفر بن نصر الخراساني. وأول من قال بذلك: الأزهري صاحب التهذيب.
- ٣- أن الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين، ولكن كان لغيره عون في ذلك؛ حيث مال أغلبهم إلى أن الليث هو الذي ساعد في إتمام الكتاب. ولكن أصحاب هذا الرأي يختلفون فيما بينهم في تفسير اشتراك الليث مع الخليل، وإلى أي مدى عاون الليث في تأليف الكتاب؛ فمنهم من قال: إن الليث أعاد وضع الكتاب، وينسب ذلك إلى ابن المعتز، ومنهم من قال: الخليل وضعه والليث أكمله، وينسب هذا إلى أبي الطيب اللغوي.
- ٤- أن الخليل عمل من كتاب العين أصوله، ورتب أبوابه، وصنف مواده، ولكن غيره حشا المفردات.

١- انظر هذه الآراء، ومناقشتها بالتفصيل في المزهر ٩٦٧٦/١، ومقدمة كتاب العين د. عبدالحميد

هنداوي ٣٣-١

٥- أن الخليل عمل كتاب العين، بمعنى أنه ألفه، وروي عنه.
ومن أشهر من قال بهذا ابن دريد، وابن فارس، والسيوطى، المستشرق
براؤنلتش.

قال ابن دريد رحمه الله في مقدمة الجمهرة: «وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن
أحمد الفرهودي كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما إلى
نهايته» ^(١).

وقال ابن فارس رحمه الله في مقدمة كتابه المقايس حينما تحدث عن مصادر
كتابه: «فاعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب
العين» ^(٢).

وقال السيوطى رحمه الله: «أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن أحمد ألف
في ذلك كتاب العين المشهور» ^(٣).

وأما المستشرق براؤنلتش فقد توصل بعد طول دراسة وتأمل إلى أن الكتاب
للخليل، وبين سبباً لهذا وهو أن جُلَّ من تكلموا على العين اتفقوا على أن
التنظيم والترتيب من صنع الخليل، وهذا هو جوهر المسألة، وهو المعنى بكلمة
التأليف، أما الإضافة والحذف فلا تؤثر في كون الخليل مؤلف الكتاب.

وأضاف - أيضاً إلى هذا - أن تلميذه الليث قد قام بنصيب كبير في نقل الكتاب

١- مقدمة الجمهرة ٣/١.

٢- معجم مقاييس اللغة ٣/١.

٣- المزهر ١/٧٦.

عن الخليل ، وربما أثبتت فيه أشياء بعد أن استأذن الخليل في ذلك .
وانتهى من هذا إلى أن الخليل هو المؤلف ، وأن المخرج للكتاب هو الليث^(١) .

الرأي الراوح :

لعل الرأي الراوح الصحيح هو أن الخليل هو واضح كتاب العين كما نص على ذلك صراحة ابن دريد ، وابن فارس ، والسيوطى وغيرهم .
وأما ما وجد فيه من أشياء لا يمكن نسبتها إلى الخليل ، مثل التصحيف أو التحرير أو مسائل لا تسير وفق مذهب البصري ، أو حكايات عن المتأخرین عنه ، أو المعاصرين له فذلك كله إنما هو من عمل النساخ ، أو غيرهم من قد يتعلمون ذلك .

ثم إن الآراء الأخرى أغلبها استنتاجي يعتمد فقط على الرواية دون النظر إلى وقائع الأمور^(٢) .

ثالثاً: المنهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين^(٣) :

يمكن إيجاز المنهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين على النحو التالي :

١ - اتبع نظام التقليبات الصوتية وبدأ بأبعد الحروف مخرجاً : حيث رتب المواد على أساس مخارج الحروف - كما مر - فبدأ ببعدها مخرجاً وهي الحلقة (ع ح ه خ غ) ثم حروف أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى (ق ك) ثم وسط

١ - نشر هذا المستشرق بحثاً مطولاً عن هذا الموضوع في مجلة إسلاميات ٢٩/٢ .

٢ - انظر دراسات في المعاجم ص ١٠-١١ ، ومقدمة العين ٥١ .

٣ - انظر دراسات في المعاجم ص ١٦-١٩ .

اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى (ج ش) ثم حرف الضاد على اختلاف في مخرجه (ض) ثم طرف اللسان مع أطراف الثنایا السفلی (ص س ز) ثم مع أصول الثنایا العليا (ط د ت) ثم مع أطراف الثنایا العليا (ظ ذ ث) ثم مع اللثة العليا (ر ل ن) ثم حروف الشفتين (ف ب م) وأخيراً الحروف الجوفية (و ا ي). وقد سمي كل حرف منها كتاباً، وسمى المعجم كله بأول حرف بدأ به، وهو العين.

قال السيوطي رحمه الله : «فائدة: ترتيب كتاب العين ليس على الترتيب المعهود الآن في الحروف، وقد أكثر الأدباء من نظم الأبيات في ترتيبه؛ من ذلك قول أبي الفرج سلمة بن عبد الله بن لادن المعايري الجزيري :

في رتبة ضمها وزنٌ وإحصاء والغين والقاف ثم الكاف أكفاء صاد وسین وزاي بعدها طاء بالظاء ذال وثناء بعدها راء والميم والواو والمهموز والياء ^(١)	يا سائلني عن حروف العين دونكها العين والخاء ثم الهاء والخاء والجيم والشين ثم الضاد يتبعها والدال والتاء ثم الطاء متصل واللام والنون ثم الفاء والباء
---	---

٢- جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في موضع واحد، واتبع فيها نظام التقلييات - كما مر - .

٣- لاحظ الأبنية حسب مقدار حروف الكلمة؛ حيث يبدأ بالثاني، ثم

الثلاثي، ثم الرباعي، ثم الخماسي.

٤- أرجع الكلمة إلى حروفها الأصلية وذلك بتجريدها من الزوائد، وإرجاع المعتل إلى أصله، مثال ذلك: استغفر تكون: غفر، وقال: قول، وباع: بيع وهكذا...

٥- استشهد بالكتاب، والسنة، كما استشهد بالمأثور من كلام العرب، ونادراً ما يُنسب ما يذكر.

٦- ينبع على المهمل المستعمل في بداية كل مادة وتقليلاتها مثال ذلك: باب العين والكاف، والدال، عَكْد، دَعَكْ، دَكَعْ، مَسْتَعْمَلَاتْ، عَدَكْ كَدَعْ، كَعَدْ مهملات.

رابعاً: المآخذ على كتاب العين^(١):

١- استشهاده بشعر بعض المُحَدِّثِين، واحتواؤه على حكايات عن بعض المؤخرین الذين جاؤوا بعد وفاة الخليل كأبي إسحاق الزجاج، وكراع النمل وغيرهما.

٢- خلطه بعض المواد الرباعية والخماسية.

٣- احتواؤه على كثير من التصحيفات التي لا تليق بالخليل.

٤- بناء المعجم على أساس صوتي، وذكر المادة وتقليلاتها في موضع واحد؛ فهذا يجعل البحث عن الكلمات صعباً؛ إذ لا بد من معرفة مخارج الأصوات، ومعرفة التقليليات لمن يريد الكشف في العين عن معنى الكلمة حتى يسهل عليه

١- انظر المزهر ٧٩/١ - ودراسات في المعاجم ص ٢٥-٢٠.

ذلك.

وهذا من أكبر الأسباب التي قللت الاستفادة من مثل هذا المعجم.
وقد طبع المعجم طبعة جديدة صدرت عن دار الكتب العربية بيروت لبنان
١٤٢٤هـ، وترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي.

وهذه الطبعة رتبَت المعجم ترتيباً أبجدياً عادياً؛ فلعل في ذلك تسهيلاً وتيسيراً.
٥- أنَّ ما في العين من آراء نحوية إنما هو على مذهب الكوفيين، وبخلاف
مذهب البصريين.

مع أن مذهب الخليل كان يتبع المذهب البصري.
٦- أخذ بعض العلماء على الخليل إنفراده بكثير من الألفاظ، مثل قوله:
التاسوعاء : اليوم التاسع من المحرم ، وقد استدرك ذلك عليه الزييدي بقوله : «لم
أسمع بالتاسوعاء ، وأهل العلم مختلفون في عاشوراء ، فمنهم من قال : إنه اليوم
العاشر من المحرم ، ومنهم من قال : إنه اليوم التاسع» .

ودافع السيوطي عن ذلك بقوله : «إن الانفراد أمر طبيعي ، وحكمه القبول إن
كان المنفرد به من أهل الضبط والإتقان كأبي زيد ، والخليل ، والأصممي»^(١).
٧- اشتمل كتاب العين على أخطاء صرفية واستقاقية كقوله : «ليس في الكلام
نون أصلية في صدر الكلمة» .

قال الزييدي في استدراكه : « جاءت كثيراً نحو : نهشل ، ونعنع » .

١- وقد حكى السيوطي كثيراً من الأمثلة في بابين من كتاب المزهر : الأول : (ذكر نوادر من التأليف)
٤٨-٤٩ والثاني : (باب ضوابط واستثناءات في الأبنية وغيرها) .

هذه جملة من المآخذ على كتاب العين، وقد اعتذر له كثير من الباحثين والمنصفين.

يقول الدكتور أمين فاخر: «ويبدو أن هذه المآخذ يرجع معظمها إلى عمل النساخ الذين خلطوا بين متن الكتاب الذي هو للخليل، وبين المهوامش التي وضعها بعض المتأخرين من تلاميذ الخليل حينما رأوا أن يدونوا ملاحظاتهم على الكتاب»^(١).

وقال السيوطي رحمه الله: «وقد طالعته إلى آخره، فرأيت وجه التخطئة فيما خطى به غالبه من جهة التصريف والاشتقاق؛ كذكر حرفٍ مزيد في مادة أصلية، أو مادة ثلاثة في مادة رباعية ونحو ذلك، وبعضه ادعى فيه التصحيف. وأما أنه يُخطأ في لفظه من حيث اللغة بأن يقال: هذه اللفظة كذب، أو لا تعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك.

وحيئذ لا قدح في كتاب العين؛ لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف، وهذا أمر هين؛ لأن حاصله أن يقال: الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب، وإيرادها في هذا الباب.

وهذا أمر سهل، وإن كان مقام الخليل ينزعه عن ارتكاب مثل ذلك، إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب، والاعتماد عليه في نقل اللغة.

والثاني: إن سُلِّمَ فيه ما ادعى من التصحيف يقال ما قالته الأئمة: ومن ذا الذي سلم من التصحيف؟ كما سيأتي في النوع الثالث والأربعين مع أنه قليل

١- دراسات في المعاجم ص ٤٣.

جداً^(١).

وهكذا يتبيّن لنا من خلال ما مضى منزلة كتاب العين ، وأن المأخذ عليه - إذا وجدت - لا تنقص من قيمته ، ويكتفيه فخرًا أنه أول معجم لغوي شامل في العربية.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

الكتاب الثاني: تهذيب اللغة^(١)

أولاً: صاحبه: هو أبو منصور محمد بن أزهر الهرمي المعروف بالأزهري، ولد سنة ٤٨٤هـ وتوفي سنة ٥٣٧هـ.

ويبدو أنه تخصص في بادئ الأمر في دراسة فقه الشافعي، ويرز فيه إلا أنه تحول بعد ذلك إلى دراسة اللغة، وساعدته على ذلك أنه اختلط ببعض القبائل العربية الفصيحة فترة طويلة؛ حيث وقع في الأسر لديهم؛ فقد حدث أيام فتنة القرامطة سنة ٤٣٦هـ في أيام المقتدر بالله المعتصم أن كان الأزهري مسافراً إلى الحج، وعنه عودته أسرته الأعراب، وعاش فترة طويلة بين عرب هوازن وقد اختلط بهم تميم وأسد، وهؤلاء جميعاً من فصحاء العرب، ويحكي ذلك الأزهري نفسه كما روت له كتب الترجم ف يقول: «وكنت امتحنت بالإسرار سنة عارضت القرامطة الحجاج بالهبر»^(٢)، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشأوا بالبادية يتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى أعداد المياه، ويرعون النعم، ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطبعاتهم البدوية، وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً، وكنا نتشتت الدهناء، ونرتبع الصُّمَان، ونتقيظ الستارين.

١- انظر مقدمة تهذيب اللغة للأستاذ عبدالسلام هارون ٤٦٥/١، ودراسات في المعاجم العربية ص ٣٦-٣١.

٢- الهبر: رمل زرود في طريق مكة.

واستفدت من مخاطباتهم، ومحاجرة بعضهم ببعضًا ألفاظاً جمة، ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب»^(١).

وقد رجع الأزهري - بعد انتهاء أسره - إلى بغداد وكله شوق إلى دراسة اللغة وولوع بالبحث عن معاني الألفاظ والاستقصاء فيها، وأخذها من مظانها، وإحکام الكتب التي تأثیي له سمعها من أهل الثبت والأمانة للأئمة المشهورين وأهل العربية المعروفين، وقد حکى ذلك عن نفسه في مقدمة كتابه التهذيب.

وفي بغداد تلمنذ على أبي عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بـ: نفطويه ت ٣٢٣هـ، وأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج ت ٣١٦هـ، وأبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ت ٣١٧هـ).

ثانياً: هدف الأزهري من التأليف: لعل عنوان كتابه (التهذيب) يبيّن هدفه من تأليفه؛ فقد قصد من ذلك أن يهذب اللغة، ويخلصها مما علق بها من شوائب.

والمتبع لكلامه في المقدمة - كما يقول الدكتور أمين فاخر - يبدو له أن للأزهرى أهدافاً ثلاثة:

- ١- تقييد ما سمعه وحفظه من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقام بينهم.
 - ٢- النصيحة الواجبة على أهل العلم بجماعة المسلمين.
 - ٣- تصحيح الأخطاء الواردة في كتب اللغة قبله.

ثالثاً: منهجه: يمكن تلخيص منهج الأزهرى في كتابه التهدىب فيما يلى:

١- تصدیب اللّغة (٧)

- ١- اتبع نظام المخارج، وبدأ بحرف العين.
- ٢- سار على نظام التقلييات الصوتية بحيث يذكر المادة وما تقلب منها.
- ٣- قسم المعجم إلى أبواب حسب حروف الهجاء، ثم قسم كل باب إلى ستة أبنية، هي: الثنائي، والثلاثي الفصيح والمهموز والمعتل، والرباعي، والخمساني، وأشار في صدر كل باب إلى المهمل المستعمل.

رابعاً: مميزات معجم التهذيب:

- ١- اعنى كثيراً بالشواهد القرآنية، والحديثية، وبالقراءات المختلفة.
- ٢- يشير إلى المهمل وسبب إهماله، كما يشير إلى المستعمل الذي أهمله من سبقه من العلماء.
- ٣- اهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها.
- ٤- اعنى بذكر الموضع والبلدان.
- ٥- توسع في ذكر الألفاظ وشرحها.

خامساً: المآخذ على التهذيب: من المآخذ عليه ما يلي:

- ١- اتباعه نظام التقلييات الصوتية مما جعل البحث فيه عسيراً صعباً.
- ٢- توسعه في الشرح مما فتح عليه باب التكرار.
- ٣- تحامله على كثير من اللغويين السابقين.

هذه بعض المآخذ على الأزهري، وعلى أي حال فمعجمه من المعاجم التي بذل فيها جهد عظيم، وأفادت منها العربية فائدة جليلة.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثالث:

الكتاب الثالث: المحكم، والمحيط الأعظم في اللغة^(١)

أولاً: صاحبه: هو ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة المرسي الأندلسي.

ولد سنة ٢٩٧ هـ بمدينة مرسية بالأندلس ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ.

ورغم أنه كان ضريراً فقد نبغ في كثير من العلوم ، وخاصة اللغة ، فقد كان إماماً بها.

وقد أخذ عن كثير من علماء اللغة الأجلاء ، ومنهم والده الذي كان عالماً باللغة.

وقد امتاز ابن سيدة بمكانة علمية مرموقة بين علماء عصره ، وخاصة في بلاد الأندلس؛ فقد وهب الله حافظة قوية ، وذاكرة نادرة مما جعله - وهو ضرير - يحظى بما لم يحظى المبصرون.

ولابن سيدة في اللغة مؤلفات أخرى غير المحكم ، ولعل أكبرها: كتاب (المخصص) الذي يعد من أعظم معاجم المعاني إن لم يكن أعظمها على الإطلاق ، وهو يقع في سبعة وعشرين جزءاً.

أما كتابه المحكم فهو من أهم المعاجم اللغوية التي اتبعت نظام التقليبات

١- انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٥/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٤٤/١٨ ، ١٤٦-١٤٤ ، ولسان الميزان لابن حجر ١٣٧/٤ ، ومقدمة كتاب المحكم ، وانظر دراسات في المعاجم العربية ص ٣٢-٣٧.

الصوتية، وقد طبع أخيراً طبعة جيدة، بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي، ضمن منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م، ويقع في ١١ مجلداً.

ثانياً: هدفه من تأليف كتاب المحكم: يتضح من مقدمته أن هدفه فيه يكاد ينحصر في أمرين: ١- جمع شتى المفردات اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يغني عنها.

٢- أنه أراد تصحيح ما فيها من أخطاء.

ثالثاً: منهجه:

١- اتبع نظام التقليبات الصوتية، وبدأ بأبعد الحروف مخرجاً وهو العين.

٢- وضع لنفسه نظاماً يسير عليه في اختيار الألفاظ؛ فحذف بعض الأبنية لاطرادها، أو فهمها من سياق الكلام، وأشار إلى أبنية لم تذكرها المعاجم السابقة، بل ذكرتها كتب النحو والصرف، كما ميز الأبنية المتشابهة التي أغفلتها اللغويون من قبله كتمييزه بين الاسم الجمجمة، وجمع الجمجمة، وغير ذلك.

رابعاً: مميزات معجم المحكم:

١- تجنب الأخطاء التي وقعت في كتاب العين.

٢- تجنب التكرار الذي وقع في تهذيب الأزهر.

٣- اعنى بالأحكام النحوية والصرفية التي أغفلتها المعاجم السابقة.

٤- اعنى باللغات والأعلام والعروض.

٥- اعنى بكثير من الظواهر اللغوية مثل المزاوجة، والاتباع، والتغييرات

المجازية.

٦- أكثر من الشواهد غير مقتصر على ما ورد في المعاجم السابقة.

خامساً: المأخذ على المعجم: على الرغم مما امتاز به كتاب الحكم فقد أخذ عليه بعض الباحثين مأخذ كثيرة منها على سبيل الإيجاز:

١- اتباعه لنظام التقليبات الصوتية، مما جعل البحث فيه عسيراً.

٢- مخالفته لبعض علماء اللغة الموثوق بهم.

٣- وقوعه في بعض الأخطاء والتصحيفات، كما في قوله في (المسع والميسوع): «اسمان وهي لغة قدية لا يعرف اشتقاقها».

ويقول الفيروزأبادي معلقاً على ذلك: «لقد أبعد أبو الحسن في المرام، وأبعد في السوم، وإن هذين الاسمين عربيان حميريان، واشتقاهم من هسع إذا أسرع»^(١).

٤- أنه ساير بعض المعاجم السابقة عليه وخاصة العين في بعض الأخطاء.

٥- إيراده بعض الألفاظ التي وُجّه إليها النقد في المعاجم السابقة كالعين والجمهرة.

ورغم هذه المأخذ فإن كثيراً من علماء العربية يعدون كتاب الحكم من أحسن المعاجم التي ألفت على نظام التقليبات إن لم يكن أحسنها على الإطلاق.

١- انظر دراسات في المعاجم ص ٣٦.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الرابع:

الكتاب الرابع: معجم جمهرة اللغة^(١)

هذا الكتاب يمثل نظاماً جديداً من التأليف مختلفاً عن نظام الخليل وما تبعه من المعاجم التي سارت وفق مدرسة التقليبات الصوتية؛ ولهذا تأخر ذكره في الدراسة في هذا الكتاب مع أنه متقدم عليها في لتأليف.

والدراسة في هذا الكتاب - كغيره - حيث ستتناول الأمور التالية:

أولاً: صاحبه: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد.

ولد عام ٢٦٣هـ بالبصرة، وتوفي فيها عام ٣٢١هـ عن ثمانية وتسعين عاماً.

ويعد من أبرز علماء القرنين الثالث والرابع من الهجرة.

وكان أبوه الحسن بن دريد من الرؤساء، وقد نشأ في بيته تنشئة أهللته لأن يتصدر في العلم ستين سنة، وعد بذلك - كما تذكر كتب الطبقات - رأس أهل العلم، والمقدم في حفظ اللغة والأنساب، وأشعار العرب.

وكان ابن دريد حجة في اللغة ذاتها حافظة قوية، وعقلية نادرة، وله قصص في ذلك.

وكان شاعراً مُقلقاً، ويدرك ياقوت الحموي أنه كان يقال عنه: «ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء»^(٢).

١ - انظر مقدمة كتاب الجمهرة ٢١-٢٠ ففيها تفصيل لسيرته، ومنهجه، وانظر دراسات في المعاجم

العربية ص ٣٨-٤٨

٢ - معجم الأدباء ١١/١٣٩

أخذ عن كثير من علماء عصره كأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وأبي عثمان الأشناذاني وغيرهم.

وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي، وأبو الفرج الأصبهاني، وابن خالويه وغيرهم.

كما خلف ثروة ضخمة من كتب اللغة أشهرها الجمهرة، والاشتقاق.

ثانياً: سبب التسمية، والهدف من الكتاب: أما سبب تسمية الكتاب بـ: الجمهرة فلأنه - كما يقول في المقدمة - : « وإنما أعنّاه هذا الاسم؛ لأنّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشى المستنكر »^(١).

أما الهدف فواضح من المقدمة، ويُكاد ينحصر في أمرين :

١- جمع الألفاظ الشائعة المألوفة والبعد عن الوحشى المستنكر.

٢- جمع الألفاظ بطريقة ميسرة خلاف ما كانت عليه طريقة الخليل.

قال ابن دريد رحمه الله في مقدمته : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي - رضوان الله عليه - كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ، ولكن رحمه الله ألف كتابه **مشكلاً**^(٢) لِثُقُوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحِلْة أذهان أهل دهره.

وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش ، والعجز لهم شامل ، إلا

١- جمهرة اللغة لابن دريد ٤/١

٢- هكذا في المزهر ٩٦/١ ، وفي الجمهرة: مشكلاً.

خصائص كَدَرَارِيٌّ النجوم في أطراف الأفق، فسَهَّلَنَا وعْرَهُ، ووَطَّنَا شَأْزَهُ^(١)، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة؛ إذ كانت بالقلوب أَعْلَقُ، وفي الأسماع أَنْفَذُ، وكان عِلْمُ العَامَةِ بِهَا كَعْلَمُ الْخَاصَّةِ»^(٢).

ثالثاً: إملاء ابن دريد الجمهرة: قال السيوطي رحمه الله : «وقال بعضهم: أملأ ابن دريد الجمهرة في فارس، ثم أملأها بالبصرة وبيغداد من حفظه ، ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللفيف؛ فلذلك تختلف النسخ ، والنسخة المعول عليها هي الأخيرة، وآخر ما صحيّ نسخة أبي الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمد النحوي المعروف بـجُبَّاجُخْ؛ لأنّه كتبها من عدة نسخ، وقرأها عليه» ^(٣).

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، ومنها طبعة دار صادر بيروت وتقع في أربعة مجلدات.

رابعاً: منهجه^(٤): يعد معجم الجمهرة ثاني معجم شامل في العربية بعد كتاب العين، وقد حاول ابن دريد أن يخالف الخليل في ترتيب المواد، فابتكر نظاماً جديداً للتقليليات وهو تقليل المادة حسب حروفها ترتيباً أبجدياً. وهو في هذا قد سلك مسلكاً جديداً في ترتيبه للمواد المعجمية، ولم يتبعه في

- ١- الشائز: الصعب.
 - ٢- جمهرة اللغة ٣/١.
 - ٣- المزهر ٩٤/٩٥-٩٦.
 - ٤- انظر دراسات في المعاجم ص ٤١-٤٢.

هذا أحد من أصحاب المعاجم من بعد.

ولهذا يعده بعض الباحثين مثلاً لمدرسة جديدة هي مدرسة التقليبات الأبجدية.

أما في غير ذلك فقد نهج نهجاً لا يختلف عن منهج الخليل في معجم العين.

ولذلك يمكن أن يوجز النهج الذي سار عليه ابن دريد فيما يلي :

١- أرجع الكلمات إلى حروفها الأصلية، فجرد الكلمة من الزوائد، وأرجع المقلوب إلى أصله، و شأنه في هذا شأن جميع المعاجم.

٢- اتبع نظام التقليبات للكلمة، ولكنها التقليبات الأبجدية؛ فإذا تحدث - على سبيل المثال - عن (ب ر ك) تحدث بعدها عن جميع تقاليبها وهي : (ب ك ر) و (ر ب ك) و (ر ك ب) و (ك ب ر) و (ك ر ب) وهكذا في كل الموارد؛ حيث يقلبها حسب التقليل الأبجدي لا التقليل الصوتي.

وهذه أسهل من طريقة الخليل.

٣- جعل الأبنية هي الأساس الأول في تقسيمه للمعجم، ثم قسمها إجمالاً كتقسيم الخليل ، فهي عنده ثلاثة - والثلاثي يشمل الثنائي المضعف - ورباعية ، وخمسية ، وملحقات بكل بناء.

أما تفصيلاً فقد اضطرب إلى حد كبير؛ فقد تنوّعت الأبنية في الجمهرة تنوعاً كبيراً حتى إن بعض الباحثين حصرها في سبعة عشر باباً وهي : الثنائي الصحيح، والملحق ببناء الرباعي المكرر، والمعتل ، والثلاثي الصحيح وما تشعب منه، وما اجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع ، وما عين الفعل منه أحد أحرف اللين ، والثلاثي المعتل ، وباب النواذر في الهمز ، وباب اللفيف في الهمز ، وأبواب

الرباعي الصحيح، والرباعي الذي جاء فيه حرفان مثلان، والرباعي الذي جاء على أوزان ضعف فيها الحرف الرابع، وما الحق بالرباعي والخمساني والساداسي، واللغييف، وأبواب متفرقة من النوادر.

٤- أورد في مقدمته بحوثاً لغوية مهمة، تعد مكملة لبحوث الخليل ولا تخلو من فوائد عظيمة في مجال البحث اللغوي الحديث.

وقد بدأ هذه المقدمة باستنكار الطعن في السلف، والإزراء بالعلماء السابقين. ثم تحدث - في المقدمة أيضاً - عن ضرورة معرفة حروف المعجم، وما يتألف منها وما لا يتألف، وسبب ذلك.

كما ذكر عدد الحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً، ما يختص العرب بنطقه منها، وما لا يختص، وما لم يجيء من الحروف في لغة العرب.

كما أفرد باباً لصفة الحروف وأجناسها، وذكر أنها سبعة أجناس يجمعهن لقبان: المصنمة، والمذلقة، مبيناً معناهما، وعرض لبقية الصفات، وهي الهمس والجهر والشدة، شارحاً كل نوع، وذاكاً حروفه.

وذكر مخارج الحروف وأجناسها، فيبدأ بالحلقية، ثم حروف الفم، ثم المخارج الشفوية.

كما ذكر أنه لا بد للباحث من معرفة الحروف الأصلية والزائدة، وعقد فصلاً في ذلك مبيناً مواضع زيادة الحروف.

كما عقد فصلاً للأبنية، وسماه باب الأمثلة، فذكر أنها ثلاثة، وأنها عشرة ورباعية وخمسانية، وذكر أبنية كل نوع والأمثلة التي وردت منه.

كما يفهم مما ذكره ابن دريد في المقدمة - أيضاً - أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة، وأقلها استعمالاً - لثقلها على ألسنتهم - الطاء والدال، وأن الثلاثي أكثر الأبنية.

ثم أخذ بعد ذلك في ذكر المواد اللغوية وشرحها.

خامساً: مميزات معجم الجمهرة: جاء معجم الجمهرة - كما مر - بعد معجم العين مباشرة، وقد حاول فيه صاحبه أن يتحاشى ما وقع فيه الخليل في كتاب العين، ويمكن إجمال مميزات الجمهرة فيما يلي :

- ١- ابتعد ابن دريد عن نظام التقلبات الصوتية، واتبع نظام التقلبات الأبجدية، وهي - على كل حال - أيسر.
- ٢- انفرد ابن دريد ببعض الصيغ كما انفرد ببعض الشواهد.
- ٣- اعنى باللهجات الواردة عن القبائل العربية، ونسبها إلى أهلها.
- ٤- اعنى بالشواهد القرآنية والحديثية وكلام العرب.
- ٥- اعنى بالإشارة إلى الألفاظ المُعرَّة والدخيلة.

سادساً: المأخذ على الجمهرة^(١):

- ١- اتباعه لنظام التقلبات الأبجدية؛ فهي وإن كانت أيسر من نظام الصوتية إلا أن نظام التقلبات بحد ذاته شاق.
- ٢- وقوعه في كثير من الاضطرابات؛ فقد خلط في الأبنية ونظمها؛ حيث لم يجعلها الأساس الأول في جميع المعجم، ولكنه ألحق في بعض الأبواب إضافات

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٤٣-٤٨.

صادفته أثناء التأليف.

كما اضطرب في خطته حيث انفرد في معجمه بأشياء لم توجد في كتب المتقدمين.

٣- أنه اتهم باضطراب التصنيف وفساد التصريف - كما ذكر ذلك ابن جنی - .

قال السيوطي : «وقال ابن جنی في الخصائص : وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف ، وفساد التصريف ، مما أُعذرُ وأضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر .

ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعاً من التنبية على هذه الموضع ما استحببت من كثرته؛ ثم إنه لما طال عليّ أومأت إلى بعضه وضررت البتة عن بعضه» .

ثم وضح السيوطي مقصود ابن جنی ، ودافع عن ابن دريد ، بقوله : «قلت: مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف ، وذكر المقادير في غير محلها كما تقدم في العين؛ ولهذا قال : «أعذرُ وأضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر»

يعني أن ابن دريد قصير الاباع في التصريف وإن كان طويلاً الاباع في اللغة .
وكان ابن جنی في التصريف إماماً لا يشق غباره؛ فلذا قال ذلك^(١) .

٤- أنه اتهم بالكذب ، وصنع الألفاظ ، حيث حکى السيوطي ذلك عن الأزهري ثم قال : «وقال الأزهري: من ألف الكتب في زماننا فرمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ أبو بكر بن دريد ، وقد سألت عنه إبراهيم بن محمد بن

عرفة - يعني نفطويه - فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته^(١).

ثم دافع السيوطي عن ابن دريد بعد ذلك بقوله: «قلت: معاذ الله وهو بريء ما رمي به، ومن طالع الجمهرة رأى تحريره في روايته، وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يُعرف منه ذلك، ولا يقبل فيه طعن نفطويه؛ لأنَّه كان بينهما منافرة عظيمة، بحيث إنَّ ابن دريد هجاه بقوله:

لَكَانَ ذَاكَ الْوَحِيُّ سَخْطًا عَلَيْهِ	لَوْ أَنْزَلَ الْوَحِيُّ عَلَى نَفْطَوِيَّهِ
مُسْتَأْهَلٌ لِلصَّفْعِ فِي أَخْدُعِيهِ	وَشَاعِرٌ يُدْعَى بِنَصْفِ اسْمِهِ
وَصَيْرٌ الْبَاقِي صَرَاخًا عَلَيْهِ	أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنَصْفِ اسْمِهِ

وهجا هو ابن دريد بقوله:

ابن دريد بقرة	وَفِيهِ عَيْ وَشَرَّةٌ
ويدعى من حمه	وَضَعَ كِتَابَ الْجَمْهُرَةِ
وهو كتاب العين إلا أنه قد غَيَّرَهُ	

وقد تقرر في علم الحديث أنَّ كلام الأقران في بعضهم لا يقدح^(٢).

١- المزهر ٩٣/١.

٢- المزهر ٩٤-٩٣/١.

**الفصل الثالث: المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية،
ودراسة لبعض المعاجم التي تسير عليها.**

وتحته تمهيد، وثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: المعجم الأول: تاج اللغة، وصحاح
العربية.**

**المبحث الثاني: المعجم الثاني: لسان العرب.
المبحث الثالث: المعجم الثالث: القاموس المحيط.**

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثالث

المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية،

ودراسة لبعض المعاجم التي تسير عليها

تمهيد:

من الحديث عن هذه المدرسة التي تسمى مدرسة القافية، أو نظام القافية.

والحديث عنها هنا سيكون فيما يلي^(١):

أولاً: تعريف مدرسة القافية: هو جعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً على حسب حروف الهجاء.

ثانياً: عدد الأبواب: أبوابها ثمانية وعشرون، وكل باب ثمانية وعشرون فصلاً.

ثالثاً: سبب التسمية: هو نظر الواضعين لها إلى الحرف الأخير في ترتيب الفصول من كل باب.

رابعاً: سبب التأليف على هذا النحو: صعوبة البحث في المعاجم التي اتبعت نظام التقليبات بنوعيها الصوتية والأبجدية؛ فأراد أصحاب مدرسة القافية تيسير البحث عن الكلمات.

خامساً: ما سبب نظرهم إلى الحرف الأخير؟: هو أنهم رأوا أن لام الكلمة - وهو الحرف الأخير - أقل تعرضاً للتغيرات من فاء الكلمة وعينها.

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٤٩ - ٥٠

وربما يكون هذا هو التفسير الصحيح لاتباع هذا النظام.

سادساً: أول من أنشأ هذه الطريقة: لعل أول من فكر في وضع معجم شامل بهذه الطريقة هو الجوهرى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في معجمه الصاحح.

وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أنه قد سُقِّ في هذا النظام بعالمين من علماء اللغة هما أبو بشر البندنيجي ت ٤٨٤هـ في كتابه اللغوي (التفقية) وأبو إبراهيم إسحاق الفارابي خال الجوهرى ت ٣٥٠هـ في كتابه (ديوان الأدب) وذلك حين اتبعا نظام القافية، فنظرًا إلى الحرف الأخير في ترتيب المواد اللغوية؛ فإن البندنيجي قد أهمل جزءاً هاماً من أسس هذه المدرسة وهو النظر إلى الحرفين: الأول والثاني، ونظر فقط إلى الحرف الأخير، كما أن كتاب التفقيه هذا وكتاب ديوان الأدب لا يعدان من المعاجم اللغوية الشاملة بالمعنى الدقيق؛ فقد اقتصرا على مواد قليلة جداً بالنظر إلى المعاجم اللغوية الأخرى.

ولذلك يمكننا القول بأن معجم الصاحح للجوهرى يعد أول معجم شامل اتبع نظام القافية هذا، وإن لم يكن من المستبعد أن الجوهرى قد تأثراً بهما في ترتيب المواد.

سابعاً: أشهر المعاجم التي اتبعت نظام القافية: اتبع الجوهرى في هذا النظام كثيراً من أصحاب المعاجم، من أهمهم الصّغاني ت ٦٥٠هـ في معجمه (العباب) وابن منظور ت ٧١١ في معجمه (لسان العرب) والفiroزآبادي ت ٨١٦هـ في معجمه (القاموس)، والزبيدي ت ١٢٠٥هـ في معجمه (تاج العروس).

وفيما يلي دراسة لبعض تلك المعاجم.

المبحث الأول:

المعجم الأول: تاج اللغة، وصحاح العربية

وهو المعروف بـ: (الصحاح) ^(١).

أولاً: صاحبه: هو أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهرى الفارابي المعروف بـ: الجوهرى.

وأصله من فاراب إحدى بلاد الترك.

ولد سنة ٣٣٢ هـ وتوفي سنة ٣٩٨ هـ على الأشهر ^(٢).

وكان الجوهرى إماماً في اللغة والأدب في عصره، وكلام الرواة عنه يدل على ما كان يتمتع به هذا العالم اللغوي من علم وذكاء وفطنة.

يقول عنه ياقوت: «إنه من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلماً».

وقد تلقى الجوهرى علومه على كثير من علماء اللغة، ومنهم خاله إبراهيم الفارابي ت ٣٥٠ هـ، وأبو سعيد السيرافي ت ٣٦٨ هـ، وأبو علي الفارسي ت ٣٧٧ هـ.

وقد رحل إلى الحجاز؛ رغبة في التزود من العلم، وشافه خلُص العرب، وطَوَّفَ ببعض القبائل العربية كـ: ربيعة ومضر.

وعاد بعد ذلك إلى خراسان، ويقال: إنه عاد إلى نيسابور، وعكف فيها على

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ٥١-٦٥.

٢- انظر ترجمته في يتيمة الدهر للشعالبي ٤/١٧٣-١٧٤، ومعجم الأدباء ٦/١٥١، ومقدمة الصحاح ١/١٧-١٨، ودراسات في المعاجم ص ٥١-٦٥.

التدرис والتأليف.

وقد تللمذ على يديه كثير من أعلام اللغة كأبي الحسين بن علي، وأبي إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق وغيرهما.

ويذكر الرواة أنه كان شاعرًا يميل في شعره إلى الحكمة، ويذكرون من ذلك قوله :

قطع حبل الناس باليأس	لو كان لي بد من الناس
لا بد للناس من الناس	العز بالعزلة لكنه

وقوله :

تنفي الهموم وتذهب الغما	زعم المدامَة شاربوها أنها
أن السرور بها لهم تما	صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا
وللجوهري مؤلفات كتب غير الصحاح، ومنها (عروض الورقة) في علم العروض، وكتاب (المقدمة) في النحو.	

أما كتاب الصحاح فقد نال شهرة عظيمة ومكانة سامية بين علماء اللغة، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن عبدوس النيسابوري :

صنف قبل الصحاح سيد ما	هذا كتاب الصحاح
فرق في غيره من الكتب ^(١)	تشمل أبوابه وتحمع ما
ثانياً: اسم المعجم: الاسم الموضع لمعجم الجوهرى هو (تاج اللغة	

وصحاح العربية).

ولكنه اشتهر بعد ذلك - اختصاراً - بالصحاح.

ولكلمة الصحاح ضبطان أحدهما بكسر الصاد، والآخر بفتحها: صَحَاحٌ، وكل منهما صحيح، والكسر أشهر.

«قال أبو زكريا الخطيب التبريزى اللغوى : يقال كتاب الصَّحَاح بالكسر وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال : الصَّحَاح بالفتح، وهو مفرد نعت كصحيح.

وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة في فعال كصحيح وصحاح، وشحيح وشحاح، وبريء وبراء»^(١).

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، منها طبعة الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، وآخرها الطبعة التي حققها د. إميل يعقوب، ود. محمد نبيل طريفى، من منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، وهي طبعة جيدة، وتقع في سبع مجلدات.

ثالثاً: هدف الجوهري: ألف الجوهري معجمه الصحاح قاصداً أمرين أساسين :

أحدهما : تيسير البحث عن ألفاظ اللغة ومعانيها.

الآخر : التزام الصحيح منها.

رابعاً: منهجه: يمكن توضيح منهجه في الأمور التالية :

- ١- اتبع نظام القافية؛ فجعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً، كما ترك نظام التقليبات، واتبع نظام الأبجدية العادبة: (أ ب ت ث ج ح ... إخ)
- ٢- قسم كل باب إلى فصول حسب أوائل الكلمات، فمثلاً باب الهمزة يبدأ بفصل الهمزة ثم بما يليه من حروف حتى يتّهي إلى الياء، ثم ينتقل إلى باب الباء فيبدأ بفصل الهمزة ثم بما يليه وهكذا... .

وليس ضرورياً أن يكون لكل باب ثمانية وعشرون فصلاً، ولكن ذلك مرتبط بوجود الألفاظ المستعملة أو عدم وجودها؛ ولذلك فإن بعض الأبواب اكتمل فيها هذا العدد من الفصول، كما أن بعضها لم يكتمل.

وقد رتب كل فصل بحسب ما يليه من الحروف، أي أنه راعى الحروف المتوسطة بين الحرف الأخير الذي جعله باباً، وبين الأول الذي جعله فصلاً، فنظر إلى الثاني إذا كانت الكلمة الثلاثية، وإلى الثاني والثالث إذا كانت رباعية، وإلى الثاني والثالث والرابع إذا كانت خماسية.

٣- اقتصر على جمع الألفاظ الصحيحة.

٤- عني بالضبط عنابة دقيقة؛ خوفاً من التحرير والتصحيف.

٥- وضع قواعد خاصة في ضبط الأسماء والأفعال.

٦- أكثر من القواعد النحوية والصرفية مشيراً إلى الشاذ منها.

٧- أشار إلى اللغات المختلفة في اللفظ الواحد.

٨- اعنى بالتنبيه على المعرّب من الألفاظ.

٩- أرجع المواد إلى أصولها، وذلك بتجريدها من الزوائد، ورد المقلوب إلى

أصله، وإذا كانت جمعاً أرجع إلى المفرد، وهكذا - كما هو صنيع جميع المعاجم.-

فمثلاً كلمة (كتب) يبحث عنها في باب الباء فصل الكاف وهي متأخرة في الترتيب عن كأب، وكب، متقدمة على كتب، وكذب، وكرب، وبقية مواد الفصل، وهكذا مع ملاحظة أن الجوهري قدم الواو على الهاء في ترتيبه.

أما الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف فيبحث عنها في نفس أبواب الثلاثي بملحظة الحرف الثاني وما يليه، فالكلمة (كعب) يبحث عنها في (كعب) وهكذا... .

خامساً: مميزات الصحاح: لعل بعض تلك المميزات تبين من خلال الحديث عن منهجه، ويمكن إجمالها بما يلي :

١- اتباع طريقة القافية، وهي جديدة مبتكرة يسيرة.

٢- أن طريقة في شرح الألفاظ تفيد الباحث في بعض النظريات المتصلة بفقه اللغة مثل نظرية دوران المادة حول معنى معين؛ حيث يبيّن في كثير من الأحيان سبب دلالة اللفظ على معنى معين يرجع إليه الكثير من الألفاظ.

وكذلك المشترك، والمتضاد وغيرهما يمكن استخراجه بيسر من معجم الصحاح، بسبب طريقة في شرح الألفاظ، وتنبيهه على ذلك أحياناً.

٣- اعتماده على المصادر الموثوق بها، إما مشافهة، أو من طريق المؤلفات.

٤- استشهاده بالقرآن، والحديث، وما روی من فصيح كلام العرب شرعاً ونثراً.

- ٥- نسبة الأقوال إلى أصحابها في كثير من الأحيان.
- ٦- احتواوه على كثير من القواعد النحوية والصرفية.
- ٧- اهتمامه بأسماء القبائل، والأعلام العربية.
- والأمثلة على ما ذكر من المميزات كثيرة، ومن ذلك ما بينه في مادة (صاحب) و(غلب) وغيرهما.

سادساً: المأخذ على الصحاح: ذكر بعض الباحثين كثيراً من المأخذ على الصحاح، ولكنها - في الواقع - تعد هنات صغيرة بالنظر إلى ما في هذا المعجم من مميزات كثيرة.

ثم إن تلك المأخذ لم تؤيد إلا بأمثلة قليلة ونادرة، بل ربما لا نجد إلا مثالاً واحداً ذكروه أحياناً لبعض المأخذ.

ومما ذكروه من ذلك ما يلي^(١):

- ١- نسبة الأقوال إلى غير أصحابها.
- ٢- غلطه في ترتيب المواد.
- ٣- اشتماله على أخطاء نحوية، وصرفية.
- ٤- قلة الدقة في نقل أقوال العلماء.
- ٥- اضطرابه في نسبة الأحاديث النبوية إلى رواتها.
- ٦- خلطه بين أجزاء الأبيات من الشعر.

١- انظر المعاجم اللغوية د. إبراهيم نجا ص ١١٣ فما بعدها، ومقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار ص ١٣٤.

٧- خطأه في شرح معاني المفردات.

وهذه مأخذ قليلة وليس بطردة، وإنما المأخذ التي ينبغي الوقوف عندها
مأخذان:

١- الاقتصار على الصحيح من الألفاظ مما سبب إهمال بعض المواد
الصحيحة.

وقد نبه إلى ذلك الفيروزآبادي في مقدمة معجمه القاموس.

٢- التصحيف الذي رواه عن كثير من العلماء.

وقد أفرد السيوطي في المزهر باباً سماه (ذكر ما أخذ على صاحب الصحاح
من التصحيف).

وذكر من أخذ على الجوهري ذلك: الأزهري^١، والتربيزي^٢، وأبو سهل
الهروي، وابن بري، والفيروزآبادي، وذكر أمثلة على ذلك.

ومع ذلك فلا يسلم لكل واحد من هؤلاء في مأخذة؛ لأن الغلط قد يكون
منهم لا من الجوهري^(١).

١- انظر المزهر ٣٩٠/٣٩٤.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثاني:

المعجم الثاني لسان العرب^(١)

أولاً: صاحبه: أبو الفضل جمال الدين عبد الله: محمد بن مكرم بن علي ابن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الأنصاري الخزرجي الإفريقي المصري، المعروف بابن منظور.

ولد سنة ٦٣٠ هـ في القاهرة وقيل في طرابلس. وأجمع المؤرخون على أنه كان محدثاً فقيهاً عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وولي قضاء طرابلس، ثم عاد إلى مصر وبها توفي عام ٧١١ هـ.

ويعد ابن منظور من كبار علماء القرنين السابع والثامن الهجريين؛ فقد كان عالماً بال نحو، واللغة، والتاريخ، والحديث، والفقه.

ويقال: إنه ترك كتاباً من تأليفه أو اختصاره بلغت خمسمائة مجلد، عدا ما ينسخه من كتب الأقدمين.

وقد اختصر كثيراً من كتب الأقدمين كالاغاني، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ومفردات ابن البيطار، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وزهر الآداب للحصري.

وقد تلقى ابن منظور علومه عن ابن المقير وغيره من كبار القرن السابع الذي كان لهم فضل كبير في تعليمه.

ثانياً: هدفه من تأليف لسان العرب: يكاد ينحصر فيما يلي:

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٦٦-٧٣.

- ١- تأليف معجم كبير يجمع كل المحسن الموجودة في كتب اللغة.
- ٢- تلافي ما في المعاجم السابقة من عيوب.
- ٣- جمع مواد اللغة بطريقة تشجع الناس على معرفة العربية، وإتقانها والوقوف على أسرارها الجمالية.

ثالثاً: مراجعه: رجع بِحَمْلِ اللَّهِ إلى الكتب التالية:

- ١- تهذيب اللغة للأزهري ت ٣٧٠ هـ.
- ٢- الحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت ٤٥٨ هـ.
- ٣- الصحاح الجوهرى.
- ٤- حواشى ابن بري ت ٥٧١ هـ.
- ٥- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ت ٦٩٠ هـ.

رابعاً: منهجه: يمكن أن يوجز منهج ابن منظور في كتابه لسان العرب فيما يلي :

- ١- جَرَدَ الكلمات من الزوائد، وأرجعها إلى أصولها شأنه في ذلك شأن جميع أصحاب المعاجم.
- ٢- اتبع مدرسة القافية؛ فجعل الحرف الأخير من الكلمة باباً، والأول فصلاً، شأنه بذلك شأن الجوهرى إلا أنه قدم الهاء على الواو.
- ٣- استشهد بالقرآن، والحديث، وتأثير كلام العرب.
- ٤- اعنى بلغات العرب، واهتم بالنواذر.
- ٥- جمع ما تفرق في المعاجم الأخرى.

خامساً: المميزات: يمكن إيجازها فيما يلي:

- ١- اتباعه لنظام القافية، وهو أيسر من نظام التقليبات - كما مر - .
- ٢- توسيع في شرح المواد وما تفرع منها من ألفاظ؛ حتى يقال: إنه احتوى على ثمانين ألف مادة على حين أن الصاحح احتوى علىأربعين ألفاً، والقاموس على ستين ألفاً.
- ٣- امتاز - كما مر - بالاستشهاد بالقرآن، والحديث، وما أثر من كلام العرب.
- ٤- اعنى بنسبة الأشعار إلى أصحابها، حتى إنه **لَيُعدُّ مرجعاً مهماً** في ذلك.
- ٥- اهتم بلهجات العرب، ويتوجيه القراءات.
- ٦- اهتم بذكر بعض القواعد النحوية والصرفية.

سادساً: المآخذ على لسان العرب: لا شك أن الاتساع الكبير في شرح مواد اللغة الذي بحأ إليه ابن منظور في كتابه لسان العرب قد أدى إلى وقوعه في بعض المآخذ التي يمكن إيجازها فيما يلي :

- ١- التكرار في شرح بعض الألفاظ، والتكرار في ذكر الشواهد.
- ٢- إهماله لكثير من المعاني بالرغم من رجوعه إلى كثير من المصادر.
- ٣- فاته الاستفادة من بعض المعاجم السابقة مثل معجم مقاييس اللغة.
- ٤- فاته كثير من الصيغ والشواهد التي ذكرت في كتاب العين، والجمهرة، والبارع، وغيرها من المعاجم.

وعلى أي حال فمعجم لسان العرب من المعاجم التي تفخر بها بالعربية، ولا يستغني عنها بغيره.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الثالث:

المعجم الثالث: القاموس المحيط^(١)

أولاً: صاحبه: هو أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي اللغوي المعروف بـ: الفيروزآبادي. ولد بكارzin قرب شيراز من بلاد الفرس ، ويبدو أنه نسب إلى فيروزآباد لأنها كانت تطلق على إقليم شيراز كله في ذلك الوقت.

وكانت ولادته سنة ٧٢٩هـ بعد وفاة ابن منظور بـ ثمانية عشر عاماً.

حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، فقد عرف بقوّة الحافظة وتوقد الذهن.

وكان يقول : ما كنت أنام حتى أحفظ مائة سطر.

انتقل إلى شيراز وهو في الثامنة من عمره ، ليتلقى العلم من علمائها ، ورحل بعد ذلك إلى واسط ، وبغداد ، ورحل - أيضاً - إلى مصر ، وسوريا ، وتركيا ، واليمن ثم دخل الهند ، فتلقاء ملكها الأشرف إسماعيل ، وأكرم وفادته ، وزوجه ابنته ، ويقي هناك بقية حياته حتى توفي عام ٨١٧هـ.

وكان لا يسافر إلا وفي صحبته عدة أحمال من الكتب.

له مؤلفات عديدة غير القاموس منها: (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) و (تحبير الموشّين فيم يقال بالسين والشين) و (الإشارات إلى ما في كتب

١ - انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٧٤-٧٩.

الفقه من الأسماء والأماكن واللغات)، وغير ذلك من الكتب في الفقه، والحديث، والتفسير، والترجم.

ثانياً: الهدف من تأليف القاموس: هو جمع اللغة في كتاب مختصر محدود الشواهد، مطروح الزوائد، معرباً عن الفصيح والشوارد. ويقال: إن الفيروزأبادي أراد في بادئ الأمر أن يضع معجماً لغوياً ضخماً قدر له نحو ستين سفراً أو أكثر واختار له اسم (اللامع المعلم العجائب، الجامع بين الحكم والعباب) ففي رأيه أن الحكم لابن سيدة والعباب للصفاني هما خير ما ألف في هذه الناحية، ولكنه بعد أن أتم خمس مجلدات من المعجم رأى أن يحجم عن إتمامه؛ رغبة في وضع كتاب مختصر يفيد الدارسين وهو ما سمي به (القاموس المحيط) الذي ضمنه - كما قال - خلاصة ما في العباب والحكم مضافاً إليها زيادات جاء بها بعد تعمقه في بطون كتب اللغة الفاخرة.

ثالثاً: منهج الكتاب ومميزاته: يمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

- ١- أرجع الكلمات إلى أصلها.
- ٢- اتبع نظام القافية.
- ٣- قسم معجمه إلى سبعة وعشرين باباً، ثم قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً نظر فيها للحرف الأول من المادة الأصلية، وقد لا يصل بعض الأبواب إلى هذا العدد من الفصول، بل يسقط أحياناً بعض الأبواب حسب ما هو موجود في اللغة.

٤- راعى الفيروزأبادي الاختصار؛ لتسهيل البحث فيه، ومن مظاهر ذلك ما يلي:

أ - وضع رمزاً تشير إلى أمور معينة؛ فالرمز (م) يشير إلى شيء معروف، و (ع) يشير إلى موضع، و (ج) يشير إلى الجمع، و (جج) يشير إلى جمع الجمع، و (ة) يشير بها إلى القرية، و (د) إلى البلد.

ب - إذا ذكر صيغة للمذكر، وكان للكلمة مؤنث من لفظها أشار إليه بقوله: (بالباء) ولا يعيد الصيغة كقوله مثلاً: والأرنب جرد قصير الذنب كاليرنب، وضرب من الخل والمرأة، ويد: هاء: طرف الأنف.

ج - اتبع طرقاً معينة لضبط الكلمة اسمًا كانت أو فعلًا؛ فالاسم الخالي من الضبط يكون بفتح إلا إذا اشتهر بغيره.

وإذا ذكر الماضي مع المضارع دون تقييد في ضبطه كان على وزن ضرب يضرب.

أما إذا ذكر الماضي مقيداً بوزن معين فإنه يكون كما ذكره.

وإذا ذكر الماضي والمصدر، أو الماضي وحده مجرداً من الضبط كان الفعل من باب كتب.

٥ - يقدم المشهور والمقياس من الصيغ المختلفة.

٦ - لا يلتزم ترتيباً معيناً في شرح ألفاظ المادة؛ فيأتي أحياناً بالاسم قبل الفعل، أو المزيد قبل المجرد، أو العكس.

رابعاً: المآخذ على القاموس: يقول د. أمين فاخر: «ولعل أحسن ما كتب في المآخذ على هذا المعجم ما ذكره أحد الباحثين في مؤلف خاص؛ فقد ألف أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤م - ١٨٨٧م) كتاباً سماه: (الجاسوس على

القاموس) ذكر فيه مآخذ كثيرة على القاموس المحيط على الرغم من اعترافه بأنه صاحب الفضل عليه في دراسة اللغة العربية والتبحر فيها، ولكن الأمانة العلمية هي التي دفعته لإبراز ما في هذا المعجم من مآخذ بعد دراسته دراسة متأنية»^(١).

ويمكن إجمالاً أهم تلك المآخذ فيما يلي:

- ١- أن الفيروزأبادي أغفل التنبيه على الفصيح وغيره، وأسماء اللغات وأصحابها، كما أغفل التنبيه على أصحاب اللهجة وخاصة حِمْين.
- ٢- الإبهام؛ فعبارة القاموس مبهمة في كثير من الموضع، وخاصة في المصدر والفعل، فالفيروزأبادي كثيراً ما يستغني عن ذكر الفعل بذكر المصدر، ويعطف عليه أسماء جامدة؛ فيعز على المطالع أن يميز بينها، فيظن أنه اسم، والاسم لا يستلزم أن يكون له فعل بخلاف المصدر؛ فكان الأولى أن يعبر بالفعل؛ لأنه لا يلتبس بصيغة أخرى، وهو الذي يعبر به أئمة اللغة غالباً، فخالفهم هو في ذلك.
- ٣- أنه لم يتبع نظاماً صحيحاً في ذكر معاني الألفاظ.
- ٤- أنه يُعرّف اللفظ بالمعنى المجهول دون الشائع.
- ٥- قلة الترتيب في ذكر المشتقات؛ فيخلط بين الأسماء، والأفعال، ولا يفصل المجرد عن المزيد.
- ٦- إغفاله للأضداد، خلافاً لما في (العُبَاب) من العناية بذكرها، وإهماله ذكر القلب، والإبدال خلافاً لما في (العَبَاب) و(الْمَحْكَم) و(الصَّحَاح) وغيرها، إلى غير ذلك من المآخذ الكثيرة التي وجهها صاحب (الجاسوس).

١- دراسات في المعاجم العربية ص ٧٧-٧٨.

ومع ذك فتلك المأخذ لا تغص من شأن هذا المعجم العظيم الذي يسر مهمة الباحثين، وعدًّا - بحق - من أحسن المعاجم العربية^(١).

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٧٨-٧٩.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الرابع: المدرسة المعجمية الثالثة

مدرسة الأبجدية العادية

وتحتله تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المعجم الأول: معجم محمل اللغة.

المبحث الثاني: المعجم الثاني: معجم مقاييس اللغة.

خاتمة الحديث عن المعاجم.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الرابع

المدرسة المعجمية الثالثة مدرسة الأبجدية العادية

تمهيد

أولاً: مفهوم الأبجدية العادية: من بنا أن هذه المدرسة هي التي اتبع فيها أصحابها في ترتيب مواد المعجم على أساس ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول والثاني والثالث.

وهذه الطريقة أيسر من الطريقتين السابقتين : طريقة التقليبات ، والقافية.

ثانياً: أول من وضع هذه الطريقة: هو أحمد بن فارس ، وذلك في معجميه : (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة).

غير أنه التزم في ترتيبه الهجائي ما بعد الحرف الأول من المادة من حروف الهجاء إلى أن يبلغ الياء ، ثم يعود فيذكر ما بعده من الهمزة إلى ذلك الحرف.

كما سيتوضّح ذلك في منهجه في كل من هذين الكتابين.

ثالثاً: المعاجم التي سارت على هذه الطريقة: سار على هذه الطريقة كثير من أصحاب المعاجم حتى الآن ، ومن ذلك :

١- مجمل اللغة ، ومقاييس اللغة لابن فارس.

٢- أساس البلاغة للزمخشري ٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ.

٣- مختار الصحاح للرازي ت ٦٦٦هـ.

٤- المصباح المنير للفيومي ت ٧٧٢هـ.

٥- المصباح المنير للفيومي ت ٧٧٢هـ.

- ٦- محيط المحيط للبستانى ت ١٨١٩-١٨٨٣ م.
 - ٧- أقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتونى ت ١٨٤٨-١٩١٢ م.
 - ٨- المنجد للأب لويس معلوف اليسوعي ١٨٦٧ - ١٩٤٦ م.
 - ٩- المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة.
- وسيكون الحديث فيما سيأتي عن بعض تلك المعاجم.

المبحث الأول:

المعجم الأول: معجم مجمل اللغة

أولاً: صاحبه^(١): هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المشهور بابن فارس. ولد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب التراثيين تارحاً محدداً لميلاده، لكنه - كما ذكر بعض الباحثين المحدثين - يدور حول عام ٣٩٥ هـ.

أما وفاته فكانت سنة ٣٩٥ هـ على الرأي الصحيح كما رجح ذلك العلامة عبد السلام هارون رحمه الله وغيره.

وقد ولد بقزوين، ونشأ بهمدان، وكان أكثر مقامه في الري، لكنه رحل إلى بلاد كثيرة؛ لتلقي العلم.

وقد أخذ عن كثيرين منهم والده فارس بن زكريا، وأبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب، وأبو الحسن علي بن إبراهيمقطان، وأبو عبدالله أحمد بن طاهر المنجم، وغيرهم كثير.

أما علومه فكانت متنوعة شاملة لا سيما اللغة التي أتقنها، وأكثر من التأليف

١ - انظر في ترجمته إلى إنباه الرواة ٢٩/٢، ونزهة الأدباء ص ٢٤٩، ودمية القصر ص ٤٥٧، وبيتية الدهر ٤٠٢/٣، ومعجم الأدباء ١٥٣٥-٥٤٥، ووفيات الأعيان ١١٨/١، وبغية الوعاة ٣٥٢/١، ومقدمة معجم المقاييس لعبد السلام هارون ١/٣٧-٣٧، ودراسات في المعاجم العربية ص ٨٣، ومقدمة كتاب الصاحبي ص ٩٥.

في فروعها، وشهر بها؛ ودعي بـ: اللغوي.
ويرجع ذلك إلى مؤلفاته القيمة التي كان لها أثر كبير في الدراسات اللغوية.
وكان صاحب عقلية جبارة، وموهبة فذة مبتكرة، وقد شهد له بذلك الكثير
من القدامى والمحاذين، كالشعاليبي، وابن خلkan، والصاحب بن عباد،
وعبدالسلام هارون وغيرهم.

وكان فقيهاً شافعياً، ويناصر مذهب مالك بن أنس.
أما طريقة في النحو فطريقة الكوفيين.
وقد أحسن صنعة الشعر، وكان نقاداً فيه، وله شعره الذي ينم عن ظرف،
ورقة، وحسن تأتّ.

وهو مُلحٌ في التهكم والسخرية، ومن شعره قوله:

مرت	بنا	هيفاء	مقدودة
ترنو	بطرفٍ	فاتن	فاتر

ومن شعره قوله:

وقالوا: كيف أنت فقلت: خير
 تَقْضَى حَاجَةٌ وَتَفُوتْ حَاجُّ
 عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا انفراج
 دَفَّاتِرُ لِي وَمَعْشُوقِي السِّرَاج
 وَهُوَ بَصِيرٌ ذُو خَبْرَةٍ بِطَبَائِعِ النَّاسِ، وَاسْتَشَارُهُمْ بِالْمَالِ، وَخَضْرُوْعُهُمْ لَهُ، يَقُولُ
 فِي ذَلِكَ:

إذا كنت في حاجة مُرسلاً وَأَنْتَ بِهَا كَلِفٌ مُغْرِمٌ

فأرسل حكيمًا ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم ويقول لمن يتکاسل في طلاب العلم:

إذا كان يؤذيك حر المصيف وبرد الشتا
ويلهيكم حسن زمان الرياح فأخذك للعلم قل لي: متى؟
ولعل ابن فارس من أقدم استعمل أسلوب الشعر في تقيد مسائل اللغة
والعربية.

يقول ياقوت الحموي: «قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي: وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل، والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنباري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:

يا دار سعدى بذات الضال^(١) من العين: سحاب ينشأ من قبل القبلة.

إني لأذكر أيامًا بها ولنا العين هنا: عين الإنسان وغيره.

تلدني معشقةً مناً معتقةً إذا تمزّها شيخ به طرق العين هنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.

١- الضال: نبت كالسلّم.

والزقُّ ملآنٌ من ماء السرور فلا
 تخشى توله ما فيه من العين
 العين ه هنا: ثقب يكون في المزاده، وتوله الماء: أن يتسرّب.

وغاب عذنا عننا فلا كدر
 في عيشنا من رقيب السوء والعين
 العين ه هنا: الرقيب.

يقسم الود فيما بيننا قسماً
 ميزان صدق بلا بخس ولا عين
 العين ه هنا: العين في الميزان.

وفاوض المال يغنينا بحاضره
 فنكفي من ثقيل الدين بالعين
 العين ه هنا: المال الناضج^(١).

والجمل المجتبى تغنى فوائده
 حفاظه عن كتاب الجيم والعين^(٢)
 وقد امتاز ابن فارس بأخلاق العلماء حقاً، فقد كان بِحَمْلِ اللَّهِ ورعاً تقىً شديداً
 التواضع، وفيأ لأساتذته، برأ بهم، أميناً في النقل عنهم.
 وكان جواداً كريماً لا يكاد يرد سائلاً، حتى إنه كان يهب ثياب جسمه،
 وفرش بيته.

قال ابن الأنباري: «وكان له صاحب يقال له أبو العباس أحمد بن محمد
 الرازي المعروف بالغضبان، وسبب تسميته بذلك أنه كان يخدمه وتصرف في
 بعض أمره، قال: فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وبه،
 فأعاتبه على ذلك، وأضجر منه؛ فيضحك من ذلك، ولا يزول عن عادته.

١- الدرامون والدنانير.

٢- معجم الأدباء ٥٤٠/٥٤١.

فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب علمت أنه قد وهبه؛ فأعبس، وتظهر الكآبة في وجهي؛ فبيسطني ويقول: ما شأن الغضبان! حتى لحق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني به»^(١).

وقد تللمذ على ابن فارس الصاحب بن عباد، وبديع الزمان الهمذاني، وأبو الفتح بن العميد وغيرهم.

ولابن فارس مؤلفات كثيرة تزيد على الستين، منها الجمل، والمقاييس، والصاحبي، وأصول الفقه، وأخلاق النبي ﷺ، وجامع التأويل في تفسير القرآن، ونقد الشعر، وكتاب اللامات، وحلية الفقهاء وغيرها كثير.

وقد توفي - على القول الصحيح كما مر - سنة ٣٩٥هـ، وروى أكثر من

ترجم له أنه قال قبل وفاته بيومين:

يا رب إن ذنبي قد أحطت بها	علمأً وبيًّا وباعلاني وإسراري
أنا الموحد لكنني المُقرّ بها	فهبا ذنبي لتوحيدك وإقرارك
ثانياً: هدف ابن فارس من تأليف الجمل: يتبع من مقدمة الكتاب أن	المؤلف <small>بِحَمْلِ اللَّهِ</small> كان يهدف من وراء تأليفه إلى إخراج معجم حسن الترتيب، صغير الحجم.

ولهذا جاء كتابه هذا في أربعة أجزاء في مجلدين.

ومن طبعاته طبعة الرسالة دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان.

١- مقدمة معجم مقاييس اللغة ٩-٨.

ثالثاً: منهجه^(١): اتبع ابن فارس في تنظيمه لمواد المجمل، وكذلك معجم المقاييس - كما سيأتي - طريقة لم يسبق إليها.

يقول الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله في مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة مبيناً نظام ابن فارس في معجميه المجمل والمقاييس: «جرى ابن فارس على طريقة فادة بين مؤلفي المعاجم، في وضع معجميه: المجمل والمقاييس.

فهو لم يرتب موادهما على أوائل الحروف وتقلباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري في الصاحح، وكما فعل ابن منظور والفيروز أبادي في معجميهما، ولم ينسقها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في أساس البلاغة، والفيومي في المصباح المنير.

ولكنه سلك طريقةً خاصاً به لم يفطن إليه أحد من العلماء، ولا نبه عليه. و كنت قد ظنتت أنه لم يلتزم نظاماً في إيراد المواد على أوائل الحروف، وأنه ساقها في أبوابها هملاً على غير نظام، ولكني بتتبع المجمل والمقاييس ألفيته يلتزم النظام الدقيق التالي :

١- فهو قد قسم مواد اللغة أولاً إلى كتب، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء.

٢- ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق،

١- انظر مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لمعجم مقاييس اللغة ٤١/٤٤-٤٤، ومقدمة زهير سلطان لمجمل اللغة، ودراسات في المعاجم ص ٨٤-٨٩.

وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية.

٣- والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأولين قد التزم فيه ترتيب خاص، وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذى يليه؛ ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة، وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء ترتيباً طبيعياً على نسق حروف التجاء.

ولكن في (باب الهمزة والباء وما يثلثهما) يتوقع القارئ أن يأتي المؤلف بالممواد على هذا الترتيب: (أتب، أتل، أتم، أتن، أته، أتو، أتى)، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء بل تسبقها، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتى).

وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الخاء.

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلثهما، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما، ثم باب التاء والخاء وما يثلثهما، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف، ثم يرجع أدرجها ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما.

وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الجيم.

وتتجدد - أيضاً - أن الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب، ففي باب التاء

والواو وما يثلثهما يبدأ بـ(توى) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره، وذلك لأن أقرب الحروف التي تللي الواو هو الياء.

وفي باب الثاء من المضاعف لا يبدأ بالثاء والهمزة ثم بالثاء والباء ، بل يرجئ ذلك إلى أواخر الأبواب ، ويبدأ بالثاء والجيم (ثج) ثم بالثاء والراء (ثر) إلى أن تنتهي الحروف ، ثم يستأنف الترتيب بالثاء والهمزة (ثا) ثم بالثاء والباء (ثب).

وفي أبواب الثلاثي من الثناء لا يبدأ بالثناء والهمزة وما يثلثهما ثم يعقب بالثناء والباء وما يثلثهما، بل يدع ذلك إلى أواخر الأبواب، فيبدأ بالثناء والجيم وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى الأبواب التي تركها.

ففي باب الثاء واللام وما يثلثهما يكون هذا الترتيب (ثلم، ثلب، ثلث،
ثلج)... إلخ.

وفي باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والخاء (جح) إلى أن تنتهي الحروف (جو) ثم ينسق بعد ذلك (جا، جب).

وفي أبواب الثلاثي من الجيم يبدأ بباب الجيم والخاء وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يثلثهما، ثم باب الجيم والباء، ثم الجيم والثاء، مع مراعاة الترتيب في الحرف الثالث، ففي الجيم والنون وما يثلثهما يبدأ أولاً بـ(جنه) ثم (جني) ويعود بعد ذلك إلى (جنا، جنب، جنث) الخ.

هذا هو الترتيب الذي التزم به ابن فارس في كتابيه (المجمل) و (المقاييس)، وهو

بدع كما ترى»^(١).

رابعاً: مميزات المجمل^(٢): امتار المجمل بمميزات كثيرة، أبرزها أمران:

١- الإجمال والاختصار: ومن مظاهر ذلك حذف الشواهد، وقلة العناية بالمحاز، ويظهر ذلك في بعض المواد إذا قورنت بما يقابلها في المقاييس كما في مادة (بيض).

٢- اختصاره على الصحيح: فلقد اشتهر ابن فارس بإيراده الصحيح من كلام العرب، واقتصره عليه في كتابه (المجمل).

خامساً: المأخذ على المجمل^(٣):

١- إهماله الترتيب في بعض المواد؛ فقد أتى بها مخالفة للترتيب الذي رسمه لنفسه؛ فمادة (أتر) مثلاً كان حقها أن تذكر أول مادة في باب الألف والتاء وما يليهما، ولكنه أخرها آخر الباب.

وكذلك مادة (أذر) أخرها وكان حقها أن تذكر أولاً.

٤- الاختصار المخل: حيث اختصر بعض المواد اختصاراً أخل بمعناها، فمثلاً مادة (أدرا) لا يذكر إلا تصارييفها: أدرا الرجل يادر أدرا، وهو آدر بين الأدرة. ولا يذكر في (آقه) إلا قوله: (الآقه: الطاعة).

وفي مادة (أقر) يقول: (أقر: موضع) وهكذا...

٢- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٨٩-٩٧.

٣- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ٩٧-٩٨.

وقد ذكر بعض الباحثين - كما يقول د. أمين فاخر - مأخذ على كتاب المجمل، ولكنها في الواقع مأخذ يسيرة لا تقدح فيه، ولا تقلل من قيمته بين المعاجم الأخرى، وذكر صاحب كتاب كشف الظنون أن مجذ الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط ألف كتاباً على مجمل ابن فارس أورد فيه ألف سؤال وأخذه عليه مع ثنائه وحبه.

وذكر البرهان الحلبي أن صاحب القاموس تتبع أوهام ابن فارس في المجمل مع تعظيمه له، وثنائه عليه.

المبحث الثاني:

معجم مقاييس اللغة لابن فارس

أولاً: تعريف بمعجم المقاييس: هذا الكتاب يكاد يكون أعظم كتب ابن فارس إلا يكن أعظمها، بل يكاد يكون أعظم معجم فيما ألف في اللغة العربية. وهو منهج جديد في التأليف المعجمي يشبه إلى حد ما منهجه في كتاب المجمل، ولكن المقاييس يحمل أفكاراً جديدة على المعجم العربي كله، ولذلك قال عنه ياقوت الحموي رحمه الله: «كتاب جليل لم يصنف مثله»^(١).

وقال عنه الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله: «إإنَّ كِتابَنَا هَذَا لَا يُخْتَلِفُ اثْنَانُ بَعْدِ النَّظَرِ فِيهِ أَنَّهُ فَذٌ فِي بَابِهِ، وَأَنَّهُ مَفْخَرَةٌ مِنْ مَفَاخِرِ التَّأْلِيفِ الْعَرَبِيِّ، وَلَا إِخَالٌ لِغَةً فِي الْعَالَمِ ظَفَرَتْ بِمَثَلِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّأْلِيفِ».

ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة وحسن الذوق، وروح الأديب، ما يبعد به عن جفوة المؤلفات اللغوية، وعنف ممارستها. فأنت تستطيع أن تتخذ من هذا الكتاب متاعاً لك إذ تبغي المتعة، وسندًا حين تطلب التحقق والوثيق.

والكتاب بعد كل أولئك، يضم في أعطافه وثنائياته ما يهب القارئ ملحة التفهم لهذه اللغة الكريمة، والظهور على أسرارها^(٢).

١ - معجم الأدباء ٥٣٦/١ ، وانتظر دراسات في المعاجم العربية ص ٩٩.

٢ - مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة ٤٥/١.

وقال في موضع آخر عن الكتاب: «مفخرة من مفاخر التأليف العربي، بل يكاد يكون الفدّ من نوعه من بين المؤلفات اللغوية في المحيط العربي، إن لم يكن المحيط اللغوي العالمي؛ فنحن لم نعلم إلى الآن أن مؤلفاً لغوياً آخر حاول أن يدرس مواد اللغة في ظل القياس المطرد في تلك المواد.

ولا غرو؛ فإن مؤلفه أحمد بن فارس يعد في طليعة العلماء الذين أخذوا من كل فن بسهم وافر»^(١).

ولعل من توفيق الله لابن فارس ولكتابه المقاييس أن قيض الله لتحقيقه وضبطه العلامة المحقق البحاثة عبدالسلام هارون رحمه الله؛ حيث قام بهذا العمل الجليل خير قيام، وصدره بمقعدة أورد فيها حياة ابن فارس، وتحدث عن سيرته وخلقه، وتلقيه العلم، وتعليمه إياه، وعن أبرز شيوخه وطلابه كما تحدث عن الجانب الأدبي، والجانب اللغوي عند ابن فارس.

كما أنه رحمه الله وزن بين كتاب المقاييس والمجمل، وتوصل من خلال ذلك إلى أن المقاييس من أواخر مؤلفات ابن فارس، وأن النضج اللغوي الذي يتجلّى فيه من دلائل ذلك^(٢).

ثانياً: منهجه: بين ابن فارس رحمه الله في مقدمة الكتاب منهجه الذي سار عليه في هذا الكتاب، ووضّح بأنه منهجه جديد خالف فيه أصحاب المعاجم الأخرى، وأن هذا المنهج باب من العلم جليل، وله خطر عظيم.

١- انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١٥/١٠ من بحث معجم مقاييس اللغة للأستاذ عبدالسلام هارون.

٢- انظر مقدمة المقاييس ١/٤١.

ومع ذلك صرّح بأنه اعتمد في تأليفه على كثير من علماء اللغة الذين سبقوه. قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « إن لغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولاً تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقاييس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول. »

والذي أؤمننا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون الجيب عما يُسأل عنه محياً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه.

وببناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية، تحوي أكثر اللغة. فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المسمى (كتاب العين) أخبرنا به علي بن إبراهيم القطان، فيما قرأت عليه أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعداني، عن إبراهيم بن إسحاق عن بندار بن لِزَة الأصفهاني، ومعرفون بن حسان عن ليث عن الخليل.

ومنها كتاب أبي عبيد في (غريب الحديث) و (مصنف الغريب) حدثنا بهما علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد.

ومنها كتاب (المنطق) وأخبرني به فارس بن زكريا عن أبي نضر ابن أخت الليث بن إدريس عن الليث عن ابن السكikt.

ومنها كتاب أبي بكر بن دريد المسمى (الجمهرة) وأخبرنا به أبو بكر محمد ابن أحمد الأصفهاني وعلي بن أحمد الساوي عن أبي بكر.

فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استبطناه من مقاييس اللغة، وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها، وراجع إليها؛ حتى إذا وقع شيء النادر نصصناه إلى قائله إن شاء الله^(١).

هذا وسيأتي مزيد بيان لمنهجه في الفقرات التالية.

ثالثاً: مميزات المقاييس: تميز معجم المقاييس بمميزات عظيمة، وأهم ذلك فكرتان أساسيتان اتبعهما ابن فارس في تأليفه للمعجم.

وتکاد تكون باقي المميزات ترجع إلى هاتيك الفكرتين.

الأولى: فكرة الأصول والمقاييس.

والأخري: فكرة النحت الذي اشتهر بها بِحَلْلَتِهِ.

وفي الفقرة الآتية تعريف بهاتين الفكرتين خصوصاً الأولى؛ لأن الثانية مر الحديث عنها مفصلاً عند الحديث عن النحت.

رابعاً: معنى الأصول والمقاييس: يقصد ابن فارس بالأصل: البناء الذي يدل على معنى عام؛ بحيث يجمع كلمات تشتراك معه في الحروف الأصلية التي هي حروف المادة.

ومثال ذلك قوله في مادة: (أله): المهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد؛ فالإله: الله - تعالى -، وسمى بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا عبد، قال رؤبة:

الله الغانيات المدّه^(١) سبحن واسترجع من تألهي
والإلهة: الشمس سميت بذلك؛ لأن قوماً كانوا يعبدونها.
وحيث تتشابه هذه الكلمات المتفرعة عن الأصل، ويمكن إرجاعها إليه فإنه
يسمي هذا التشابه قياساً.

وفكرة الأصول والمقاييس هي ما يسميه بعض اللغويين: (الاشتقاق الكبير)
الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشتراك فيها هذه المفردات^(٢).
ولهذا يقول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في كتابه الصاحبي: «أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن
للغة قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من
الجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر...»^(٣).
وابن فارس لا يعتمد اطراد القياس، كما في مادة (جبن).

يقول: «الجيم والباء والنون: كلمات لا يقاس بعضها ببعض، فالجبن الذي
يؤكل، وربما ثقلت نونه مع ضم الباء، والجبن صفة للجبان، والجبنان ما عن
يدين الجبهة وشمالها، وكل واحد منها جبن».

كما أنه يذهب إلى أن الكلمات الدالة على الأصوات وكثيراً من أسماء
البلدان ليس مما يجري عليه القياس.

وقد نفعه اتباع هذا المنهج؛ فاستخدم الأصول والمقاييس في أمور كثيرة منها

١- المدّه: وهو المدح لغة فيه، وقيل: المدّه في نعت الهيئة والجمال والمدح في كل شيء.

٢- انظر مقدمة معجم المقاييس ٣٩/١، ودراسات في المعاجم ص ١٠١.

٣- الصاحبي ص ٣٥.

على سبيل الإيجاز - ويمكن القارئ الرجوع إلى الأصل إذا أراد مزيد بيان - ما يلي:

١- أنه خطئ شرح بعض اللغويين للكلمة؛ لأنه ليس موافقاً للقياس أو الأصل الذي بنى عليه المادة، وذلك كما في مادة (الضاد والباء والفاء).

٢- خطئ شرح بعض الفقهاء لبعض الكلمات؛ لأنه لا يوافق الأصل، ويعود ذلك من طريقة الفتيا، وليس من القياس اللغوي لهذه المادة، وذلك كما في مادة (التاء والباء والعين).

٣- خطئ تفسير بعض الكلمات المتصلة بالعقيدة؛ لما يرى فيها من جفاء يخالف - في نظره - ما أتى به الدين الإسلامي ، وذلك كما في مادة (عروى) حيث يقول فيها: «عروى: أصلان صحيحان متباینان يدل أحدهما على ثبات وملازمة وغشيان ، والآخر يدل على خلو ومقارقة.

ويقال: إن عروة الإسلام بقيته كقولهم: لأرض فلان عروة، أي بقية من كلا.

وهذا عندي كلام فيه جفاء؛ لأن الإسلام - والله الحمد - باقٍ أبداً، وإنما عرى الإسلام شرائعه التي يتمسّك بها ، كل شريعة عروة ، قال الله - تعالى - عند ذكر الإيمان: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوْةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

٤- استخدم هذه المعاييس في ترجيح أقوال بعض العلماء؛ حيث يرجع منها ما كان أكثر موافقة للأصل الذي أصّله للمادة كما في مادة (على) ومادة (شن) وقد لا يرجع أحد الرأيين على الآخر إذا كان لكل منهما وجه من القياس.

ويظهر ذلك حين يذكر الكلمة في مادتين لكل منهما أصل صحيح مخالف

للآخر كما في الكلمة (الشيطان) مثلاً فهو يذكر مادة (شطن) ويذكرها - أيضاً - في مادة (شيط) ويذكر لكل من الرأيين وجهاً من القياس.

٥- استخدم هذه المقاييس في إرجاع تفسيرات العلماء المختلفة لبعض الألفاظ من القرآن الكريم إلى أصول متعددة ذكرها للمادة الواحدة، كما في مادة (بس).

٦- ساعدته هذه المقاييس على توجيهه بعض القراءات القرآنية كما في مادة (شف).

٧- استعان بهذه الطريقة على إنكار التضاد في بعض الكلمات كما في مادة (قفى) كما استعان بها على إثبات التضاد في بعض الكلمات كما في مادة (نبه).

٨- يعلل التسمية ببعض الأسماء بواسطة هذه المقاييس، كما في مادة (كند) يقول: «وسميت كندة - فيما زعموا - لأنه كند أباه، أي فارقه، ولحق بأخوه، ورأسهم، فقال له أبوه: كندت».

٩- وقد يوضح السبب في تسمية بعض الأماكن بأسماء جامدة بما يوافق الأصل، ويقاس عليه.

يقول مثلاً في (مك): «الميم والكاف، أصل صحيح يدل على انتفاء الظلم، ثم يقاس على ذلك...»

ويقال: سميّت مكة؛ لقلة الماء بها، لأن ماءها قد امْتَكَ، وقيل سميّت؛ لأنها تمْكُ من ظلم فيها، أي تهلكه، تقضمه كما يُمَكِ العظم».

١٠- حكم على بعض الكلمات بواسطة المقاييس بالتصحيف كما في مادة (سحب).

١١- اهتدى بواسطة هذه المعاييس إلى معرفة أصل الكلمة كما في مادة (شفى)^(١).

خامساً: منهجه في المواد التي ليست أصولاً يقاس عليها:
كما مر من أن ابن فارس لم يجعل لكل مواد اللغة أصلاً يقاس عليه، بل إن المواد التي لا يتفرع منها كلمات لا يجعلها أصلاً مقيساً؛ لذلك لم يجعل من الأصول ما يلي :

١- المادة التي لم يرد فيها إلا كلمة في باب الاتباع مثل (بيص) لأنها - كما يقول - اتباع : الحيص يقال : وقع القوم في حيص بيص ، أي اختلاط.

٢- ما كان أحد حروفه زائداً كما في مادة (أمع).

٣- أسماء الموضع والنباتات والأشخاص والكنيات ، والألفاظ المهمة بهذه كلها لم يجعلها أصولاً يتفرع منها شيء .

كما في مادة (قر) ، و (سنن) ، و (بهث) ، و (بوك) ، و (حيث) .

٤- لم يجعل الأصوات الدالة على الحكاية من الأصول مثل (إيه) .

٥- ما ليس بعربي في الأصل لا يجعله أصلاً مثل (جلق) .

٦- المواد المقلوبة لم يجعلها أصولاً يقاس عليها مثل (معق) يقولون هي مقلوب (عمق) .

٧- المواد المبدلة لا يدها من الأصول مثل (سلغ) يقول أصلها (صلغ)^(٢) .

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١٠٥-١٠٨.

٢- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١٠٨-١١٠.

سادساً: منهجه في الرباعي والخمسى: كان الحديث في الفقرات الماضية يدور حول منهجه في الثنائى والثلاثى.
أما منهجه في الرباعي والخمسى فهو أنه يُنهى كل باب في معجمه بذكر ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف.

ويقصد بذلك الرباعي والخمسى، وقد جعل لذلك باباً مستقلاً، فيقول: مثلاً عقب انتهاءه من الثنائى في الباء: (باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء).

وهكذا باقى الحروف ما عدا حروفاً خمسة لم يذكر ما بدئ بها مما زاد على ثلاثة، ولم يفرد لها أبواباً مستقلة.

وتلك الحروف هي: الهمزة، والظاء، والميم، والواو، والياء.

وليس ذلك راجعاً إلى أنه لا يوجد في العربية ذلك، وإنما السبب هو ما أشار إليه، وهو أن الاعتبار بما يجيء بعد هذه الأحرف كما في نحو (ابلندح)، و(اتلأب)، و(اتمهل)، و(اليغفور) وغيرها^(١).

وكما أن لابن فارس - في كتابه المقاييس - فكرة الأصول والمقاييس في الثنائى والثلاثى - فكذلك كانت له فكرة جديدة - أيضاً - فيما زاد من الكلمات على ثلاثة أحرف، وقد وضح هذه الفكرة بقوله: «اعلم أن للرباعي والخمسى مذهبان في القياس يستبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان، وتنتحt منهما كلمة تكون آخذة منها جمياً بحظ».

١- انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١١٠.

والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم: حيعل الرجل إذا قال: حي على.
ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم: عبشي، وقوله:
وتضحك مني شيخة عبشمية
فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي، فنقول: إن ذلك على
ضربي: أحدهما: المحوت الذي ذكرناه، والضرب الآخر: الموضوع وضعاً لا
 مجال له في طرق القياس».

ولكن المتأمل لكتاب ابن فارس في هذا الموضوع وفي مواضع أخرى من كتابه
يجد أنه قسم الرباعي والخمساوي أقساماً ثلاثة:
١- المحوت ٢- المزید ٣- الموضوع وضعاً على أربعة أحرف أو خمسة.
وسوف يتضح منهجه في بيان هذه الأقسام الثلاثة في الفقرات التالية.
سابعاً: طريقته في المحوت، والمزيد، والموضوع^(١):
أ - المحوت: كان ابن فارس أول من أرجع كثيراً من الكلمات الرباعية
والخمساوية إلى النحت.

وكان ذلك من منهجه في أبواب ما زاد على ثلاثة أحرف من الكلمات، وإن
كان قد ذكر أن الفكرة كانت موجودة عند الخليل.
ومن أمثلة المحوت عنده قوله (البرقش) وهو طائر من كلمتين من رقت
الشيء وهو كالنقش، ومن البرش وهو اختلاف اللونين، وهكذا... .

وقد مضى الحديث مفصلاً عن النحت فيما مضى.

١- انظر دراسات في المعاجم ص ١١١-١١٦.

ب - المزيد: وليس المقصود منه المزید عند علماء الصرف، بل هو في الرباعي المأْخوذ من الثلاثي لكنهم يزيدون فيه حرفًا، يزيدونه للمبالغة كما يفعلون ذلك في (ز رقم) يعني أزرق، وفي الخماسي: ما زيد فيه حرفان عن الثلاثي المأْخوذ منه مثل: (القلَّهُذَم) وهو صفة للماء الكثير، وهذا ما زيدت فيه اللام والهاء وهو من القدم، وهو الكثرة.

ج - الموضوع: وهو عنده ما ووضع عليه بدون زيادة أو نحت.
ولذلك جعله ابن فارس قسماً مستقلاً، ويضعه عادة آخر الباب.
وقد يخلط في النادر بينه وبين المنحوت والمزيد.

بل إن الكلمة الواحدة قد تردد عنده بين الاشتقاد والوضع بدون ترجيح كما في كلمة (الزمهرير).

ثامناً: خصائص معجم المقاييس^(١): مر كثير من ذلك فيما مضى،
ويكفي إجماله فيما يلي:

- ١ - أنه اتبع فيه الأبجدية العادية، وابن فارس رائد هذه المدرسة بلا نزاع.
- ٢ - امتاز بفكرتي الأصول والمقاييس.
- ٣ - تضمن بعض المسائل والقواعد الصرفية.
- ٤ - اهتم بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف.
- ٥ - اهتم بالشواهد الشعرية.
- ٦ - أثبت شخصيته في كثير من الأحيان، فهو - وإن كان ينقل عن الخليل وابن

١ - انظر دراسات في المعاجم العربية ص ١١٦ - ١٢٠

- درید وغيرهما - يناقشهم، ويخالفهم أحياناً، أو يرجح كلامهم على غيره.
- ٧- احتوى المعجم على ترجيح بعض القراءات.
 - ٨- أشار إلى بعض لهجات العرب.
 - ٩- الميل إلى الاختصار.

تاسعاً: المأخذ على المعجم: على الرغم من الدقة التي امتاز بها كتاب المقاييس عن غيره من المعاجم اللغوية الأخرى فقد تعرض لبعض المأخذ التي يمكن إجمالها فيما يلي :

- ١- الاختصار الشديد في بعض الأحيان مما أدى إلى ترك إكمال الحديث النبوي، والبيت الشعري، حيث يقتصر على ذكر موضع الشاهد فحسب.
- ٢- لم يسر على نظام ثابت في رسم المعتل، كما في (حنو) و (عصوى) و (رثى).
- ٣- لم يسر على طريقة واحدة فيما عده خارجاً عن الأصول، فقد أخرج -مثلاً- حكاية الأصوات في كثير من المواد، لكنه جعله في بعض المواد أصلاً كما في مادة (بل).
- ٤- وُلّوعه بالقلب والإبدال ولو عاً قد يصل إلى التعسف، وقد يجمع بينهما في كلمة واحدة كما في (قاب).
- ٥- الاضطراب في شرحه لبعض الألفاظ، ومن ذلك أن قد يفسر كلاً من الصدرين بأنه خلاف الآخر كما في (خبث) و (طيب) وكما في (حسن) و (قبح) وكذا في (حمد) و (ذم).

٦- تداخل الكلمات في أكثر من مادة كما في الكلمة (الدكان) حيث ذكر أنها من مادة (دك) ثم ذكرها مرة أخرى في (دكن) ولم يشر إلى أن هناك خلافاً.

عاشرًا: أثر المقايس في المعاجم الأخرى: تأثر بابن فارس كثير من أصحاب المعاجم من بعده، وخاصة المعاجم الحديثة في طريقة المتبركة وهي طريقة استخلاص المعاني العامة المشتركة التي تدور حولها ألفاظ المادة، والتي سماها بالأصول.

وأول هذه المعاجم التي تأثرت بالمقايس (العباب الزاخر) للصغاني (٥٥٧-٦٦٠هـ) والفيروز أبادي في القاموس، والزيدي في تاج العروس، والمعجم الكبير الذي وضعته لجنة من كبار علماء اللغة المحدثين.

وإذا أردت مزيد دراسة عن هذا الكتاب فارجع إلى كتاب (دراسات في المعاجم العربية) وكتاب (ابن فارس اللغوي) وكلاهما للدكتور أمين فاخر.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

خاتمة الحديث عن المعاجم

وبعد هذا التطواف في المعاجم وقع بصري على كلمة رائعة رقمتها يراعة الدكتور الفاضل حمد بن ناصر الدخيل - حفظه الله - تحت عنوان: (معجمات اللغة والقصور اللغوي).

وقد ضمنها حديثاً جميلاً عن اللغة، وعن خصائصها، وقدرتها على استيعاب تراث العرب والمسلمين، ثم عرج على الحديث عن المعاجم والقواميس، ثم لخص بعد ذلك وجوه القصور في المعاجم في نقاط أربع، فإلى ذلك المقال.

يقول - حفظه الله - : «يكاد يجمع دارسو اللغة العربية وعلماؤها من العرب والمستشرقين على أن اللغة العربية تأتي في مقدمة المجموعة اللغوية العالمية في ثراء الألفاظ والمفردات، وتعدد الصيغ والدلائل، وغزارة المصطلحات العلمية والأشكال التعبيرية، والقدرة على التجدد والنمو، والوفاء بمتطلبات العلم والحضارة والاختراع والمدنية؛ لما تحمله من خصائص ومميزات ذاتية لا توجد في غيرها من اللغات الأخرى تؤهلها لذلك».

وإنّ لغة استطاعت أن تستوعب تراث العرب والمسلمين على اختلاف ألوانه وفنونه ومضامينه، وتصبح لغة حضارة ومدنية وعلم وفن لمدى يقرب من ألف وست مائة سنة - لقادرة على أن تستوعب معطيات الحياة والحضارة في الوقت الراهن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كانت العربية قد وفت بالتزاماتها كاملة، وأدت وظيفتها على خير ما يرام

خلال هذه القرون الكثيرة دون أن يظهر عليها ضعف أو وهن أو نكوص - فإن هناك سؤالاً يلح في طرح نفسه على ساحة علماء اللغة المعاصرين، وهو عن مدى قدرة استيعاب المعجمات والقواميس للفاظ العربية وفرائدها وشواردها، ومصطلحاتها العلمية والفنية، منذ أن ألف الخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم في العربية إلى وقتنا الحالي.

و قبل الإجابة على هذا السؤال أحب أن أذكر أن الإرهاصات الأولى لإنشاء أول معجم لغوي للغة العربية كانت تمثل في تفسير بعض الكلمات والمفردات الغربية التي ترد في النصوص الأدبية من جاهلية وإسلام، ثم كثرت المواد المشروحة مما اضطر القائمين على ذلك إلى حصرها وتصنيفها من جديد، فكانت نواة للمعاجم التي مالت بحسب تطورت إلى النحو الذي وصل إلينا.

ويمكن لنا أن نلخص وجوه القصور في النقاط التالية:

١- اقتصر القائمون على إعداد المعجم العربي على لغة الشعر في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، وأهملوا عن قصد لغة النثر، وكتابات المؤاخرين، وأشعارهم؛ فوقف المعجم العربي عند لغة العرب الذين يُسْتَهْدَى بكلامهم، ولم يحاول أن يساير تطور اللغة وتجددها في العصور العباسية وما بعدها.

٢- اعتمد مؤلفوا المعجم العربية الرائدة في رصد موادها على ما وصل إليهم من النصوص الشعرية، ولكن هذا النهج الذي اختطه الرواد الأوائل للمعاجم لم يلتزم به منْ أتى بعدهم من المعجمين، فلم يتخدوا من النصوص مادة أصلية

للتأليف، بل أخذ بعضهم ينقل من بعض، ويعتمد عليه عند الشروع في تأليف معجمه.

ومن يطلع على المعاجم الموجودة بين أيدينا يلاحظ أن وجوه الشبه والاتفاق في كثير من الموارد والشواهد تبدو واضحة جلية.

٣- لم تقم الكتابة بوظيفتها في تدوين التراث العربي إلا في القرن الثاني الهجري، أي بعد مضي فترة طويلة على نشأته، كان خلالها يُتناقل مشافهةً من لسان إلى لسان، الأمر الذي عرّض كثيراً من نصوصه وأخباره إلى النسيان والضياع.

وليس أدل على قضية ضياع التراث من مقوله أبي عمرو بن العلاء المشهور: «ما جاءكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً جاءكم علمٌ وشعرٌ كثير».

٤- خلو المعاجم العربية من البحث في تاريخ الكلمة، وتطور دلالتها ومتى استعملت أول مرة، ثم تدرج استعمالها على ألسنة الكتاب والشعراء والعلماء عبر العصور»^(١).

١- مقالات وآراء في اللغة العربية للدكتور حمد بن ناصر الدخيل ص ١٧٦ - ١٧٧.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المفعه

عفا الله عنـه

الباب الرابع:

مشكلات تواجهه العربية

وتحته: تمهيد، وفصلان:

الفصل الأول: ظاهرة الإعراب وإنكارها.

الفصل الثاني: الدعوة إلى العامية، وتيسير النحو،

والخط العربي.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

تمهيد:

واجهت اللغة الغربية تحديات كبيرة، سواء كان ذلك من قبل أعدائها، أو من قبل بعض المنتسبين إليها. وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن بعض تلك المشكلات والتحديات.

وذلك من خلال الكلام على ظاهرة الإعراب، وإنكارها، والدعوة إلى العامية، وتبسيير النحو، والخط العربي. وسيتخلل ذلك تفصيل في هذه المسائل.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الأول: ظاهرة الإعراب وإنكارها

وتحته:

المبحث الأول: ظاهرة الإعراب.

المبحث الثاني: إنكار الإعراب.

المبحث الثالث: المستشرقون والإعراب.

المبحث الرابع: قصة الإعراب عند إبراهيم أنيس.

المبحث الخامس: بطلان القول بإنكار الإعراب.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الأول

ظاهرة الإعراب، وإنكارها

المبحث الأول:

ظاهرة الإعراب:

الإعراب معلمٌ من معالم العربية، ومفخرة من مفاخرها. وإنكاره ظاهرة غريبة، قضية تستحق الوقوف عندها وبيان خطرها، وتصديقها.

وقبل ذلك يحسن الوقوف على معنى الإعراب، وبيان أهميته، وكلام العلماء عليه، ثم يكون الحديث عن إنكاره، والرد على هذا الإنكار.

أولاً: معنى الإعراب:

أ- الإعراب في اللغة: أصل هذه المادة: (عرب) قال ابن فارس بِحَلْلَةِ اللَّهِ: «العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها: الإبارة^(١) والإفصاح، الآخر: النشاط وطيب النفس، الثالث: فساد في جسم أو عضو.

فالأول أعراب الرجل عن نفسه: إذا بين وأوضح»^(٢).

وقال: «إعراب الكلام - أيضاً - من هذا القياس؛ لأن بالإعراب يفرق بين المعاني في الفاعل، والمفعول، والنفي، والتعجب، والاستفهام، وسائر أبواب هذا النحو من العلم»^(٣).

١- في المقاييس تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون: (الإنابة) وهذا خطأ واضح.

٢- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٩٩-٣٠٠.

بـ الإعراب في الاصطلاح: «أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة»^(١).

والمراد بالأثر ما يحدثه العامل من الحركات الثلاث أو السكون، وما ينوب عنها.

وبالظاهر: ما يلفظ به، وبالقدر: ما يُنوي من ذلك كالضمة، والفتحة، والكسرة من نحو: الفتى، والنون في مثل: (تبلون)^(٢).
ويراد بالكلمة: الاسم والفعل المعنون.

جـ معنى البناء: هو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة مثل: هل، وقام، وأمس، ومنذ^(٣).

ثانياً: أهمية الإعراب وأقوال العلماء فيه:

يرى علماء العربية وجميع النحاة إلا من شذ منهم أهمية الإعراب، وأن علاماته وألقابه دلالات معينة، وأغراضًا معنية؛ فهي تدل على المعاني المختلفة التي تعثور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو غير ذلك.

وأقوالهم في ذلك كثيرة جداً، وهذه نبذة من أقوال بعض العلماء:

١ـ قال ابن قتيبة ٢١٣-١٧٦ هـ رحمه الله: «ولها - يعني العرب - الإعراب الذي جعله الله وشيأ لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقًا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت

١ـ هذا تعريف ابن هشام رحمه الله انظر ضياء السالك إلى أوضاع المسالك ٤٩/١.

٢ـ انظر ضياء السالك ٤٩/١-٥٠.

حالاًهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما - إلا بالإعراب.
ولو أن قائلاً قال : (هذا قاتل أخي) بالتنوين ، وقال آخر : (هذا قاتل أخي)
بالإضافة - لدل التنوين على أنه لم يقتله ، ودل حذف التنوين على أنه قد
قتله»^(١).

٢- وقال أبو القاسم الزجاجي ت ٣٣٧ هـ : «إِنْ قَالَ قَائِلٌ : قَدْ ذُكِرَتْ
أَنَّ الْإِعْرَابَ دَاخِلٌ فِي الْكَلَامِ فَمَا الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ ، وَاحْتِاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِهِ؟
فَالجواب : أَنْ يَقُولَ : إِنَّ الْأَسْمَاءَ لَمَا كَانَتْ تَعْتَرِفُ بِهَا ، الْمَعْنَى وَتَكُونُ فَاعِلَةً
وَمَفْعُولَةً ، وَمَضَافًا إِلَيْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صُورِهَا ، وَأَبْنِيَتْهَا أَدْلَةً عَلَى هَذِهِ
الْمَعْنَى ، بَلْ كَانَتْ مُشَتَّكَةً - جَعَلَتْ حِرَكَاتُ الْإِعْرَابِ فِيهَا تَتَبَعَّى عَنْ هَذِهِ
الْمَعْنَى ، فَقَالُوا : ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرًا ، فَدَلَّوْا بِرْفَعِ زَيْدٍ عَلَى أَنَّ الْفَعْلَ لَهُ ، وَيَنْصُبُ
عُمْرًا عَلَى أَنَّ الْفَعْلَ وَاقِعٌ بِهِ .
وَقَالُوا : ضَرَبَ زَيْدًا ؛ فَدَلَّوْا بِتَغْيِيرِ أَوْلِ الْفَعْلِ ، وَرَفَعَ زَيْدًا عَلَى أَنَّ الْفَعْلَ مَا لَمْ
يُسَمَّ فَاعِلُهُ ، وَأَنَّ الْمَفْعُولَ قَدْ نَابَ مَنَابَهُ .
وَقَالُوا : هَذَا غَلَامٌ زَيْدٌ ؛ فَدَلَّوْا بِخَفْضِ زَيْدٍ عَلَى إِضَافَةِ الْغَلَامِ إِلَيْهِ .

وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْمَعْنَى جَعَلُوا هَذِهِ الْحِرَكَاتِ دَلَائِلَ عَلَيْهَا ؛ لِيَتَسْعَوا فِي كَلَامِهِمْ ،
وَيَقْدِمُوا الْفَاعِلُ إِذَا أَرَادُوا ذَلِكَ ، أَوَ الْمَفْعُولَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى تَقْدِيمِهِ ، وَتَكُونُ

١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٤.

الحركات دالة على المعاني»^(١).

ويقول بِحَمْلِ اللَّهِ : «وأصل الإعراب للأسماء، وأصل البناء للأفعال والحرروف؛ لأن الإعراب إنما يدخل في الكلام؛ ليفرق بين الفاعل والمفعول، والملك والمملوك، والمضاف والمضاف إليه، وسائر ذلك ما يعتور الأسماء من المعاني. وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا في الحروف»^(٢).

وقال : «ويسمى النحويون الحركات اللواتي تعقب في أواخر الأسماء والأفعال الدالة على المعاني إعراباً؛ لأنها بها يكون الإعراب أي : البيان»^(٣). وقد سبق في تعريف الإعراب كلام ابن فارس عن الإعراب.

وقال - أيضاً - بِحَمْلِ اللَّهِ : «من العلوم الجليلة التي خُصت بها العرب - الإعراب - الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام.

ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد»^(٤).

وقال بِحَمْلِ اللَّهِ : «فاما الإعراب فيه تميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين؛

١- الإيضاح على علل النحو للزجاجي ص ٦٩ ، وانظر الأشباه والنظائر للسيوطى ٧٨/١ ، وانظر فصول في فقه العربي د. رمضان عبد التواب ص ٣٢٧.

٢- كتاب الجمل في النحو للزجاجي ص ٢٦٠.

٣- كتاب الجمل في النحو ص ٢٦١ - ٢٦٢.

٤- الصاحبي ص ٤٣.

وذلك أن قائلاً لو قال: (ما أحسن زيد) غير معرب، أو (ضرب عمر زيد) غير معرب لم يوقف على مراده.

إذا قال: (ما أحسن زيداً) أو (ما أحسن زيد) أو (ما أحسن زيد) أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده.

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها؛ فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني^(١).

وقال ابن جنبي: «باب القول على الإعراب: هو الإبارة عن المعاني بالألفاظ؛ إلا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيدأباه، وشكر سعيدأبوه - علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً^(٢) واحداً لاستفهم أحدهما من صاحبه.

فإن قلت: فقد تقول ضرب يحيى بُشْرَى، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً، وكذلك نحوه - قيل: إذا اتفق ما هذه سبileه مما يخفى في اللفظ حاله، ألزم الكلام من تقديم الفاعل، وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب.

فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير؛ نحو أكل يحيى كثري - لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت، وكذلك ضربتْ هذا هذه، وكلم هذه هذا، وكذلك إن وضح الغرض بالثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قوله: أكرم اليحييان البُشَرَيْنِ، وضرب البُشَرَيْنِ

١- الصاحبي ص ١٤٣.

٢- الشرح: النوع والضرب.

الباب الرابع: مشكلات تواجهه العربية

اليحيون، وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس، فقلت: كلم هذا هذا فلم يجده لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت؛ لأن في الحال بياناً لما تعني. وكذلك قوله: ولدت هذه هذه، من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة، غير منكورة.

وكذلك إن ألحقت الكلام ضرباً من الإتباع جاز لك التصرف لما تُعقب من البيان، نحو ضرب يحيى نفسه بُشري، أو كلام بشري العاقل مُعلّى، أو كلام هذا وزيداً يحيى.

ومن أجاز قام وزيد عمرو لم يُجز ذلك في نحو (كلم هذا وزيد يحيى) وهو يزيد كلام هذا يحيى وزيد، كما يحيى (ضرب زيداً وعمرو جعفر) «^(١)». وهكذا يتبيّن لنا أن العلماء القدماء يتفقون على أهمية الإعراب، وضرورته، ويبيّنون أن الجملة لو كانت غُفلاً من الإعراب لاحتملت معاني عدّة؛ فإن أعتبرت تَصْت على معنى واحد «^(٢)».

وقد تبعهم في ذلك أكثر المحدثين، ومنهم المستشرقون؛ فكثير منهم أقر بأن الإعراب هو المميز للغة.

١- الخصائص لابن جني ٨٩/١.

٢- انظر فصول في فقه العربية ص ٣٢٨.

المبحث الثاني:

إنكار الإعراب

يعد إنكار الإعراب من المشكلات التي تثار ضد العربية في الوقت الحاضر؛ فهي اللغة الوحيدة التي ينادي دائمًا بتخفيفها وتسهيلها مع أنها ليست اللغة الوحيدة التي لها قواعد وضوابط؛ فلغات العالم الأخرى لها نظمها الخاصة، وقواعدها الثابتة التي يتغنى بها أبناؤها، ويحاولون الالتزام بها كما يحاول ذلك من يحاول تعلمها من غير أهلها.

ولم نسمع في أي لغة من لغات العالم أنْ حاول أو طالب أبناؤها بتغيير قواعدها، أو تسهيلها، مع أنها لا تملك ما تملكه العربية من مقومات القوة، والبقاء، والنمو، ومواكبة الجديد، وما إلى ذلك مما مر ذكره.

ومن أخطر تلك الدعاوى دعوى إنكار الإعراب، وما يتربى على تلك الدعوى من خطر على العربية.

ولقد مر بنا أن جميع النحاة العرب يرون أن حركات الإعراب تدل على المعاني المختلفة التي تتعور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة أو غير ذلك.

ولم يخالف في ذلك في العصر القديم إلا عالم هو أبو علي محمد بن المستير المعروف بـ(قطرب).

وبهذا يكون أول من قال بهذه الظاهرة كما نقل ذلك عنه الزجاجي.

ومؤدى هذا الرأي الذي ارتآه قطرب رحمه الله أن حركات الإعراب الثلاث إنما

جيء بها للسرعة في الكلام، وللخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام، ثم يفسر بعد ذلك سبب اختيارهم للعلامات الإعرابية، ويقرر بأنها ليست ذات أثر ولا دلالة على المعاني.

هذا هو خلاصة رأي قطرب في الإعراب، وإليك نص كلامه في هذا الشأن؛ إذ يقول : «إنما أغرت العرب كلامها؛ لأن الاسم في حالة الوقف يلزم السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون - أيضاً - لكان يلزم الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمكنهم التحرير، جعلوا التحرير معاقباً للإسكان؛ ليعتدل الكلام؛ ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو كلمة ، ولا في حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة؛ لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستجلون ، وتذهب المهلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الإسكان»^(١).

قال السيوطي رحمه الله بعد إيراد كلام قطرب : «وقال المخالفون له ردأ عليه: لو كان كما ذكر لجاز جر الفاعل مرة، ورفعه أخرى، ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه؛ لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل بها الكلام؛ فأى حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير في ذلك.

وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب، وحكمة نظم في كلامهم.

١- الإيضاح للزجاجي ص ٧٠، والأشباه والنظائر للسيوطى ٧٩/١

واحتاجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الإعراب، واختلاف المعاني واختلاف الإعراب واتفاق المعاني في الأسماء التي تقدم ذكرها بأن قالوا: إنما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال لأنه يذكر بعدها اسمان: أحدهما فاعل والآخر مفعول، ومعناهما مختلف؛ فوجب الفرق بينهما، ثم جعل سائر الكلام على ذلك^(١).

وقال الدكتور رمضان عبدالتواب بعد إيراده كلام قطرب: «هذا هو رأي قطرب، وهو رأي لم يسبق به أحد - فيما نعلم - ولم يتبعه عليه غيره من اللغويين أو النحويين، فيما عدا أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس، في كتابه القيم (من أسرار اللغة)، ويظهر أنه تأثر برأي قطرب هذا؛ إذ أشار إليه ناقلاً إياه عن كتاب (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى»^(٢).

ويقول د. إبراهيم السامرائي عن رأي قطرب: «وهذا الرأي غريب في جملته، وقد انفرد فيه صاحبه، ولم يؤيده فيه إلا د. إبراهيم أنيس بعد أحد عشر قرناً.

ووجه الخطأ في هذا الرأي أن العربية كانت معرفة منذ أقدم العصور، والنصوص شاهدة على ذلك.

وقد كان هذا الإعراب سهلاً على الألسنة، ثم ثقل، وصعب حين فسدت الطبائع العربية، وفسا اللحن، وتحول المجتمع العربي الخالص إلى مجتمع ضخم

١- الأشباء والنظائر للسيوطى ٧٩/١ .٨٠

٢- فصول في فقه اللغة العربية ص ٣٢٩.

فيه أجناس شتى، ولا سيما في الحواضر العربية»^(١).

وهكذا فتح قطرب باباً واسعاً لمن أراد التحامل على العربية وإن لم يكن يقصد ذلك؛ فلقد وجد المستشرقون وأعداء الإسلام من هذه الفكرة منفذًا للطعن في العربية، ومحاولة إضعاف أثرها في نفوس أهلها.

وسيتضح فيما سيأتي بيان لآراء المستشرقين، ولنظرية إبراهيم أنيس.
ومن ثم يكون الرد على ذلك كله.

١- فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي ص ١٢١.

المبحث الثالث:

المستشرقون والإعراب^(١)

أولاً: المستشرقون الذين لا يرون الإعراب:

مر بنا أن من المستشرقين من كان يرى الإعراب، وأن منهم فريقاً لا يرونـهـ، بل جعلوا من رأي قطرب ذريعةً للنيل من العربية؛ إذ الإعراب أهم خصائصها. ومن هؤلاء المستشرقين:

ـ ١ـ كارل فوللرـزـ: وذلك في كتابـهـ: (اللغة الشعبية واللغة الأدبية في الجزيرة العربية القديمة).

وهـذاـ الرـجـلـ من أكثر الحـاـقـدـينـ علىـ العـرـبـيـةـ.

وـخـلاـصـةـ رـأـيـهـ يـتـمـثـلـ فـيـمـاـ يـلـيـ :

ـ أـ يـرـىـ أنـ فـكـرـةـ النـحـوـ كـانـتـ مـصـنـوـعـةـ،ـ وـأـنـهـ لـيـسـ مـوـجـودـاـ فيـ العـرـبـيـةــ،ـ وـإـنـماـ صـيـغـتـ بـعـدـ ذـلـكــ.

ـ بـ يـرـىـ أنـ النـصـ الـأـصـلـيـ الـقـرـآنـيـ قدـ كـتـبـ بـأـحـدـ الـلـهـجـاتـ الشـعـبـيـةـ السـائـدـةـ فـيـ الـحـجازــ.

ـ جـ يـرـىـ أـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ فـيـ الـلـهـجـاتـ السـائـدـةـ ماـ يـسـمـىـ بـالـإـعـرـابــ.

ـ دـ يـنـكـرـ عـلـىـ الإـطـلاقـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ الـلـغـةـ حـيـةـ فـيـ مـكـةـ عـلـىـ عـهـدـ النـبـيـ ﷺــ.

ـ هـ يـشـكـ فـيـ أـنـ يـكـوـنـ ذـيـنـ خـرـجـ مـنـ بـيـنـهـمـ الـشـعـرـاءـ كـانـوـاـ يـتـكـلـمـونـ هـذـهـــ.

ـ ١ـ انـظـرـ فـصـولـ فـيـ فـقـهـ الـعـرـبـيـةـ صـ ٣٣٢ــ ٣٣٨ــ،ـ وـمـحـاضـرـاتـ أـدـ دـ عـلـيـ الـبـوـابــ.

اللغة.

٢- كوهين: وهو مستشرق فرنسي، وهو صاحب كتاب (لغات العالم). هذا الرجل لما درس العربية وجد أن الشعر العربي لا يمكن أن يقوم إلا على قواعد إعرابية، فخرج من ذلك بنتيجة يقول فيها:

«إن قواعد الشعر تقوم على الإعراب، ولابد من ذلك. أما النثر فمن الصعوبة بمكان تطبيق القواعد فيه».

فهو يتصور بأن النحو صعب، ويشبهه بحالنا الآن؛ فعندما يلقي أحدهنا كلمة أو خطاباً يحرص على تطبيق القواعد فيه.

وعندما يعود إلى البيت، أو يغشى المجالس العامة فإنه يعود إلى العامية.

٣- باول كاله: حيث عقد في كتابه (الذخائر القاهرة) فصلاً عنوانه: (نص القرآن العربي).

يقول فيه: «جمع نص القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمدة وجيزة في عام ٦٣٢ م، وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ٦٤٤ - ٦٥٥، وهنا قامت مشكلة كيف يقرأ هذا النص ويرتل؟ فقد ولد محمد ﷺ بمكة، وانحدر - كمعظم مواطنه - من القبيلة العربية (قريش).

وكانت اللغة العربية التي يتكلّمها هي لغة المواطن المثقف في مكة. والنص القرآني الخالي من الضبط بالشكل يعكس بوضوح اللغة العربية التي كانت تُتكلّم في مكة، غير أن العرب كانوا قد تعودوا أن يعدوا اللغة البدوية

نموذجًا للنطق الصحيح، ف بهذه اللغة نظم الشعر العربي الجاهلي، وكان كل عربي مزهوًا بذلك.

وإذا كانت الكلمة الله لا يصح أن ترتب بلغة أقل مستوى من آية لغة أخرى - فقد بدأت العواصم الإسلامية في ذلك العصر المبكر - في الكوفة، والبصرة، والمدينة، ومكة. دراسة نشيطة للشعر البدوي، فكان الرجال المهتمون بهذا النمط في اللغة العربية يذهبون إلى جيرانهم من البدو، ويجتمعون ما أمكنهم من أشعارهم، وما يتصل بها من الحكايات، وهي في الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة التي جمعت تحت عنوان: (أيام العرب).

وقد اُخذت المادة التي جُمعت بهذه الطريقة أساساً للغة النموذجية التي ابتدعها النحويون، ثم حذيت لغة القرآن على نمطها، ومع ذلك لم تتغير كتابة المصحف، بل ابتدعت طريقة تضاف فيها علامات مختلفة إلى النص؛ لضمان صحة القراءة».

ثم يقول باول كاله: «ولم تذكر كتب القراءات بوجه عام شيئاً عن النشاط المبكر للقراء، فقد ضاعت أو أهملت تلك الكتب التي ذكرت شيئاً عن هذا النشاط فيما عدا خبراً عثرت عليه مؤخراً، ويمكن أن نرى من خلاله ذلك التطور»^(١).

يقول د. رمضان عبدالتواب معلقاً على ذلك: «ويظن باول كاله أنه عثر على بغيته في اقتباس عن الفراء وجده في مجموعة مخطوطة بمكتبة (تشسترتي)

١- فصول في فقه العربية ص ٣٣٤-٣٣٥

الباب الرابع: مشكلات تواجهه العربية

chester Beatty رقم ٧٠٥ وفيه : « قال الفراء : وقد رأينا أهل القراءة الذين يعرفون الكتاب والسنة من أهل الفصاحة اجتمعوا على أنه نزل بأفصح اللغات ، فاعتراض في ذلك أقوام من ينظر في الأشعار وأيام العرب ، فقالوا : إنما فضل القرآن من فضله ؛ لما أوجب الله من تعظيم القرآن ، فإذا صرنا إلى الفصاحة وجدناها في أهل البوادي .

وأختلفوا في ذلك ؛ فقال أهل الكوفة : الفصاحة في أسد ، لقربهم جوارهم منهم .

وقال أهل البصرة : الفصاحة في علية تميم وسفلى قيس من عقل وعقليل .

وقال أهل المدينة : الفصاحة في غطfan ؛ لأنهم جيرانهم .

وقال أهل مكة : الفصاحة في كنانة بن سعد بن بكر وثقيف .

فأحبينا أن نردهم بالآثار ، والقياس ، والاعتبار إلى تفضيل لغة قريش على سائر اللغات ...

قال : وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ : عتى حين ، يريد : حتى حين ، فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : عبدالله بن مسعود .

قال : فكتب إلى عبدالله : إن القرآن نزل بلغة قريش ، ولم ينزل بلغة هذيل فأقرئه الناس بلغة قريش ، ولا تقرئنهم بلغة هذيل .

وقال أبو بكر الصديق رض : إن إعراب القرآن لأحب إلى من حفظ بعض حروفه .

وقال ابن مسعود : جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه ؛ فإنه

عربي ، والله يحب أن يُعرب» .

وقد علق (كاله) على كلمة : (إعراب) في نص أبي بكر الصديق ، بقوله : «الإعراب يعني الحركات في أواخر الكلمات العربية طبقاً لقواعد العربية الفصحى» .

وقد استنتاج (كاله) من ذلك أن «الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولاً إلا إذا كان يقرأ في الواقع بدن إعراب ، وأريد له أن يقرأ بالإعراب الذي عُدّ في وقت متأخر من مظاهر الْقُحَّة اللغوية» . وهو مخطئ في استنتاجه ذلك؛ لأن الإعراب بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفاً في أيام أبي بكر وابن مسعود.

ومعنى كلمة (إعراب القرآن) في هذه الأحاديث - إن لم تكن مزيفة - هو الوضوح والبيان في قراءة القرآن الكريم «^(١)» .

ثانياً: المستشرقون الذين يرون الإعراب:

إذا كان المستشرقون : كاله ، وفوللرز ، وكوهين يرون هذا الرأي الغريب في العربية الفصحى والإعراب - فإن كثيراً من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب في العربية ، وفندوا الأقوایل التي ترى خلاف ذلك.

ومن أبرز هؤلاء اثنان هما :

١- المستشرق نولدكه: وهو من المستشرقين الذين درسوا اللغات السامية ، وفيه جانب من الإنصاف ، وله مقالة بعنوان : (ملاحظات على لغة العرب

١- فصول في فقه العربية ص ٣٣٥-٣٣٦

القدامى).

يقول د. رمضان عبد التواب بعد أن ساق رأيي فوللرز، وكاله: «وإذا كان هذان المستشرقان: فوللرز و كاله يريان هذا الرأي الغريب في العربية الفصحى والإعراب - فإن كثيراً من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب في العربية، مثل نولدكه الذي يرى في مقالة له بعنوان: (ملاحظات على لغة العرب القدامى): «أنه من غير المعقول أن يكون محمد ﷺ قد استخدم في القرآن لغة تخالف كل المخالفة تلك اللغة التي كانت شائعة في مكة آنذاك ، وأن يكون قد اعتنى بالإعراب بهذه العناية وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم».

كما يرى نولدكه: «أن شعر ذلك العصر كان يمثل لغة البدو التي كانوا يتحدثون بها في ذلك الوقت ، والتي ظلوا يتحدثون بها زمناً طويلاً بعد ذلك. ولا يغير من هذه القضية شيئاً أن لغة الشعر بها بعض الاختلاف عن لغة الحياة العامة ، وأن الشاعر ما كان يضطره وزن الشعر وأسلوبه إلى الاتيان بتعبيرات خارجة عن المألوف ، وغير ذلك من الأمور التي لاحظها كذلك قدامى اللغويين العرب ، وسجلوها بدقة».

ويستطرد نولدكه في مقاله هذا إلى أن «فنسشتاين كان يرى هو الآخر أن لغة الشعر مصنوعة تماماً فقد درس العربية الحديثة ، وتأثر بها إلى درجة أنه أصبح يرى أن القواعد التي نطالب بها من يريد التحدث بالعربية الفصحى عديمة الجدوى.

ولم يذهب فوللرز إلى هذا الحد من التفكير بالنسبة للعربية ، ولكنه كان يرى

أن اللغويين العرب قد جمعوا عناصر الإعراب بمهارة فائقة وأكملوها». ويرى نولدكه كذلك أنه «من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي ﷺ لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو.

ولكن ظاهرة الوقف الشائعة كثيراً في الحديث اليومي قد عودت الأذن على سماع الصيغة الخالية من الإعراب؛ فاستطاع أحد الشعراء استخدامها عند اتصال الكلام كذلك، وعلى الأخص في صيغة المضارع التي لا تتلاءم كثيراً من وزن الشعر».

كما يرى نولدكه في الفصل الذي كتبه عن (لغة القرآن) في كتابه: (مقالات جديدة في علم اللغات السامية) أنه «لو كان النبي ﷺ أو أحد معاصريه من المؤمنين قد نطق بالقرآن دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك، دون أن يبقى لنا آثار منها».

وأخيراً يرى نولدكه كذلك أن «لهجة شديدة الالخاراف عن عربية النحاة، لا يناسبها مطلقاً بحور الشعر المعروفة»^(١).

٢- المستشرق يوهان فلک: حيث قال في كتاب له اسمه (العربية) ونقله عنه د. رمضان عبدالتواب: «لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي بسمةٍ من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية - باستثناء البابلية القديمة - قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي.

١- فصول في فقه العربية ص ٣٣٦-٣٣٧.

الباب الرابع: مشكلات تواجه العربية

وقد احتمم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي، فأشعار عرب الباذية - من قبل العهد الإسلامي ومن بعده - ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحوين واللغويين الإسلاميين كانوا - حتى القرن الرابع الهجري والعشر الميلادي على الأقل - مختلفون إلى عرب الباذية؛ ليدرسوا لغتهم - تدل على أن التصرف الإعرابي كان بالغاً أشدّه لذلك العهد، بل لا نزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداء ظواهر الإعراب»^(١).

١- فصول في العربية ص ٣٣٨.

المبحث الرابع:

قصة الإعراب عند إبراهيم أنيس

لم تتعرض اللغة العربية لنقد أحد من أبنائها قديماً وحديثاً كما تعرضت من قبل الدكتور إبراهيم أنيس، وذلك في كتابه (من أسرار اللغة) وبالذات في الفصل الذي عقده بعنوان: (قصة الإعراب)^(١).

وقد كان متوجساً لما سيحدثه ذلك الفصل من ردود أفعال قوية، فأخذ يعتذر لنفسه في مقدمة الكتاب بقوله: «وقد يضيق بعض الناس في مصر بما جاء في هذا الكتاب، ويستكررون له، ولا سيما الفصل الخاص بقصة الإعراب.

غير أنني واثق كل الثقة أن تأكيدى لهم بأنى لم أهدف إلا الدراسة العلمية البريئة من الأغراض والأهواء سيسافع لي عندهم فيما يمكن أن يظنه خروجاً على المألوف المعهود في الدراسة العربية»^(٢).

وقد بدأ هذا الكتاب بعبارات توحى بأن اللغة مصنوعة، وبأن الإعراب حياكة وصنعة قامت على يد قوم من صناع الكلام حتى أصبح الإعراب حصناً منيعاً؛ فصار الأدباء، والشعراء يخافون من سطوة النحاة، وأصبح كل من يتكلم العربية يخافهم، ويراعي قواعدهم.

وكان يريد من ذلك كله أن يصل إلى أن الإعراب صنعة وليس سلية، وأن الحركات الإعرابية ليست معروفة عند العرب، وإنما وضعت في أواخر القرن

١- انظر أسرار اللغة ص ١٧٨-٢٧٤.

٢- من أسرار اللغة ص ٥.

الأول، وأن الحركات الإعرابية ليس لها مدلول.

ولهذا سمي ذلك الفصل الذي عقده (قصة الإعراب) وكأنه أراد من هذا العنوان أن يوحى للقارئ أن الإعراب قصة منسوجة، انظر إليه في بداية الفصل وهو يقول:

«ما أروعها قصة، لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متباينة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت، تم نسجها حياكة حكمة في أواخر القرن الأول المجري، أو أوائل الثاني على يد قوم من صناع الكلام نشأوا معظم حياتهم في البيئة العراقية، ثم لم يكدر ينتهي القرن الثاني المجري حتى أصبح الإعراب حصنًا منيعًا، امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية، وشق اقتحامه إلا على قوم سُموّا فيما بعد: النحاة»^(١).

يقول د. رمضان عبدالتواب مبيناً ذلك: «أما الدكتور إبراهيم أنيس فقد بدأ بمقيدة طويلة بين فيها كيف كان للنحو العربي سلطان على الشعراء والأدباء، وأنهم لم يصادفوا من يهاجمهم إلا في النادر من أمثال (ابن مضاء القرطبي) الذي كتب كتاباً تصدى فيه لدحض علل النحو.

ثم يذكر الدكتور أنيس أن المحاولة الثانية كانت محاولة إبراهيم مصطفى في كتابه: (إحياء النحو) وأنها كانت محاولة تعليمية؛ لتسهيل تلك القواعد الإعرابية على الناشئين.

ثم انتقل الدكتور أنيس بعد ذلك إلى البحث عن آثار هذا الإعراب في اللغات

١- من أسرار اللغة ص ١٩٨.

السامية الأخرى، غير أنه لم يتعرض للإعراب في الأكادية والحبشية والأوجاريتية، مع أن هذه اللغات الثلاث من أهم اللغات السامية في موضوع الإعراب، واستأثرت العبرية ببحثه في أقل من صفحة، وقال: إنها استأثرت ببحث المستشرقين كذلك، وعلل اعتقادهم في وجود الإعراب في اللغات السامية «بتأثيرهم بما حدث في فروع الفصيلة الهندية الأوربية، فقد عرفوا أن الوضع الإعرابي الذي يسمى *case ending* كان شائعاً في لغاتهم القديمة كاليونانية واللاتينية، وأنه قد فقد من اللغات الأوربية الحديثة كالإنجليزية، والفرنسية، فتصوروا أن ما حدث في التطور التاريخي للفصيلة الهندية الأوربية قد تم مثله في الفصيلة السامية».

وبعد أن استعرض الدكتور أنيس إعراب اللاتينية باختصار، قال: «ولعل أهم فرق بين رموز الأسماء في اللاتينية، وبين حركاتنا الإعرابية أن الرموز اللاتينية لا تسقط مطلقاً من نهاية الأسماء حين الوقف عليها كما يحدث غالباً لحركات الإعرابية في لغتنا مما يجعلنا نرجح أن حركاتنا الإعرابية ليست رموزاً غوية تشير إلى الفاعلية والمفعولية، أو غير ذلك».

وبعد أن درس ظاهرة الوقف في اللغة العربية ولهجاتها بشيء من التفصيل خرج علينا الدكتور أنيس بنظريته الجديدة في تفسير ظاهرة الإعراب في اللغة عربية»^(١).

١- فصول في فقه العربية ص ٣٢٩-٣٣٠

وفيما يلي تلخيص لنظرية إبراهيم أنيس^(١):

١- يرى أنه ليس للحركات الإعرابية مدلول ولا معنى، فلا تدل على فاعلية، أو مفعولية، أو إضافة، أو غير ذلك.

٢- يرى أن هذه الحركات إنما أتى بها للتخلص من التقاء الساكنين، ولوصل الكلمات بعضها ببعض، وهذا هو نفس كلام قطرب.

ولكنه خاف أن يُسأل سؤال قطرب عن سبب التحرير، وتنوعه وعدم ثباته على حركة معينة، فزعم أن هناك عاملين تدخلًا في تحديد حركة التخلص من التقاء الساكنين.

أحدهما: إيثار بعض الحروف لحركة معينة كإيثار حروف الخلق للفتحة مثلاً.
والآخر: هو الميل إلى تجانس الحركات المجاورة، أو ما يسمى بـ: المناسبة الصوتية^(٢).

٣- يرى أن معنى الفاعلية والمفعولية لا يستفاد من هذه الحركات، وإنما من موقع كلٍّ من الفاعل والمفعول في الجملة العربية.
وحاول أن يثبت نظاماً معيناً للجملة العربية القديمة يلي فيها الفاعل الفعل، ويسبق المفعول.

يقول إبراهيم أنيس في قصة الإعراب تحت عنوان: (موقف الفاعل من المفعول في الجملة العربية):

١- انظر من أسرار اللغة ص ١٩٨-٢٨٤، وفصول في فقه العربية ص ٢٣٠-٢٣٣.

٢- انظر من أسرار اللغة ص ٢٥٠-٢٥٣.

«نكتفي هنا ببيان قصير عن موضع الفاعل من الجملة، وموضع المفعول منها؛ كي نبرهن على أن الفاعل لا يعرف بضم آخره، ولا المفعول بنصب آخره، بل يعرف كلّ منهما - في غالب الأحيان - بمكانه من الجملة التي حددته أسلوب اللغة»^(١).

ثم ضرب عدداً من الأمثلة؛ ليدلل بها على أن العلامات الإعرابية لا معنى لها.

ومن ذلك قوله: «ولَا نَكَادُ نَعْثِرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى مَفْعُولٍ تَقْدِيمُ فَاعِلِهِ دُونَ أَنْ نَعْرِفَ لِلْأَيْةِ وَجْهًا آخَرَ مِنَ الْقِرَاءَاتِ إِلَّا فِي بَضَعِ آيَاتٍ فِيهَا الْفَاعِلُ كَلْمَةُ (الموت) مُثْلًا: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ﴾ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ﴾

فما السر في مثل هذا يا ترى؟ أيكون - والله أعلم - نفوراً من التعجيل بذكر كلمة كريهة على النفس البشرية؟ أو أنه كانت هناك قراءات لم تُرَوْ لنا، أو لم تُعثر عليها قرئت فيها كلمة (الموت) منصوبة ويكون المعنى حينئذ مشاهدة الموت معاينة علاماته وأماراته؟^(٢).

٤- يرى أن النحاة حين اعتقدوا أن للحركات مدلولاً حرّكوا أواخر الكلمات

١- من أسرار اللغة ص ٤٣.

٢- من أسرار اللغة ص ٤٦-٤٥.

التي لا داعي إلى تحريكها؛ لتطرد قواعدهم الإعرابية؟ فقالوا - مثلاً - : (الشجر مورق)، يقول : «فما السر - إذن - في إصرار النحاة على تحريك الراء في كلمة الشجر بتلك الحركة الإعرابية المشهورة؟

في الحق أنه لا ضرورة للحركة في مثل هذا الموضع، ولكن النحاة حين أرادوا اطراح قواعدهم الإعرابية توهموا أن هنا - أيضاً - حركة، والتمسوالها وجهاً من وجوه الإعراب»^(١).

٥- وعندما يأتي إلى الإعراب بالحروف فإنه يرجعه إلى اختلاف اللهجات؛ فيرى أن إحدى صوره تخص قبيلة معينة، والأخرى تخص قبائل أخرى. فمثلاً بعض القبائل استخدمتها : مسلمون، والأخرى مسلمين، وبعضها تقول : أبو، والأخرى تقول : أبي، والثالثة تقول : أبا.

فجاء النحاة - كما يزعم - وجمعوا كل هذه الصور، وخصوصاً كل صورة منها بحالة إعرابية معينة، فهو يفترض مثلاً أن هناك قبائل عربية كانت تنطق المبني بالباء في جميع الحالات، ثم تطورت الياء فصارت ألفاً عند بعض القبائل في جميع الحالات؛ فلم يفهم النحاة سرّ الموضوع؛ فجمعوا بين الصورتين، وخصوصاً الأولى بحالتها النصب والجر، وخصوصاً الثانية بحالة الرفع.

ويذهب إلى مثل هذا في الأفعال الخمسة، والأسماء الخمسة. وقد توصل إلى ذلك دونما بينة أو برهان، وإنما قاله اعتماداً منه على أن النحو

١- من أسرار اللغة ص ٢٥٦.

مصنوع^(١).

وبعد أن عَرَضَ مسأَلة الإعراب بالحروف قال في نهاية الحديث:

«وهكذا نرى مما تقدم أن ما سماه النحاة إعراباً بالحروف لا يكاد يمت لحقيقة اللغة بصلة، ولا يكاد يعود - كما رأينا في عرضنا السريع - أنه كان لبعض الكلمات المعينة أكثر من صورة في اللهجات السابقة، ولكن أصحاب اللهجة الواحدة كانوا يلتزمون صورة واحدة لا ينحرفون عنها في كل الحالات والموضع»^(٢).

٦- وعندما تحدث عن الإشارات التي تشير إلى وضع النحو وتروي فرع العلماء من سماع اللحن في بعض الكلمات، أو الآيات؛ ما جعل العلماء والخلفاء يسعون إلى وضع النحو.

عندما تحدث إبراهيم أنيس عن هذا الموضوع قرر أن الكتب التي تكلمت عن هذه البدایات، وعن تلك الأخبار بأنها مختلفة للطرفة، وإلا فلا أساس لها من الصحة، وإنما أتي بها لبيان أهمية النحو.

وهذا الأمر خطير جداً؛ لأنه يقتضي الطعن في بعض الأخبار الواردة عن الثقات، وببعض النحاة الذين منهم الأئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء وغيره -

رحمهم الله -

هذه صورة مجملة لبعض القضايا التي أثارها الدكتور إبراهيم أنيس في ظاهرة

١- انظر من أسرار اللغة ص ٣٧٠-٣٧٤.

٢- من أسرار اللغة ص ٣٧٤.

الإعراب.

والذي يتأمل يلحظ أنها دعوى عريضة تقوم على المجازفة، وتخلو من الدليل، وتصورها كافية في الرد عليها، وفساد معظمها يعني عن إفسادها. ولهذا واجهت اعترافاً كبيراً، ولم تلق قبولاً لدى أي باحث من الباحثين. ومن ابرى للرد عليه الدكتور مهدي المخزومي^(١)، والدكتور محمد محمد حسين^(٢).

ومن أبرز الاعتراضات التي أثارها الدكتور المخزومي أن نظرية الدكتور أنيس لا تستطيع أن تفسر اختلاف اللهجات العربية في الوقف مثل لهجة أزد السراة الذين إذا وقفوا على المرفوع نطقوا بضمته وأطّلواها فكأنما هي و، فيقولون في الجملتين: هل جاء خالد؟ وهل مررت بخالد؟: خالدو، وخالي حين يريدون الوقف، فيقول الدكتور المخزومي: «إذا لم تكن الحركات أعلاماً لمعان قصد إليها المتكلم، بل لم تعد أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان، توصل الكلمات بعضها مع بعض - فكيف يفسر الوقف على خالد في لغة من يتضرر (وهي لغة أزد السراة)؟».

ولماذا كانت الدال مرفوعة ومنصوبة ومحفوظة في الجمل الثلاث؟ ولماذا لا تكسر؛ لتنسجم حركة الدال مع حركة اللام قبلها؟... وعليه فإن القول بأن الحركات إنما هي سد للحاجة إلى وصل الكلمات بعضها

١- في كتابه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) ص ٤٩-٥٦.

٢- في كتابه مقالات في الأدب واللغة ص ٨٧-٩٣.

بعض، وأنها ليست أعلاماً لمعاني التي قصد إليها المتكلم قول لم يحالقه التوفيق».

وكان كلام الدكتور المخزومي قصيراً في جملته كما أنه لم يشير إلى اللغات السامية الأخرى التي تعارض أصالة الإعراب فيها نظرية الدكتور أنيس تماماً. هذا وقد رد العلماء على كل قضية من القضايا السابقة بالتفصيل سواء مما أورده المستشرقون، أو مما ادعاه إبراهيم أنيس.

ويقول الدكتور محمد حسين رحمه الله مبيناً عظمة تلك الدعوى التي جاء بها إبراهيم أنيس: «وأبلغ ما يبدو التحامل على علماء النحو واللغة والبلاغة، بل على كتب التراث كلها - في الفصلين الأخيرين: الثالث والرابع من كتاب إبراهيم أنيس (من أسرار اللغة) اللذين عقدهما تحت عنوان (قصة الإعراب ص ٢٧٤-١٩٨) و (الجملة العربية وأجزاؤها ونظامها ص ٣٥٢-٣٧٥) وفيهما يشيع الشطط والمجازفة والتحامل الظالم الجهول، وكأنه يعرف نفور القارئ من ذلك كله، أو كأنه قصد إليه وتعتمد على أسلوب طه حسين في كتاب (الشعر الجاهلي) الذي اختار الاستفزاز والإثارة طريقاً لبلوغ الشهرة، يدل على ذلك قوله في مقدمة هذا الكتاب: «وقد يضيق بعض الناس في مصر بما جاء في هذا الكتاب ويتنكرون له، ولا سيما الفصل الخاص بقصة الإعراب».

وسينأتي بيان الرد على قضية إنكار الإعراب في الفقرة التالية - إن شاء الله ...

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الخامس:

بطلان القول بإنكار الإعراب^(١)

القول بإنكار الإعراب واضح البطلان، وقد من أثناء إيراد حجج القائلين بذلك شيءٌ من أوجه بطلان ما ادعوه، وفيما يلي مزيد بيان لرد تلك الدعاوى الباطلة:

١- وجود الإعراب كاملاً في بعض اللغات السامية: كالآكادية، وتشمل اللغتين البابلية والآشورية في عصورهما القديمة.

وقد أورد الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (أصول في فقه اللغة) نماذج لذلك.

٢- أن جميع لغات العالم تستخلص القواعد من اللغة؛ فالقواعد لا تتوضع ولا تخترع.

يقول د. علي عبد الواحد وافي: «خلق القواعد خلقاً لا يتصورها العقل، ولم يحدث لها نظير في التاريخ، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل، أو يتصور نجاحها؛ فمن الواضح أن قواعد اللغة ليست من الأمور التي تخترع، أو تفرض على الناس، بل تنشأ من تلقاء نفسها، وت تكون بالتدريج»^(٢).

١- انظر فقه اللغة د وافي ص ١٦١-١٦٥، وفصل في فقه العربية ص ٣٣٨-٣٥١، ومقالات في الأدب واللغة د. محمد محمد حسين ص ٨٧-٩٣، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٢٩-١٤٣ ومحاضرات أ.د. علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية.

٢- فقه اللغة ص ١٦٣.

٣- أن دقة القواعد وتشعبها لا يدلان مطلقاً على أنها مخترعة اختراعاً؛ فاليونانية واللاتينية - على سبيل المثال - في العصور القدิمة، والألمانية في العصر الحاضر - تشتمل كل واحدة منها على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد العربية، ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد، ولا في مراعاتها في الحديث، ولم يقل أحد: إنها من خلق علماء القواعد.

٤- أن اللغة لو كانت مصنوعة مفروضة على الناس لما قبلوها؛ إذ لا يتصور أن يكون للنحاة هذه السلطة على الناس حتى يلزمونهم بهذه اللغة التي اخترعوها كما يزعم د. إبراهيم أنيس.

٥- أن الأمة لا يمكن أن تتوافق على إخفاء شيء من الأخبار، ولو كان النحو مصنوعاً لوصلتنا الأخبار بذلك.

٦- أن القرآن الكريم الذي وصل إلينا متواتراً بالرواية الشفوية الموثوق بها جيلاً بعد جيل - وصل معرباً.

ولا يمكن أن يدور في خلد أحد أن النبي ﷺ كان لا يحرك أواخر الكلمات في تلاوته لنص القرآن الكريم إلا إذا اقتضت ضرورة وصل الكلمات، أو بعبارة أخرى إذا أراد التخلص من التقاء الساكنين؛ فلا يتصور أبداً أن يُظن أن النبي ﷺ كان يتلو - على سبيل المثال - قوله - تعالى - : ﴿نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَتَيْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأْجَرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ (القلم) بتسكن أواخر الكلمات - القلم - بنعمة - ربك - وإنك - خلق - .

فذلك لم يحدث قطعاً، ولو حدث لوصل إلينا روایات من ذلك. ثم إن اتفاق القراء، ونصّهم على مواضع الاختلاف دليل على وجود الإعراب، ولو كان مصنوعاً لوصلنا برواية واحدة. وهذا وحده كافٍ في نفي كون النحو مصنوعاً.

٧- أن الرسم القرآني الذي نقل إلينا متواتراً يؤيد وجود الإعراب في الفصحي، وأنه ليس من اختراع النحاة؛ فالتفرقـة واضحة بين المتصوب بالياء، والمرفوع بالألف أو الواو، والمنوئ كل ذلك يؤكد بأن ظاهرة الإعراب موجودة. ولا ريب أن المصحف العثماني قد دُون في عصر سابق بأمـدٍ غير قصير لعهد علماء البصرة والكوفة الذين ينسب إليهم اختراع قواعد الإعراب.

٨- تتبّعُ العلماء في الصدر الأول لحركات الإعراب، وإدراكـهم لمدلولـها، وعيـبـهم من يحـيد عنـها مـن فـسـدتـ أـسـنـتهمـ بـمـخـالـطـتـهـمـ لـلـأـعـاجـمـ؛ فـذـلـكـ يـدـلـ دـلـالـةـ صـادـقـةـ عـلـىـ وـجـودـ الإـعـرـابـ فـيـ الـكـلـامـ، وـشـعـورـ أـوـلـئـكـ الـقـومـ بـهـ قـبـلـ أـنـ يـخـرـجـ النـحـاةـ بـقـوـاعـدـهـمـ عـلـىـ النـاسـ.

والأخبار الواردة عن أهل الصدر الأول في هذا الصدد كثيرة جداً، وإن كان بعضها لا يخلو من مسحة التكلف، والصنعة، لكنها -في الجملة- تدل على ذلك كما مر..

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

أ- «كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - : «من أبو موسى» فكتب إليه عمر رضي الله عنه : «سلام عليك أما بعد : فاضرب كاتبـكـ سـوـطاـ

واحداً، وأخر عطاءه سنة»^(١).

بـ- «ويروى عن أبي الأسود الدؤلي أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بكسر اللام من (رسوله).

فقال: لا أظنه يسعني إلا أن أصنع شيئاً أصلح به نحو هذا»^(٢).

جـ- ويروى أن ابنة أبي الأسود قالت لأبيها يوماً: يا أبت ما أحسن السماء.

قال: يا بنية! نجومها قالت: إني لم أرد أى شيء منها أحسن، وإنما تعجبت

من حسنها.

قال: إذاً فقولي: ما أحسن السماء!»^(٣)

دـ- «وقال رجل للحسن البصري رحمه الله يا أبو سعيد!

فقال: كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول: يا أبا سعيد»^(٤).

هـ- واستأذن رجل على إبراهيم النخعي فقال: أبا عمران في الدار؟ فلم يجده، فقال: أبي عمران في الدار؟ فناداه، وقال: قل الثالثة وادخل»^(٥).

فهذه الروايات، وأضعاف أضعافها مما لم يذكر تدلنا على وجود الإعراب كما يعرفه النحويون في العربية الفصحى.

١- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦، ونور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني ص ٣.

٢- مراتب النحويين ص ٨، وأخبار النحويين للسيرافي ص ١٢.

٣- أخبار النحويين البصريين ص ١٤.

٤- نور القبس المختصر للمرزباني ص ٣

٥- معجم الأدباء ٦٨/١

كما تدلنا من جانب آخر على أنه لم يكن لغة سليقة لكل من تكلم العربية، بدليل وقوع اللحن من كلام هؤلاء ومعظمهم من الموالي.

٩- أن الشعر العربي بموازينه وبحوره لا يقبل نظرية د. إبراهيم أنيس بحال من الأحوال؛ فأوزان الشعر، وقواعد وجرسُه يقوم على ملاحظة نظام الإعراب، ويدون ذلك تختل أوزانه، ويضطرب جرسه.

«وما لا شك أن هذه الأوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة، وأن شعراً عربياً كثيراً قد قيل على غرارها قبل الإسلام، ومن بعده قبل أن يخلق هؤلاء العلماء؛ فإنكار هذا الشعر لا سبيل إليه، ولا يمكن أن يكون قد ألف غير معرب الكلمات؛ لأن عدم إعرابها يترب عليه اضطراب أوزانه، واحتلال موسيقاً»^(١).

١٠- النقوش العربية؛ فهي -على قلتها- تدل على أن الإعراب كان موجوداً عند العرب؛ حيث يظهر فيها التزام الإعراب.

١١- قضية السمع من العرب؛ فهذا من أعظم ما يؤكد أن النحو ليس مصنوعاً.

فالعلماء في عهد هارون الرشيد كانوا يسمعون الكلام بكل دقائقه من الأعراب الذين كانوا يلقونهم.

ومن أعظم ما يمثل قضية السمع كتاب سيبويه بِحَمْلِ اللَّهِ حيث يمثل صورة تعقيد النحو؛ فالقواعد عنده سمعاً فيه؛ ولهذا نراه كثيراً ما يقول: سمعنا عن فلان، أو

١- فقه اللغة د. وفي ص ١٦٤

حدثنا فلان.

وإليك بعض الأمثلة مما جاء في كتابه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :

أـ قال : هذا كله سمع من العرب ... ١٤٧/١ .

بـ وقال : وسمعنا من العرب من يقول : ... ٢٤٣/١ .

جـ وقال : ومن العرب من يقول : اليوم يومك . ٤١٩/١ .

دـ وقال : وقد سمعنا من العرب من يشمه الرفع ... ٩٥/٣ .

هـ وقال : وسمعنا من العرب من يقول : إني أنا لبّتها . ١٢٨/٣ .

وـ وقال : وسمعت رجلاً من العرب ينشد هذا البيت ... ١٤٤/٣ .

زـ وقال : وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه ويجعلونه ... ٢٩٠/٣ .

حـ وقال : وسألنا العلوين والتمييين فرأيناهم يقولون ... ٢٩١/٣ .

بل إن هناك من الأعراب في القرن الرابع من كان يتكلم العربية، وقد افترخ
كثير من الأئمة بمشافهتهم كالأزهرى وأبو زيد القرشى، وابن جنى، وكانوا
يعملون لهم بعض الامتحانات؛ ليتأكدوا من مدى فصاحتهم.

بل إن ابن خلدون ذكر أنه وجد في زمانه من يتكلم العربية.

فعلماء هذا شأنهم؛ دقة، واحتياطاً، وإخلاصاً لا يعقل أن يتواطئوا جميعاً
على هذا الإفك المبين.

ويحسن أن يختتم هذا الحديث ببعض الأقوال التي ترد تلك الفرية العظيمة،
قال د. علي عبد الواحد وافي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : «وإذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد
تواطؤاً جميعاً على اختلاف الإعراب فإنه لا يمكن أن نتصور أنه تواطأ معهم

عليه جميع العلماء من معاصرיהם، فأجمعوا كلمتهم ألا يذكر أحد منهم شيئاً ما عن هذا الارتفاع العجيب.

ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها مماثلة لقواعد لغتهم، ويختذلها في كتاباتهم اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحرروا عقول الناس واسترهبوا بهم، وأنسوهם معارفهم عن لغتهم وتاريخهم، فجعلوهم يعتقدون أن ما جاءوا به من الإفك مثل لفصيح هذه اللغة^(١).

وقال: «فنظام الإعراب عنصر أساسي من عناصر اللغة العربية، وليس من إلهام عبقي، ولا من اختراع عالم.

وإنما تكون في صورة تلقائية في أحقاب طويلة كما يتكون اللؤلؤ في جوف الأصداف، وكما تتكون الأحجار الكريمة من فلذات^(٢) الأرض الطيبة، وقد اشتغلت عليه هذه اللغة منذ أقدم عهودها.

وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنه استخلصوا منها جهه استخلاصاً من القرآن والحديث وكلام الفصحاء العرب، ورتبوها وصاغوها في صورة قواعد وقوانين»^(٣).

وقال د. محمد محمد حسين رحمه الله في معرض حديث له عن دعاوى إبراهيم أنيس: «وإنني لأتسائل: أيهما أدنى إلى الروح العلمية التي تضبط اللغة

١- فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ٢٠٨ ، وانظر فصول في فقه العربية ص ٣٤٧-٣٤٨.

٢- لعلها: فِلَزَات.

٣- فقه اللغة ص ١٦٥-١٦٤.

وتصونها، وتضمن الثبات والاستقرار؟

قواعد النحاة التي اجتمع عليها الناس، أم هذه الأوهام التي تتحكم إلى الانسجام، ونظام المقاطع، وطبيعة الصوت، وغيرها من الكلمات الغامضة الدلالة التي ليس لها مفهوم عام يلتقي عنده كل الناس؟

ثم إنني أتساءل: ما الذي يهدف إليه المؤلف بدعاواه ومزاعمه؟

هل يريد إلغاء الإعراب جملة؟ وإذا تم له ذلك فهل نسمى ذلك تجديداً أم هدماً؟ وهل نقرأ القرآن بعد ذلك بحركات الإعراب أم بدونها؟^(١).

وقال بِحَمْلِ اللَّهِ: «ويعرف كل من ألم باليونانية واللاتينية وبعض اللغات الأوربية الحديثة كالألمانية أن هذه الحالات التي تعترى الكلمات، وتقتضي زيادة بعض الأحرف في نهاياتها تبلغ ست حالات في حالة الإفراد وستأمثلها في حالة الجمع، وأنها أكثر تعقيداً فيها منها في العربية؛ لأن هذه الحالات يُعبر عنها بحروفين أو ثلاثة، وهي في العربية حركة واحدة؛ ولأن هذه الزيادات غير موحدة، فالكلمات في هذه اللغات تتشعب إلى مجموعات أو أسر متعددة - declensions -».

وكذلك الفعل في الفرنسيمة المعاصرة، ولكل أسرة منها علامات للإعراب تختلف عنها في الأسر الأخرى، وإذا جاز ذلك وصح عند دعاة التغريب في لغات هذه الأمم، فلماذا يستنكرونه ويستبعدونه في العربية؟ لماذا يُسلمون بوجود هذه الظاهرة التي تربط المعنى بالشكل الذي تتخذه نهايات الكلمات في هذه اللغات،

١- مقالات في الأدب واللغة ص. ٨٩

ولا ينسبونها إلى الانسجام، وطبيعة الصوت، ونظام المقاطع، ويرفضون نظيرها في اللغة العربية؟

ولماذا كان نحاة العرب دون غيرهم هم المهتمين بالتحريف، والاختلاق، والتزوير، والطغيان؟^(١).

وقال: «ومن الطبيعي في كل اللغات أن يكون وضع قواعد اللغة ومعاجمها هو المرحلة الأخيرة في نضجها التي ثبتت معها أساليبها في بناء الكلمات والتعبير عن المعاني، ولا يُسمح بعدها بمخالفتها، أو الانحراف عنها، ولا يجري التطور إلا في حدودها.

وقواعد اللغة أو ما يسميه العرب نحواً وصرفًا قد استُبْطِطَتْ من واقعها ومن طريقتها التي هديت إليها في التعبير على مقتضى سنن الله في اختلاف الألوان والألسنة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافُ أَسْبَتِكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم: ٣٠.

فإذا استُبْطِطَتْ هذه القواعد من واقعها، وبُوأْتَتْ أصبح لها قوة القانون في المجتمع، لا يسمح لأحد بالخروج عليه مع أنه هو نفسه من صنع المجتمع.

وما ترويه كتب النحو من الشعر المخالف لهذه القواعد في عصور الاستشهاد بما تسميه شاذًا ليس إلا صورة لفقدان الانضباط الكامل في اللغة الذي كان يسمح لبعض الناس بالخروج على العُرُفِ الغالب المأثور إن سها، أو دعته لذلك ضرورة أو غلَبَتْ عليه لهجته المحلية التي تخطَّتها لغة الأدب التي اجتمع عليها

العرب قبيل الإسلام.

وهذا الذي يسمونه قبل وضع النحو شاذًا، هو نفسه ما يصفونه بعد وضع النحو بأنه خطأ»^(١).

١- مقالات في اللغة والأدب ص ٩١.

الفصل الثاني: الدعوة إلى العامية، وتيسير النحو، والخط العربي

وتحته مباحث:

المبحث الأول: مقدمات حول هذه الدعاوى

المبحث الثاني: الدعوة إلى العامية.

المبحث الثالث: الدعوة إلى تيسير النحو.

المبحث الرابع: الدعوة إلى تيسير الخط العربي.

المبحث الخامس: الرد على دعاوى العامية، وتيسير

النحو، والخط العربي.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

الفصل الثاني

الدعوة إلى العامية، وتسهيل النحو، والخط العربي

المبحث الأول:

مقدمات حول هذه الدعاوى

هذه الدعاوى داخلة تحت المشكلات التي تواجه العربية، وتسعى إلى إضعاف سلطانها في نفوس أهلها.

وذلك كله سلسلة من المكر الكبار، والكيد الذي يراد بأمة الإسلام، وإن كان بعض من يدعوا إلى تلك الدعاوى ذاتية طيبة.

وسيكون الحديث فيما يلي حول بعض المقدمات ثم يتم الحديث عن كل واحدة من هذه الدعاوى الثلاث على حدة:

أولاً: ارتباط اللغة بالدين والأمة: لا يشك عاقل في مدى التلازم الوثيق، والارتباط المحكم بين اللغة والدين والأمة.

وهذا ما أدركه العلماء في القديم والحديث؛ حيث ربطوا ارتباطاً محكماً بين اللغة العربية والإسلام؛ ذلك أن أهم ما تعتد به الأمم من تراثٍ لغتها ودينها؛ فبها تين الوسائلتين تحقق ذاتها، تتميز شخصيتها؛ فكل قضية تثار ضد العربية فهي في الحقيقة ضد الإسلام.

ولقد نص على هذه الحقائق غير واحد من علماء اللغة والشريعة.

قال الثعالبي رحمه الله في مقدمة كتابه (فقه اللغة وسر العربية): «إِنَّمَا أَحَبَّ اللَّهَ مَنْ أَحَبَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ عَرَبًا أَحَبَّ الْعَرَبَ».

أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب.

ومن أحب العربية عُنِي بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها.

ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإسلام للإيمان، وآتاه حسن سيرية فيه - اعتقد أن محمدًا ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسينة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائل أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزند^(١) للنار.

ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان - لكتفى بهما فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره؛ فكيف وأيسر ما خصها الله - عز وجل - من ضروب المَمَدَحِ ما يُكِلُّ أقلامَ الكتبة، ويتعب أناملَ الحَسَبَةِ»^(٢).

بل إن العلماء نصوا على أن تعلمها من الدين، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الشاطبي رحمهما الله - .

١- الزند: العود الذي تقدح به النار

٢- فقه اللغة وسر العربية ص ٥.

قال بن تيمية بِحَمْلَةِ اللَّهِ : «إن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»^(١).

وقال : «ومعلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية ، وكان السلف يؤدبون أولادهم عن اللحن؛ فنحن مأمورون أمر إيجاب ، أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ، ونصلح الألسنة المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والقتداء بالعرب في خطابها»^(٢).

وقال الشاطبي بِحَمْلَةِ اللَّهِ : «الاجتهاد إن تعلق بالاستبطاط من المنصوص فلا بد من اشتراط العلم بالعربية»^(٣).

وقد أدرك ذلك المسلمون الأوائل لا من العرب فحسب ، بل من غير العرب ، حيث أقبلوا على العربية ، وأحبوها ، وتفقهوا فيها ، ونافحوا عنها ، بل صاروا من أكابر أئمتها كالكسائي ، وسيبويه ، وابن فارس ، وابن جني - رحمهم الله -. بل لقد بلغ الأمر بابن فارس بِحَمْلَةِ اللَّهِ أن يعقد باباً في كتابه (الصاحب) تحت عنوان (باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها)^(٤).

ولم تمنعه عروقه الفارسية ، ولا كونه يعيش في بيئة بعيدة عن منبع العروبة أن

١- اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٢.

٢- مجموع الفتاوى ٣١/١٥٨.

٣- المواقفات ٥/١٤٣.

٤- الصاحبي ص ١٩.

يقول ما قال مما يبلغ الذروة في تمجيد العربية.

وإنما جاءته هذه العصبية من جهة إسلامه، واقتاعه بأن القرآن كتاب الله العجز الخالد.

وهذا شيء يعتقد المسلم لا ينزعه فيه شك، وهو أن الذين صانوا العربية ووضعوا لها القواعد التي حفظتها طوال هذه القرون، وأقامت ألسنة الناطقين بها على سنتها - كانوا يعملون بهدایة من الله ورعايته وتوفيق؛ لأنهم كانوا الأسباب إلى تحقيق وعده الصادق النافذ في قوله - عز وجل - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر.

وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته؟

هذا أمر لا صلة له بمناهج البحث، ومنطق الفكر؛ لأنه ينزل من المسلم منزلة العقيدة المسلمة التي لا تحتاج إلى برهان، ولا ينزعه فيه شك مهما رأى غير المسلمين فيه، ومهما خطر على باله من وساوس وهواجس تدعوه إلى اطراحه، أو التهويين من شأنه.

والدليل على أن هذه القواعد قد صانت اللغة العربية من التبديل والتحريف فأصبحت بذلك ظاهرة فذة لا يشبهها شيء من لغات العالم - أنا نقرأ القرآن كأنه أنزل فينا اليوم، ونقرأ أبا تمام والبحترى والمتبي وكأننا نقرأ البارودى أو شوقياً^(١).

١- انظر: مقالات في اللغة والأدب د. محمد محمد حسين ص ٧٥-٧٦، وفي سبيل لغة القرآن د. مرزوق بن تبارك ص ١٥.

هذا وسيتضح مزيد بيان لهذه الحقائق في الفقرات التالية.

ثانياً: إدراك الأعداء لأهمية اللغة: لقد أدرك أعداء الإسلام والערבية أهمية اللغة وخطرها على مطامع الاستعمار، وخطرها في وحدة الأمة، وتقاسكها، وارتباط حاضرها بحاضرها.

ومن هنا كان سعيهم الحثيث لتفتيت وحدة الأمة، وتجزئتها، وجعلها دوبيلات متاحرة؛ لأجل أن تستمر التبعية لهم؛ فشرعوا جاهدين إلى هذا المقصد، وأخذوا بكل وسيلة ممكنة لتحقيق هذه المطلب؛ فكان من أعظم ما توصلوا إليه، وقاموا به أن ضربوا الأمة في لغتها، واتخذوا لذلك أساليب شتى، وجدوا مطايياً لهم من المستغربين لذلك؛ فصارت الطعنات المتالية في العربية داعية إلى إقصائها أو إضعافها، والنيل منها - كما سيأتي بيان ذلك -^(١).

ثالثاً: غاية هذه الدعوات: من خلال ما مضى وما سيأتي يتبين لنا أن هذه الدعوات تستهدف غايتين^(٢) :

١- تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة؛ وذلك بتفریقهم في الدين، وتفریقهم في اللغة والثقافة، وقطع الطريق على توسيع اللغة العربية المختتم بين مسلمي العالم؛ حتى لا تتم وحدتهم الكاملة.

٢- قطع ما بين المسلمين وبين قدیمهم: والحكم على كتابهم (القرآن) وكل تراثهم بالموت؛ لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم، ويضم بعضهم إلى

١- انظر في سبيل لغة القرآن ص ١٥-١٦.

٢- انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين ٢/٨٤.

بعض.

رابعاً: نبذة تاريخية عن تلك الدعوات، وبيان أشهر دعاتها^(١): بدأت تلك الدعوات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك عن طريق بعض المجالات، وبعض المنصرين، والمستشرقين، وكانت بدايتها في مصر؛ نظراً لمكانتها العلمية والثقافية.

وتحمل تلك الدعوات في طياتها عبراً، وعظات عجيبة في أدب أولئك، ومثابرتهم في سبيل النيل من العربية.

وفيما يلي استعراض تاريخي بجمل لتلك الأعمال يتبع من خلاله ما قاموا به من عمل، ويتبين - كذلك - أشهر الذين تبنوا تلك الدعوات الهدامة سواء من الأشخاص أو المجالات.

١ - ظهرت الدعوة إلى العامية سنة ١٨٨٠ م على يد الألماني (ولهلم سبيتا) الذي كان متخصصاً باللغات الشرقية، وكان مديرًا للدار الكتب المصرية، وكان من أشد الناس حملاً على العربية، وقد قضى جزءاً كبيراً من حياته في مصر لهذا الغرض، وكان أكثر دقة من سبقوه في هذا المجال.

ومن الأشياء التي كان يعملها: جمع القصص والطرف بالعامية، وتأليفها وبيعها على الناس بمبلغ زهيد؛ لكي تتفشى العامية.

كما ألف كتاباً بعنوان (قواعد العربية العامية في مصر) فقعد فيه اللهجة

١ - انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب العاشر ٣٥٩-٣٦٨، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٥٥-١٥١.

المصرية بقواعد من عنده^(١).

٢- وتوالىت هذه الدعوة في أواخر سنة ١٨٨١ م: وذلك حين اقترحت مجلة (المقطف) كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة، ودُعِي رجال الفكر إلى بحث هذا الاقتراح ومناقشته.

٣- هاجرت هذه المسألة مرة أخرى في أوائل سنة ١٩٠٢ م: وذلك حين ألف القاضي الإنجليزي (سلمون ولور) أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز - كتاباً سماه (العربية المحكية في مصر). وقد وضع للغة القاهرة قواعد، واقتصر بأن تكون لغة للعلم والأدب، ونادي بأن تدرس العربية في قسم الآثار من الجامعات كما تدرس اللغات المدرسة كالأكاديمية.

كما اقترح أن تكون الكتابة بالحروف اللاتينية.

وقد تنبأ الناس للكتاب حين أشار به (المقطف) في باب (التقرير والتقاد) فحملت عليه الصحف مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لا تقصد إلا محاربة الإسلام في لغته.

وفي ذلك الوقت كتب حافظ إبراهيم قصيدة المشهورة التي يقول فيها متحدثاً بلسان اللغة العربية تحت عنوان: (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها):

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاري وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي

١- مستفاد من محاضرات أ.د علي البواب على طلاب كلية اللغة العربية، وانظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٥١.

الباب الرابع: مشكلات تواجهه العربية

عَقِّمْت فَلَمْ أَجُزَّ لِقَوْلِ عِدَّاتِي
 رِجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدْتُ بَنَاتِي
 وَمَا ضَقَّتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعَظَاتِ
 وَتَسْيِيقِ أَسْمَاءِ الْمُخْتَرَعَاتِ
 فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصُونَ عَنْ صِدَّافَاتِي
 وَمِنْكُمْ - وَإِنْ عَزَّ الدُّوَاءُ - أَسَاتِي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحِينَ وَفَاتِي
 وَكُمْ عَزَّ أَقْوَامُ بَعْزُ لِغَاتِ
 فِيَا لِيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلْمَاتِ
 يُنَادِي بِوَادِي فِي رِبَعِ حَيَاتِي
 بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَشَرَةَ وَشَتَاتِ
 يَعْزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
 لَهُنْ بِقَلْبِ دَائِمُ الْحَسَرَاتِ
 حَيَاءً بِتَلْكَ الأَعْظَمِ النَّخَرَاتِ
 مِنَ الْقَبْرِ يَدِنِينِي بِغَيْرِ أَنَّا
 فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
 إِلَى لِغَةٍ لَمْ تَتَصلُّ بِرَوَاهَةٍ
 لُعَابُ الْأَفَاعِيِّ فِي مَسِيلِ فَرَاتِ
 مُشَكِّلَةُ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ

رَمُونِي بِعَقْمِ فِي الشَّبَابِ وَلِيَتِنِي
 وَلَدَتُ وَلَمْ لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي
 وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لِفَظًا وَغَایَةً
 فَكِيفَ أَضِيقَ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةِ
 أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنُ
 فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي
 فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي
 أَرَى لِرِجَالِ الْغَربِ عَزًا وَمَنْعَةً
 أَتَوَا أَهْلَهُمْ بِالْمَعْجزَاتِ تَفَنَّا
 أَيْطَرِيْكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَربِ نَاعِبُ
 وَلَوْ تَزَجَّرُونَ الطَّيْرَ يَوْمَ عَلِمْتُمْ
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمَا
 حَفَظَنِ وَدَادِيِّ فِي الْبَلَى وَحَفَظَتِهِ
 وَفَاخْرَتْ أَهْلُ الْغَربِ وَالشَّرْقِ مُطْرَقُ
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلُقاً
 وَأَسْمَعَ لِلْكِتَابِ فِي مَصْرِ ضَبْجَةً
 أَيْهَجْرُنِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ -
 سَرَّتْ لُؤْثَةُ الْإِفْرَنجِ فِيهَا كَمَا سَرَّ
 فَجَاءَتْ كُثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً

إلى عشر الكتابِ والجمعُ حافلُ
فإما حيَاةً تبعثُ الميتَ في البلى
وإما مماتٌ لا قيمةَ بعدهُ
وإما مماتٌ يقْسُنُ بماتِ
٤- وثارت المسألة من جديد على يد الإنجليزي (وليم ولوكوكس)؛ وكان
مهندساً للري في مصر، حيث دعا عام ١٩٦٦م إلى هجر اللغة العربية، وخطا
بهذا الاقتراح خطوة عملية، فترجم أجزاءً من الإنجيل إلى ما سماه (اللغة
المصرية).

ويعد هذا الرجل من ألد أولئك، وأكثرهم جلداً، حيث جاء إلى مصر عام
١٨٨٢م ومكث فيها حتى عام ١٩٣٦م.

وليس له أي هدف إلا محاربة العربية عبر الندوات، والصحف.

وكان يشيع أن التخلف في مصر سببه العربية الفصحى، وأن الحل في تركها
معللاً بأن سبب تطور الإنجليز هو تخليلهم عن اللاتينية إلى الإنجليزية.

ولقد نوه سلامة موسى بـ: ولوكوكس، وأيده، فثارت لذلك ثائرة الناس من
جديد، وعادوا لمحاجمة الفكرة، والتنديد بما يكمن وراءها من الدوافع
السياسية.

«ولكن الدعوة استطاعت أن تجذب نفراً من دعاة الجديد في هذه المرة،
فاختذوا القومية والشعبية ستاراً للدعوتهم حين كان مثل هذه الكلمات رواج،
وكان لها بريق يعشى الأ بصار، وحين كان الناس مفتونين بكل ما يحمل هذا
العنوان في أعقاب ثورة شعبية تخضت عن (الفرعونية) وحين كانوا يتحدثون

بما صنع الكماليون من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وترجمة القرآن للغة التركية، وإلزام الناس بالتبعده، وتحريم تدريس العربية في غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة، وقد مضوا من بعد في مطاردة الكلمات العربية الأصل ينفونها من اللغة التركية كلمة بعد كلمة»^(١).

٥- ولم يكن الوضع في بلاد الشام أو المغرب العربي بأحسن حالاً من مصر حيال هذه القضية، بل كان أسوأ مما في مصر؛ حيث وُجِدَتْ محاولات جادة لطمس العربية ونبذها، ووصمها بالتخلف.

وما يصور لك الحال التي وصلت إليها تونس - على سبيل المثال - تلك القصيدة التي جادت بها قريحة الشيخ العلامة محمد الخضر حسين التونسي عام ١٣٦٩هـ وعنون لها بـ (حياة اللغة العربية)، وجعلها في أسلوب رواية خيالية، فقال^(٢) :

بصري يسبحُ في وادي النظرِ
وسبيل الرشد ممهودٌ لمن
إنما الكون سِجلٌ رُسمتْ
وإذا أرخى الدجى أستاره
لستْ أنسى جُنح ليل خفقتْ
يتقصى أثراً بعد أثرٍ
يتجافى الغُمضَ ما اسطاع السهرِ
فيه للأفكار آئٍ وعَبرٍ
هبَ سمعي كاشفاً عما استترَ
فيه بالأحساء أنفاسُ الضَّجرِ

١- الاتجاهات الوطنية ٣٦١/٢

٢- القصيدة موجودة في ديوان الشيخ (خواطر الحياة) ص ١١١-١١٤، وفي كتابه (حياة اللغة العربية) ص ٧٨-٨٤.

غرة الإصباح أن تغشى السحر
ومطايها السعي مرقاً الوطرَ
بحسيسٍ من أحاديثِ السمرَ
في لحاءٍ ولحاجٍ منتشرٍ
في مزيجٍ مثل ضغثٍ معتكرٍ
سنةُ البحث عن الحق غبرَ
في لسانِ العربِ من فضلٍ ظهرَ
 شأنهُ والجهلُ مداعاةُ الهذرُ
حکماً بينهمُ فيما شجرَ
لهجةٌ فصحى وجاشٌ مستقرٌ^(١)
من قوانينِ الهدى أبهى دررَ
زهرَ آدابٍ وأخلاقٍ غرَّ
ولآلئِ البحر ليست تنحصرُ
فصحاءِ العرب سيلٌ منهمُ
كخصيبٌ الأرض يحييه المطرُ
في مجالِ القول جلىٌ ويهرُ
صيغٌ شأنَ الغنيِ المقتدرُ

لَجَّ بي التسهيدُ حتى أوشكَتْ
قمتُ أسعى لتقاضي سلْوةٍ
قمتُ أخطو فجري حادي الصبا
وأتشنى بي نحو نادٍ نشبوا
لا تعي من بينهم إلا وغنى
وإذا الخصمان لم يهتديا
هذه طائفةٌ تحدو بما
وَجَفَتْهُ فَتَهُ فاهاتضموا
وتراضوا بعد ذا أن نصبوا
فانبري فيهم خطيباً بصدى
لغةٌ أودعَ في أصدافها
لغةٌ نهضِرُ من أغصانها
ضاق طوقُ الحصر عن بسطتها
فاض من نهر مبانيها على
فسَرَتْ روحُ بيانٍ في اللهِ
وابنها المنطيقُ إنْ زُجَّ به
يسبكَ المعنى متى شاءَ على

١- الجاش: القلب.

ثم لا يُعوزه السير على
فاسأل التاريخ ينئك بما
من خطيب مِصْقَع أو شاعر
ضربت في كلّ شرب ينتهي
أُرْشِفت من شنب الرقة ما
ولطيف اللفظ يسري في الحشا
وتذيب القلب رُعباً بجزا
والكلام الجزل وضعنا واقع
ضلّ قوم سلكوا في حفظها
ألقت في نطق قومي أحرفاً
بعض من لم يفهوا أسرارها
نفروا عنها لِواذا وإذا
ما زكا تفاح لبنان على
هكذا في نظر الأعشى استوى

وضعها في كل معنى مُبتكر
أنجحت أرض قريش ومضر
مُقلِّق يسحب أذیال الفخر^(١)
من فنون الحسن بالسهم الأغر
يدهل الأسماع عن نغم الوتر
ما سرت نظرة ظبي ذي حور
لة أسلوب لديها محتكر
موقع السيف إذا السيف خطر
سيباً أوهن من جبل القمر
من لغى أخرى فأضناها الخدر
قذفها بموات مستمر
جف طبع المرء لم تغن النذر^(٢)
حسك السعدان في ذوق مذر^(٣)
زهر روض وهشيم المحتظر

١- المصقع: البلح، ومن لا يُرتجع عليه -أي لا يقبل عليه-. والمقلق: الذي يأتي بالعجبائب في شعره.

٢- حسك السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل، وله شوك تشبه به حلمة الثدي، فيقال لها: السعدانة، والمذر: الخبيث، والفاسد.

٣- الهشيم: النبات اليابس المتكسر.

لُغَةُ قَدْ عَقَدَ الدِّينُ لَهَا
أَوْ لَمْ يَنْسِجْ عَلَى مَنْوَالِهَا
يَا لَقَوْمِي لَوْفَاءً إِنْ مَنْ
فَأَقِيمُوا الْوِجْهَ فِي إِحْيَاِهَا
كَلْمُ التَّنْزِيلِ فِي أَرْقَى سَوْرَةِ
نَكْثِ الْعَهْدِ أَتَى إِحْدَى الْكَبَرِ
وَتَلَافَوْا عَقْدَ مَا كَانَ انتَشَرَ
٦- دخول هذه الدعوة إلى مجتمع اللغة العربية: يقول د. محمد محمد
حسين رحمه الله بعد أن استعرض تاريخ تلك الدعوة: «ولم يكن ذلك هو كل ما
كتبته الدعوة الجديدة التي روجها الإنجليز وعملاؤهم كما رأينا.

ولكن أتعجب ما ظهر من ذلك في هذه الفترة وأغريه مما لا يخطر على البال هو
أن الدعوة قد استطاعت أن تتسلل متلصصة إلى الحصن الذي قام لحماية اللغة
العربية الفصيحة، والمسمي (بمجتمع اللغة العربية).

فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن (اللهجة العربية
العامية) كتبها عضو من أعضاء هذا المجمع اسمه عيسى إسكندر المعرف. وإن ما يدعو إلى العجب حقاً أن يختار المجمع لعضويته رجلاً معروفاً بعاداته
الصرير للغة، وهو عداء عريق ورثه عن أبيه الذي أعلنه وجهر به حين
سجله في مقال له نشرته (الهلال) سنة ١٩٠٢ م دافع فيه عن اللهجات السوقية،
وقال: إنه يشتغل بضبط أحوالها وتقييد شواردها؛ لاستخدامها في كتابة العلوم.
وقد أكد هذا المقال أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أسباب
تلخلفنا الثقافي.

١- هكذا في الأصل، ولعل الصحيح: يكلؤها رب البشر.

وزعم أنه من الممكن اتخاذ أي لهجة عامة لغة للكتابة كالمصرية أو الشامية، وأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربية -على اختلاف لهجاتهم- من العربية الفصحى.

كما أنه زعم أن تعلق المسلمين باللغة الفصحى لا مبرر له؛ لأن هناك مسلمين كثيرين لا يتحدثون بالعربية ولا يكتبون بها، ولأن اللغة التي يتكلمها المسلمون هي غير العربية الفصحى على كل حال^(١)، وقال عن كل ما يطالب به هو وضع قواعد هذه اللغة التي يتكلمون بها فعلاً وواقعاً وختم المقال بقوله:

«وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عِقالهم طالبين التحرر من رقّ لغة صعبة المراس قد استنزفت أوقاتهم وقوى عقولهم الثمنية وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً، بل أصبحت ثقلًا يؤخرهم عن الجري في مضمار التمدن، وحاجزاً يصدّهم عن النجاح...»

وليأمل بأن أرى الجرائد العربية وقد غيرت لغتها، وبالأخص جريدة الهلال الغراء التي هي في مقدمتها.

وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح، وهو غاية أملـي ومنتـهى رجـائي».

هل تعرف عداءً للعربية التي لم ينشأ هذا الجمـع إلا لحمايتها أعرقـ من هذا العداء الصـريح في الـولد وأبـيه على السـواء؟ فلـأـي شيء اختـير هذا العـضـو وأـمـثالـه من المعـروـفين بالـكـيدـ للـعـربـ ولـلـعـربـ؟.

١- هذا غير صحيح يكتبه الواقع الصـريحـ، والـدـلـيلـ علىـ مـبـاـيـنـتهـ لـلـحـقـيقـةـ أـنـ العـربـ إـذـ اـجـتـمـعـواـ فيـ مؤـتمرـ لمـ يـكـدـ يـفـهـمـ بـعـضـهـمـ إـلـاـ إـذـ تـكـلـمـواـ العـربـةـ الفـصـحـىـ.

وليس هذا هو كل ما يدعو للعجب من أمر هذا المجمع، فقد تقدم عضو من أبرز أعضائه وهو عبد العزيز فهمي -ثالث ثلاثة الذين بني عليهم الوفد المصري- في سنة ١٩٤٣ باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وشُغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت خلال ثلاث سنوات، ونشر في الصحف، وأرسل إلى الهيئات العلمية المختلفة، وخصصت الحكومة جائزة مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية.

أليس يدعو ذلك إلى أن نتساءل: هل أنشئ هذا المجمع لينظم جهود حُماة العربية، أو أنشئ ليُكُسِّبَ الهدامين صفةً شرعية، ولippiض على بيت حفار القبور لوحة نخاسية كُتب عليها بخط عريض (طبيب)، وعلى وكر القاتل السفاح اسم (جراح)؟!

أليس يرضى الاستعمار عن مثل اقتراح المعلوم واقتراح عبد العزيز فهمي؟ أليس يرضى عنه العضو الإنجليزي الموقر هـ.أ.ر.جب الذي يقرر في كتابه (إلى أين يتوجه الإسلام) عند كلامه عن الوحدة الإسلامية أن من أهم مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الإسلامي، واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة، والاشتراك في كثير من الكلمات والاصطلاحية العربية الأصل؟ أليس يرضى الاستعمار الفرنسي الذي حارب العربية الفصيحة في شمال إفريقيا أعنف الحرب، وضيق عليها أشد التضييق، ووضع مستشرقوه مختلف الكتب في دراسة اللهجات البربرية وقواعدها لإحلالها محل العربية الفصيحة؟

أليس يرضى عنه المستشرق الألماني كامفماير الذي يقرر في شمataة أن تركيا لم

الباب الرابع: مشكلات تواجه العربية

تعد بلداً إسلامياً، فالدين لا يُدرّس في مدارسها، وليس مسموحاً بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس، ثم يقول : «إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية»^(١).

١- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٣٦٢-٣٦٥.

المبحث الثاني:

الدعوة إلى العامية

أولاً: مقدمة لهذه الدعوة:

هذه الدعوة أثارها - كما مر - الألماني سبيتا سنة ١٨٨٠ م، ثم المقتطف سنة ١٨٨١ م، ثم القاضي الإنجليزي ولور سنة ١٩٠٢ م، ثم المهندس الإنجليزي وليم ولكوكس سنة ١٩٣٦ م.

وأثارها غيرهم كأحمد لطفي السيد الذي كتب عام ١٩١٣ سبع مقالات في موضوع تصوير اللغة العربية، ونشرها في صحيفة الجريدة، وذهب فيها إلى أن الطريقة الوحيدة لإحياء اللغة العربية هي إحياء لغة الرأي العام من ناحية، وإرضاء لغة القرآن من ناحية أخرى، وذلك باستعمال العامية في الكتابة.

وكالب مارون غصن الذي أصدر كتاباً سماه (درس ومطالعة) تنبأ فيه بموت العربية الفصحى، داعياً إلى الكتابة بالعامية السورية.

وكأنيس فريحة في كتابه (نحو عربية ميسرة) دعا فيه إلى أن يصبح لنا لغة واحدة هي لغة الحياة، معتبراً أن الفصحى لغة أجيال مضى عهدها، وهي وبالتالي عاجزة عن أن تعبّر عن الحياة، بخلاف العامية؛ فهي - كما يزعم - لغة حية متطرفة نامية تتميز بصفات تجعل منها أداة طيّعة للفهم والإفهام^(١).

كما أثارها بعض الكتاب، وبعض الصحف والمحلاطات من خلال ذلك، ومن

١- انظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٥٣.

بعد ذلك.

«ولا يزال يثور حتى الآن بين حين وحين، فيهيج بعد سكون، ثم يعود إلى الكمون، كما تتحصن الجراثيم داخل أغلفتها وأكياسها التي تحيط نفسها بها حين تأنس من قوى الجسم الدفاعية صلابة وعناداً، منتظرة سنوح الفرصة لهجوم جديد في نوبة تعب أو إجهاد أو اضطراب»^(١).

ثانياً: أساليب الدعوة إلى العامية^(٢):

الذي يستعرض ما كتبه الكتاب في ذلك يشعر أن هناك هدفاً واحداً يسعى إليه أصحابه من كل وجه وبكل وسيلة، ألا وهو: محاربة الفصحي، والخلص منها.

أما الأساليب فمتنوعة، وتأتي على أنواع شتى فمن ذلك:

١ - تارة يدعون إلى العامية دعوة صريحة.
 ٢ - وتارة يدعون إلى التوسط بين الفصحي والعامية.
 ٣ - وتارة يدعون إلى فتح باب التطور في اللغة، والاعتراف بحق الكتاب في تغييرها كيما كان التغيير.

٤ - وتارة يدعون إلى مسخ اللغة في بنيتها، وقواعدها، وتبويتها، ومصطلحها باسم التهذيب والتطوير والتبسيير - كما سيأتي -.

٥ - وتارة يكتفون بالدعوة إلى دراسة اللهجات والعنایة بآثارها، وحصر مفرداتها وأساليبها، ووضع القواعد لها.

١- الاتجاهات الوطنية ٣٦٨-٣٦٩.

٢- انظر الاتجاهات الوطنية ٣٦٩/٣ ومقالات في اللغة والأدب ص ٩٤-٩٦.

فإذا سئلوا عن هدفهم من هذه الدراسات قالوا: الأوربيون يفعلون ذلك.

فإذا قيل لهم: ما النفع الذي يُرجى من وراء هذه الدراسة؟

قالوا: إنها دراسة العلم للعلم، إنها لذة المعرفة المجردة من كل غرض.

هذا ما يقولونه، وهذا ما يروج على بعض الناس.

ثالثاً: حجج الداعين إلى العامية: يقول د. محمد محمد حسين رحمه الله:

«حجج أعداء اللغة العربية في كل حال لا تتجاوز الكلام عن صعوبة تعلم اللغة العربية من ناحية، والقول بعجزها عن تأدية أغراضها الأدبية من ناحية أخرى.

وربما أضيف إلى هذين السببين سبب ثالث أكثر دعاً الفرعونية من الكلام عنه في صدر هذه الفترة التي نورخها، وهو تصدير اللغة.

فاللغة الفصحي -على حد تعبير أحدهم- «تبعثر وطنينا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية، فالمتعمق في اللغة الفصحي يُشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد، بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر». وقد ظل كثير من أعداء العربية هؤلاء -والإنجليز منهم خاصة- يحلمون بتأييد أصحاب السلطان أو بتأييد الصحف، ويررون أن ذلك هو أقرب الطرق لتنفيذ مؤامرتهم الهدامة.

وكانوا يجيرون على اعتراض المعارضين بضياع التراث القديم بالتقليل من قيمة هذا التراث تارة، وبإمكان ترجمة الصالح منه إلى العامية الجديدة تارة أخرى.

بينما يردون على اعتراض المسلمين بأن علماء الدين مكلفوون بدرس كتبه

وتفسيرها.

وهذا هو الجزء الأكبر من عملهم إن لم يكن كله، وللمسلمين أسوة بالنصارى من اللاتين والأرواح، فإن اللاتين يقرؤون إنجيلهم باللغة اللاتينية والأرواح باليونانية، أو المسلمين من الفرس والأتراك؛ فإنهم يقرؤون القرآن بالعربية.

وأما كتب الفقه فقد صار العدول عنها إلى النظام، ولا مانع من كتابة النظام بلغة العامة ليفهمه الخاصة وال العامة.

وربما زعموا أن دراسة القرآن ونحوه وصرفه وأسلوبه هي دراسة عالية لطبقة خاصة، وأن الأدب العربي القديم من شأن خاصة المتأدبين لا عامتهم. وهذه الخاصة تستطيع أن تدرسه كما يدرس طلاب الأدب في الجامعات الراقية أدبي اليونان واللاتين.

وحاول بعض أعداء العربية أن يدعموا مزاعمهم ويؤثروا على قرائهم بالأسماء الرنانة، وباسم الوطنية والشعبية»^(١).

١- الاتجاهات الوطنية ٣٧٠/٣٧٢.

المبحث الثالث:

الدعوة إلى تيسير النحو

وهذه الدعوة قريبة من الدعوة إلى العامية، والحديث عنها سيتناول الجوانب

التالية:

أولاً: أسماء هذه الدعوة: هناك أسماء تعرف بها هذه الدعوة، ومنها:

١ - الدعوة إلى تيسير النحو - كما مر -.

٢ - إصلاح العربية.

٣ - إحياء النحو.

٤ - تبسيط قواعد النحو والصرف.

ثانياً: سبب ظهور هذه الدعوة: هذه الدعوة ظهرت عندما تبين لدعوة العامية، وأعداء العربية أن الهجوم المباشر على العربية يثير الناس، ولا يجد له رواجاً؛ فعمد أولئك إلى طريق أخرى غير مباشرة، ومنها هذه الدعوة.

ومن هؤلاء المنادين بتلك الدعوى من كانت مقاصده حسنة؛ حيث يرى أن التيسير قد يعين على فهم النحو والصرف وغيرهما من علوم اللغة كالبلاغة.

ولكن هناك من كانت لهم أغراض أخرى، ألا وهي مهاجمة العربية عن هذه الطريق غير المباشرة.

ثالثاً: أول من نادى بهذه الفكرة: ربما يكون أول من نادى بها ابن مضياء القرطبي ت ٥٩٢ هـ وذلك عندما ألف كتابه المشهور (الرد على النحاة).

وهو كتاب صغير جداً، وخلاصته أنه دعا إلى إلغاء بعض القواعد والقضايا

النحوية، وأودعه جملة من آرائه المناهضة لنحاة العربية، وبخاصة نحاة البصرة، حاولًا أن يرد بعض أصول النحو، وتخلصه من العلل، وكثرة الفروع والتأويل، مقتفيًا أثر أمير الظاهرية (يعقوب بن يوسف) فأخذ يطبق ظاهريته على النحو^(١).

ومن أول هذه القضايا قضية العامل، أي العامل المعنوي أو اللغطي؛ فطالب ابن مضاء بعدم الاهتمام بالعامل، وحمل عليه، وطالب النحاة أن يتخلصوا منه، ويلغوه، ونفى العلل والقياس في النحو كما رفضها في الفقه.

فهو يرى أن نظرية العامل هي التي عقدت النحو بما أوجدت فيه من إفراط في التقديرات التي لافائدة من ورائها.

أما العلل فقد قبل بعضها، ورفض بعضها الآخر، وهي عنده نوعان؛ الأول: أطلق عليه (العمل الأول) والثاني: أطلق عليه (العمل الثنائي والثالث).

فالعمل الأول: هي التي ترشدنا إلى معرفة كلام العرب بالنظر لا بالذهن بمعنى أنها هي القوانين المستتبطة من كلام العرب، والأنظمة التي بها يصح نطق الكلام.

وأما العمل الثنائي: فهي المستغنی عنها، والتي يجب أن تسقط في نظره. يقول: «وما يجب إسقاطه من النحو العلل الثنائي والثالث، وذلك مثل سؤالك عن (زيد) من قولنا (قام زيد) لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به

١- انظر مقدمة الرد على النحاة د. شوقي ضيف ص ١٧-١٨ ، وظاهرة قياس الحمل ص ١٣٠-١٣٩.

العرب»^(١).

وبهذا يكون ابن مضاء أول من نادى بتسهيل النحو، لكن مقاصده لم تكن كمقاصد الذين يطعنون في اللغة، ويريدون إقصاءها.

رابعاً: دعاوى المنادين إلى تيسير النحو: يثير المنادون بتسهيل النحو دعاوى عديدة، منها ما هو مقبول، ومنها مردود، ومنهم -كما هر- من دعاه إلى ذلك حسن النية، ومنهم من قاده إلى ذلك فساد الطوية.

وفيما يلي نبذة موجزة لتلك الدعاوى:

١- الدعوة إلى تغيير الأساليب والكتب: بحيث تؤلف كتب جديدة ملائمة، وتنتقى الأمثلة والموضوعات، وتستخرج القاعدة من الأمثلة.

٢- الاستغناء عن التقدير والتأويل: وهذا ما يسمى بالنحو الوصفي، أي وصف الظاهرة الموجودة، مثل يضرب، ويسعى، الأول مرفوع بضممة ظاهرة، والثاني مرفوع بضممة مقدرة.

وهو لاء الذين ينادون بتسهيل يقولون: إن تقدير الحركات لا بد أن يكون للمراحل المتقدمة، أما المراحل المتوسطة - مثلاً - فلا يقال لهم ذلك؛ لأن ذهن الطالب قاصر عن معرفة التقدير.

٣- الدعوة إلى حذف أبواب الاستغال والتنازع: فيرون أنه لا بد من حذفها في جميع المراحل ما عدا الكلمات.

٤- أن يكون لكل حركة لقب واحد في الإعراب، وفي البناء، وأن يكتفى

١- انظر الرد على النحاة لابن مضاء ص ١٣٠، وانظر ظاهرة قياس الحمل ص ١٣٢.

بألقاب البناء.

٥- إلغاء الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً: فمثل قول: (زيد قام) الفعل هو المحمول، ولا ضمير فيه، وليس بجملة كما يعده النحاة، وهو كمثل (قام زيد). هذه بعض المطالب التي ينادي بها، وقد بسطت في الكتب التي تناولت ذلك، وتناولها بعض العلماء بالرد والنقض.

ومن هؤلاء الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها)؛ حيث تولى الرد على تلك الدعاوى^(١). وسيأتي مزيد بيان شيء من ذلك عند الحديث عن الرد على تلك الدعاوى.

١- انظر دراسات في العربية وتاريخها ص ٢٣٩-٢٥٨.

المبحث الرابع:

الدعوة إلى تيسير الخط العربي

هذه الدعوة ظهرت في مطلع القرن العشرين الميلادي، ووُجِدَت في كتاب القاضي الإنجليزي ولمور عن اللغة المصرية الذي اقترح فيه إلى جانب الأخذ بالعامية كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية، وقد مرت الإشارة إليه.

وقد لقي هذا الاقتراح اعتراضاً، وهاجم الناس صاحبه هجوماً شديداً، كما هاجموا من قبل اقتراحاً سابقاً مزدوجاً يتناول اللغة والكتابة لـ: لطفي السيد.

وسكتت الفتنة حتى جاء مصطفى كمال أتاتورك، فحمل الناس على ما حملهم عليه من الأضاليل، وكان من جملة ما سامهم من الأباطيل استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، فتجدد كلام الناس في إصلاح الخط، وخاضت الصحف فيه.

ومن خاض في ذلك الأب أنسستان الكرملي، وعبد العزيز فهمي باشا. وهذه الدعوة كغيرها؛ حيث تبدأ ببدايات طيبة، ثم تتسع بعد ذلك وتدخل في متأهلات لا قبل للداعين إليها بها^(١).

والذين نادوا بذلك يزعمون أن من أكبر الصعوبات في العربية صعوبة كتابتها؛ وذلك لأسباب عديدة منها تشابه الحروف كالدال، والذال، والراء، والزاي. ومنها نقط الحروف الذي قد يتسبب -كما يزعمون- في التصحيف، والغلط.

١- انظر الاتجاهات الوطنية ٣٧٦/٢، ٣٨٢-٣٧٦، وفقه اللغة د. إميل يعقوب ص ٣١-٣٥٣.

ومنها الضبط والحركات لبني الكلمات، إلى غير ذلك من الأسباب التي عللوا بها صحة دعواهم.

ولقد وصل ذلك إلى المجمع الذي كان من أهدافه تيسير العربية.

وبعد خوض طويل ظهرت عند الداعين إلى ذلك فكرة إهمال الحروف العربية، وإحلال الحروف اللاتينية محلها.

وكان عبد العزيز فهمي أكثر المتحمسين لهذه الفكرة، وتقىد للمجمع باقتراح ظل سنوات يناقش هذا الاقتراح، وانتهى إلى اطراح ذلك الاقتراح. ومن هؤلاء علي الجارم؛ حيث تقدم باقتراح، كما أن المجمع أعلن مسابقة لهذا الغرض عام ١٩٤٤م وأعطى جائزة مقدارها ألف جنيه لمن يقتنع بالمجمع باقتراحه، فانهالت بعد ذلك الاقتراحات.

وأخيراً سلماً بأنه ليس بالإمكان أحسن مما كان، وأن أي تغيير في الحروف سيترتب عليه إشكالات كبيرة سيرد ذكر شيء منها عند الحديث عن الرد على دعاوى العامية، وتيسير النحو والخط في الفقرة التالية^(١).

١ - من هؤلاء د. علي عبد الواحد وافي؛ حيث كان متھمساً لفكرة تيسير الخط، وقد ساق عدداً من الاقتراحات في كتابه فقه اللغة ١٩٥٤-٢٠٤، إلا أنه في آخر أمره تراجع عن ذلك؛ حيث قال في هامش إحدى أخرىات طبع كتابه الأنف الذكر ص ٢٠٤ مانصه: «كان هذا موقف في الأربعينيات، ولكنني الآن (ديسمبر ١٩٧٤م) لعدة اعتبارات من أهمها ما يوجد بين هذه الطريقة والطريقة الحالية من خلاف غير تيسير - أصبحت من يؤثرون إبقاء الرسم العربي على حاله مع الاكتفاء بشكل جميع الكلمات للمبتدئين، والاقتصار على شكل الكلمات التي تشير للبس لغير المبتدئين».

ولقد تصدى لتلك الدعاوى جمع كبير من العلماء منهم محمود شاكر رحمه الله^(١). المستشرقين من تصدى لتلك الدعاوى، وبين عوارها، كالمستشرق الإيطالي نلينو.

-
- ١- انظر الرسالة، السنة الثانية عشرة، عدد ٥٦٢ إبريل ١٩٤٤ م ص ٣٠٨-٣١٠، وانظر جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر جمعها وقرأها وقدم لها د.عادل سليمان ٢٥٨/١ ٢٦٤ في مقال عنوانه (الحرف اللاتيني والعربية) وهو رد على مقال لعبد العزيز فهمي.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

المبحث الخامس:

الرد على دعاوى العامية، وتسير النحو، والخط العربي

لقد أبطل المدافعون عن العربية كل مزاعم خصومها، بالرغم من أن كثيراً منها لا يحتاج إلى إبطال؛ لأن فساده يغني عن إفساده، وتصوره كافٍ في الرد عليه.

ومن تلك الردود التي تبطل جميع المزاعم ما يلي :

١- أن المسلمين لا يمكن أن يتخلوا عن العربية، أو يستغنوا عنها: لأنها لغة دينهم، وعباداتهم، من صلاة وحج، وذكر، ودعاء، ونحو ذلك.

وبها يتمكنون من قراءة القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، وفهم كلام العلماء الذين فسروا القرآن، وشرحوا الحديث.

فالتخلي عن اللغة إيدان بالتخلي عن الدين.

٢- أن اللغة العربية سهلة ميسورة: لا كما يظنه أولئك؛ فهي ليست غريبة حتى على أفهم العامة بدليل أن خطيب الجمعة يخطب، ويحضر خطبته الفئام من العامة، بل من لا يقرؤون ولا يكتبون.

ومع ذلك فهم يُسيغون كلامه، ويفهمون ما يقول.

وكذلك العالم والمفتى يتكلم أمام الناس خاصهم وعامهم سواء كام كلامه مباشراً، أو عبر وسائل الإعلام؛ فيوصيهم، ويجيب عن أسئلتهم مهما كانت وتعتقد، كل ذلك بلغة عربية فصحى.

ومع ذلك يفهمون كلامه على اختلاف طبقاتهم وبلدانهم.

بخلاف ما إذا تكلم بالعامية؛ فإن معظمهم لا يفهم ما يقول، وهذا شيء مشاهد، ولا ينكره إلا مكابر.

فالمحاطبون بالعربية يفهمون عمن تكلم إلا إذا أراد التقرر، واستجلاب الغريب.

٣- أن الدعوة إلى العامية تزيد في الإشكال والتعقيد: لأن العاميات كثيرة متعددة؛ فأي عامية يدعى إليها، وهي المصرية؟ أم العراقية؟ أم الشامية؟ أم المغربية؟ أم الحجازية؟ أم عامية الجزيرة؟ أم غيرها من العاميات؟ بل إن البلد الواحد قد يوجد فيه أكثر من لهجة؛ فأيهما يختار؟ وكم يحتاج الناس من الجهد العظيمة كي تعم تلك اللهجة؟ وهل يضمن لها النجاح؟ وهل أفلحت تلك الدعوات إلى بعض العاميات؟

لعل الجواب واضح.

٤- أن هذه الدعوة سبب لتفريق المسلمين، وتشتيت شمل الناطقين بالعربية: فهم في وقت أحوج ما يكون إلى جمع الكلمة، وتوحيد الصف. ولا ريب أن اللغة الواحدة من أعظم ما يعين على ذلك؛ فهل يكون العلاج بأن يزادوا وهم على وهن بتفريقهم بالعاميات؟

فكل دعوى تنادي بالعامية إنما هي ذريعة لزيادة الفرقة، وتفريق الشمل.

٥- أن الضعف في اللغة ليس سببه اللغة: بل سببه الكسل، والإهمال في تعلمها؛ فمن كانت هذه حالة التمس المعاذير؛ ليسو غ ضعفه وجنه.

٦- أن الواقع الملموس يكذب دعاوى الهدامين: والتاريخ أصدق من كل ما

يكتبون.

فقد استطاعت العربية البدوية أن تساير الحضارة في بغداد، ولم تنهزم أمام الفارسية أو اليونانية أو التركية، استطاعت أن تسايرها في الأندلس بعد أن فرضت نفسها على البيئة الجديدة، واستطاعت أن تساير ألواناً من الحضارات في خلال ثلاثة عشر قرناً أو أكثر في بيئة متباعدة أشد التباين، وصمدت أمام الغارات المدمرة خلال الاحتلال الأجنبي الطويل.

٧- أن قواعد النحو التي يزعمون أنها معقدة استطاعت أن تعيش أكثر من ألف سنة: فهي الوسيلة التي صانت اللغة، وقربت بين اللهجات، وستظل كذلك.

وهي التي أنتج الناس خلالها في مختلف الأمصار العربية وغير العربية ثروة من الكتب العربية التي لا تحصى ولا يزال لها أبلغ الإثر في الإنسانية جموعاً.

٨- خيرية الجيل الذي نشأ على توقير اللغة: فالجيل السابق الذي نشأ على توقير اللغة وقواعدها خير من هذا الجيل الذي لا يزال يتقلب بين مشاريع للتبسيط والتيسير التي قد تحتاج إلى ألف عام لكي تثبت أنها لا تقل عن القواعد التي يقترح الاستغناء عنها، فضلاً عن أن تفضلها، أو ترجح عليها.

ثم ليسأل العقلاً أنفسهم من بعد: كيف صحت ألسنة المعاصرين الذين يكتبون دعواهم الفاسدة نفسها بالعربية الفصحى؟

ولو طلب إليهم أن يصوغوها بالعامية ما استطاعوا؛ لأنها غير مؤهلة للتعبير الدقيق، والأسلوب الحكيم المقصوق الذي يقرؤه أقل الناس حظاً من الثقافة في

الصحف ، فلا يغيب عنه منها شيء.

٩- أن الدعوة إلى العامية مدعوة لنصف التراث : فالتراث إنما كتب بالعربية ، وتلك الدعوة من أعظم معاول الهدم لذلك التراث العظيم الهائل.

١٠- أن الدعوة إلى التقريب بين لهجات العربية باطلة : لأن الدراسات العلمية لا سلطان لها على ألسن عامة الناس ؛ لأن الخلاف فيه ظاهرة طبيعية ما دام في حدوده المعتدلة المألوفة التي تميز الأفراد والبلاد والشعوب بعضها من بعض.

وقد دامت هذه الظاهرة قروناً طوالاً ولم يهدد ذلك سلامة اللغة ؛ فمنذ القرون الأولى كان الناس يميزون بين لهجة العراق ، وأهل الشام ، وأهل مصر ، وأهل المغرب ، وأهل الbadia .

ولكنهم كانوا - وما يزالون - يتباهمون بالفصحي.

١١- أن كثيراً من دعاة العامية ويسير النحو والخط إنما ينادون بمحاكاة اللغات الأخرى للأورية : يقول د. محمد محمد حسين رحمه الله : «يُزعمون أن قواعدها صعبة معقدة ، وفي اللغات الأورية الحية ما هو أشد منها صعوبة وتعقيداً كالألمانية.

ويقولون إن الشاذ فيها من غير القياسي كثير ، والشذوذ في صيغ الأفعال وفي صيغ الجمع والتأنيث وفي المصادر يلاء اللغات الأورية كلها ، والشواهد عليه لا تخصى.

وقالوا: إن الكتابة فيها غير ميسرة مع أن مطابقة الصوت المسموع للصورة

الم vrouءة هي في العربية أوضح منها في الإنجليزية وفي الفرنسية اللتين يتقنهما معظم المتدمرن وصانعي الفتن من الهدامين.

فالفرنسي يُسقط من النطق أربعة حروف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان والإنجليزي يفعل في مثل حرف (H) و (O) في (Honour) وحرف (Gh) في (Right) وفي (through).

وهو بعد ذلك يكتب الصوت الواحد في ست صور أحياناً مثل الياء التي تصور الكسرة الطويلة في مثل (كبير).

إن هذا الصوت يكتب في الإنجليزية على ست صور متعددة لا يميز إحداها عن الأخرى منطقاً أو قواعد، وهي : (y - e, e - e, ie, ei, ea, ee)، بينما هو لا يكتب في العربية إلا ياءً.

وحرف (ك) لا يكتب في العربية إلا كافاً، وهو يكتب في الإنجليزية على صور عدّة هي (ch, q, ck, k, c).

وحرف (ف) لا يكتب في العربية إلا فاءً، وهو يكتب في الإنجليزية (f, gh).

وقس على ذلك ما لا سبيل إلى إحصائه من الأمثلة العديدة في مختلف الأصوات.

ثم إن لكل صوت في العربية حرفًا واحدًا يصوّره، وبعض الأصوات اللغوية لا يصوّرها إلا حرفان في الإنجليزية، مثل حرف (ش) العربي، الذي يقابله في الإنجليزية (sh)، وحرف (ذ) الذي يقابله حرقاً (th).

وميزة ثالثة للكتابة العربية، هي أن الحرف لا يقرأ إلا على صورة صوتية

الباب الرابع: مشكلات تواجهه العربية

واحدة، وليس كذلك الحرف الإنجليزي. فحرف (c) ينطق (س) حيناً، وينطق (ك) حيناً آخر.

و (th) ينطق (ذ) حيناً، وينطق (ث) حيناً آخر. و (g) ينطق جيماً قاهرية تميل نحو الكاف، وينطق جيماً مُعَطِّشة حيناً آخر»^(١).

إلى أن قال ﷺ : «أيقال بعد ذلك كله : إن العربية معقدة نحواً أو كتابةً، والذين يشكون من صعوبتها، أو يتشاركون يتقنون ما هو أكثر منها تعقيداً ولا يخطئون فيه؟ بل إن منهم من يتقن لغتين أو ثلاث لغات أجنبية معقدة في بعض الأحيان يقيمونها وينجذلون أن يخطئوا فيها حين لا يقيمون لغتهم، ولا ينجذلون أن يخطئوا فيها، بل ربما فاخروا به وقالوا ساخرين : (نحن لا نتكلّم لغة سيبويه).

ولعل كثيراً منهم لا يعلمون أن (سيبويه) كان فارسي الأصل !.

ويقولون : إن اللغات الأوربية قد تطورت ، فيجب أن تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم.

وهناك فرق بين (التطور) و(التطوير) تطور اللغة بأن تفرض عليها قوانين قاهرة هذا التطور.

أما التطوير فهو سعي مفتعل إلى التطور ، هو إرادة إحداث هذا التطور دون أن تكون له مبررات تستدعيه.

والتطور لا يُسعى إليه ، ولا يُصطنع ولكنه يَفْرِضُ نفسه؛ فلا بُعد بدأ من الخضوع له.

وأي نعمة وأي مزية في تطور اللغات الأوربية حتى نسعى إلى افتعال نظيره في لغتنا؟

إن هذا التطور كان نكبةً على أصحابه قطّعهم أبداً بعد أن كانوا أمة واحدة، فما زالوا في خلاف وحروب منذ ذلك الوقت.

ثم إنه لم يحكم على تراثهم القديم المشترك وحده بالموت، بل هو لا يزال يقضي بين الحين والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت، حتى ما يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة (شكسبير) الذي مات في القرن السابع عشر بينما لا يستطيع الإنجليزي المثقف أن يقرأ ما قبل (شكسبير) مثل (تشوسر)، ولا يقدر عليه إلا قلة من المتخصصين. ومثل ذلك الفرنسية والإيطالية وسائر اللغات الأوربية الحديثة.

أما نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثقافة فنقرأ القرآن، ونفهمه إلا قليلاً مما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، ونقرأ رسائل الجاحظ وأغاني الأصفهاني فلا نكاد نحس فارقاً بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين. فلماذا نسعى إلى أن نُفقد أنفسنا هذه المزايا التي لم تفرض علينا فقدانها ضرورةً من الضرورات؟

لماذا نخسد أوريا التي ابتليت بذلك على مصابها، ونصنع صنيع اليهود الذين قالوا النبي لهم حين مرروا بقوم من الكفار عاكفين على أصنام لهم يعبدونها: «اجعل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ»^(١) الأعراف: ١٣٨.

١- الاتجاهات الوطنية ٢/٣٦٧-٣٦٨، وانظر فقه اللغة د. إميل يعقوب ص ١٦٧-١٧٢.

١٢- أن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية: فلو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية؛ لكي تعبّر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف (ج ح خ ش ط ظ ص ض ع غ) ولاحتاجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتحركة والممدودة وبين الحروف المقصورة.

١٣- أن الخط العربي يتميّز بميزة فذة: فهو قريب مما يسمى بالاختزال؛ فليس بحاجة إلى اختزال؛ لأن طبيعته تغنيه عن ذلك.

١٤- أن استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي يستتبع نتائج خطيرة: فما مصير الكنوز العظيمة من كتب العلم، والأدب وغيرها من المخطوطات التي لم تنشر بعد، ما مصيرها وهي مكتوبة بالخط العربي؟

وهل ستفي الحروف اللاتينية بالغرض؟ وكيف سيكتب القرآن الكريم؟

ثم إن ذلك سيؤدي إلى زوال فنون الخط العربي؛ ففي الخط العربي مزية قل أن توجد في خطوط الأمم الأخرى، وهي إمكانية زخرفته على وجوه عدّة.

ولقد استطاع الكاتبون المجددون أن يستخرجوا منه أنماطاً جمالية غاية في الإبداع؛ فما مصير ذلك كله؟

وإذا أراد أعمامي أن يتّعلم العربية فسيواجه حروفًا عربية غريبة عليه، وحروفًا لاتينية معدّلة؛ فكيف سيتعلم - إذا -؟.

أسئلة يغّني تصورها عن الإجابة عنها.

خاتمة البحث وخلاصته

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد :
ففي خاتمة هذا الكتاب ، وبعد التطواف في أبوابه ، وفصوله ، ومباحثه هذا
إنجمال لأهم ما ورد فيه.

- ١- يعرّف فقه اللغة باعتبار مفرديه بأن :
 - أـ الفقه : هو العلم بالشيء ، والفهم له ، والفتنة فيه .
 - بـ. واللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .
وتعرف - أيضاً - بأنها كل لفظ وضع معنى .
 - وتعرف - كذلك - بأنها معنى موضوع في صوت .
- ٢- يعرّف فقه اللغة باعتبار تركيبه بأنه : العلم الذي يعني بفقه اللغة ، وإدراك
كنهاها ، ودراسة قضايتها ، وموضوعاتها .
- ٣- هناك مصطلح مرادف لمصطلح فقه اللغة ألا وهو : علم اللغة .
- ٤- لدراسة فقه اللغة أهداف ، وثمرات ، وغايات منها :
أنه باب عظيم من أبواب العلم .
ومنها : الوقوف على شيء من بديع صنع الله ، والتمكن من النطق السليم ،
والاعتزاز باللغة ، وسد الحاجة ، ومواكبة التطور .
- ٥- للبحث اللغوي مناهج مختلفة أشهرها أربعة :
أـ. المنهج الوصفي : وهو بحث ظاهرة لغوية معينة لفترة محددة .

- بـ- المنهج التارخي: وهو الذي يبحث في قضية لغوية من حيث تطورها، وتغيراتها من حيث التاريخ.
- جـ- المنهج المقارن: ويعني المقارنة بين لغتين، أو أكثر من اللغات التي تنتهي إلى مجموعة واحدة.
- دـ- المنهج العام: وهو المنهج الذي يفيد من المناهج السابقة، ويحاول إيجاد قواعد عامة تصدق على أكثر اللغات.
- ٦- لفقة اللغة علاقة بالعلوم الأخرى؛ فله علاقة بالعلوم الشرعية عموماً، وله علاقة بعلم الطب، وعلم النفس، والتاريخ، والجغرافيا.
- ٧- يرجع اهتمام الإنسان باللغة إلى عصور سحرية؛ فقد نُقل عن كثير من الأمم والشعوب عنایتهم باللغة، واحتغالهم بقضاياها، وظواهرها.
- ٨- لم يؤثر عن العرب قبل الإسلام إلا عنایتهم بالشعر، والخطابة، وإنما بدأ اهتمامهم باللغة وعلومها بعد ظهور الإسلام.
- ٩- يكاد يكون القرن الثاني الهجري بداية النشاط العلمي الفعلي لجمع اللغة والتأليف فيها.
- ١٠- ألفت في القرن الثاني مؤلفات عظيمة، وأعظمها كتاب (العين) للخليل ابن أحمد، وكتاب سيبويه.
- ١١- يعد القرن الرابع الهجري عصر ازدهار العلوم.
- ١٢- كانت البداية الحقيقة لفقة اللغة، وظهوره كعلم مستقل على يد عالمين من علماء اللغة الكبار في القرن الرابع وهما أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ خصوصاً

في كتابه (الصاحببي).

وآخر أبو الفتح عثمان بن جني خصوصاً في كتابه (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب).

١٣- هناك مؤلفات كثيرة في فقه اللغة في القديم والحديث.

١٤- شغلت قضية نشأة اللغة الإنسانية المفكرين على من العصور، وتصدى للبحث عنها كثير من العلماء، والفلسفه، والمتكلمين، واللغويين، ولم يجمعوا على قول واحد، بل ذهبوا في البحث مذاهب شتى، وتوصلوا إلى نظريات عديدة أشهرها أربع هي :

أ- نظرية التوفيق والإلهام.

ب- نظرية التواضع والاصطلاح.

ج- نظرية التقليد والمحاكاة.

د- نظرية الغريرة الكلامية.

وليس في أدلة أي من تلك النظريات ما تطمئن إليه النفوس، ويحل منها محل القطع، أو الظن القريب منه.

وقد حاول بعض العلماء التوفيق بين هذه النظريات جمياً.

١٥- كان لاكتشاف اللغة السنسكريتية الهندية القديمة في أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في تطور الدراسات اللغوية، وبيان فصائل اللغات، وتقسيمها.

١٦- ورد في البحث دراسة للهجات العربية، والمنطق العربي.

١٧- نهض الإسلام بالعربية أيما نهوض؛ حيث ارتفعت اللغة في صدر الإسلام

إلى طورها الأعلى؛ بسبب ما جاء به القرآن الحكيم من صور النظم البديع، وما تفجر في أقوال النبي ﷺ من ينابيع الفصاحة، وما أفضله الإسلام على العقول من الأفكار، ومطارحة الأراء.

١٨- من مظاهر نهوض الإسلام بالعربية: سمو الأغراض، وتهذيب الألفاظ، واكتساب كثير من الألفاظ دلالة خاصة، وظهور كثير من الألفاظ الإدارية والسياسية، وتهيؤ اللغة العربية لاستيعاب كافة العلوم، ودخول كثير من المصطلحات العلمية.

١٩- اللغة العربية فضل وامتياز عن غيرها من اللغات، وذلك من جهات عديدة: من جهة اعتدال كلماتها، وفصاحة مفرداتها، وتعدد أساليبها، وطرق اختصارها، وارتقاؤها مع المدنية، وأنها أقرب لغات الدنيا إلى قواعد المنطق.

٢٠- لنظام العربية اللغوي أسرار لطيفة بدعة تشبه النظام النفسي من حيث تعلقه بالحكمة التي تضبط عواطف النفس وخطراتها.

٢١- المُعَرَّب أحد الموضوعات التي تبحث في فقه اللغة:

أ- وهو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها، أو هو ما تفوحت به العرب على غير منهاجها.

ب- يُعرَف بعدة أسماء تدل عليه، منها: التعرير، الدخيل، المولد.

ج- اختلف العلماء في وقوع المُعَرَّب في القرآن الكريم على ثلاثة أقوال:
القول الأول: قول القائلين بالمنع.

القول الثاني: قول القائلين بوقوعه.

القول الثالث : التوفيق بين الرأيين ، والجمع بين القولين.

د- أَلْفُ في المَعْرُب كتب أشهرها : (المَعْرُب) للجواليقي.

هـ تُعرَف عجمة الاسم بعلاماتٍ ذُكِرَ عدد منها في البحث.

وـ هناك دوافع للتعرّيب ، منها: الحاجة ، أو الضرورة ، ومنها الإلغاز ، والإغراب ، والإعجاب ، وخفة اللفظ الأعجمي .

زـ للعرب طريقة للتعامل مع الألفاظ الأعجمية ، وقد بين ذلك العلماء الذين تكلموا على العرب .

حـ بحث المحدثون موضوع التعرّيب ، منهم من منعه ، ومنهم من أجازه .

طـ للتعرّيب حسناً ولكن يقف دونها عقبات ، منها: تشتت الجهد ، وفقدان التطبيق ، والتأخر في تعريف المصطلحات ، ونقل المصطلحات الجديدة دون تحري الدقة .

٢٦ـ المشترك من موضوعات فقه اللغة :

أـ يُعرَف المشترك بتعريفات عديدة أخصرها : أنه ما تحد لفظه ، واختلف معناه .

بـ اختلف الناس في المشترك ؛ فأبيته قوم ، ونفاه آخرون .

جـ من أشهر أمثلة المشترك لفظ (العين) حيث تطلق على معاني كثيرة جداً ، فتطلق على النقد ، وعين الماء ، وعين الشمس ، وتطلق على الجاسوس ، والباصرة .

دـ ورد في البحث بيان العلاقة بين المشترك والمتواطئ .

هـ وخلاصة ذلك أن المشترك: ما اتحد لفظه، وختلف معناه - كما مر -
والمتوافق: ما تحد لفظه، ومعناه.

٢٣- المتضاد من موضوعات فقه اللغة، ويقال له - أيضاً - الأضداد:
أـ يعرف المتضاد بأنه: دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين، ويعرف
ـ أيضاً - بـ: أنه الكلمات التي تؤدي إلى معنيين بلفظ واحد.
مثاله: (الجون) يطلق على الأبيض والأسود.
بـ- المتضاد نوع من المشترك؛ فالمشترك أعم من المتضاد، فكل متضاد مشترك،
ولا عكس.

جـ- يفهم المراد من اللفظ إذا كان متضاداً من خلال السياق.
دـ- اختلف العلماء في وقوع المتضاد فمنهم من قال: بوقوعه، ومنهم من
أنكروه، ومنهم من قال بوجوده، وعدوا ذلك منقصة للعرب، ومنهم من قال
بوقوعه، وأنكروا على من تعسف في إنكاره، وعلى من بالغ في إثباته.
هـ- ألف في الأضداد كتب أشهرها كتاب (الأضداد) لابن الأنباري.

٢٤- المترادف من موضوعات فقه اللغة، ويسمى الترادف، والمرادف
ـ أيضاً -:

أـ- تعريفه: المترادف: ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة، أو هو ما اتحد
معناه، وخالف لفظه، مثل: السيف، والباقر، والمهند، وغيرها.
فكلها ألفاظ تدل على مسمى واحد.

بـ- وقع الاختلاف في الترادف

ج- لوقع المترادف عند القائلين به فوائد عديدة قد ذكر شيء منها في البحث.
 د- ألف في المترادف كتب عديدة، منها: (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألف) للفيروزأبادي.

٤٥- الاشتقاد أحد موضوعات فقه اللغة:

أ- تعريفه: عرف بتعريفات عديدة منها: أنه عملية استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من صيغة أخرى مثل: ضارب، مضروب من ضرب.
 ب- ورد في البحث أقوال العلماء في وقوع الاشتقاد، وبيان التغييرات بين الأصل المشتق منه، والفرع المشتق.
 ج- أفرد الاشتقاد بالتأليف جماعة من المتقدمين للأصمسي، وقطرب، والتأخرين كعبد الله أمين.

د- هناك تقييمات للاشتقاق وهي:

الاشتقاق الصريفي أو الصغير، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الكبار.

٤٦- القياس أحد موضوعات فقه اللغة:

أ- تعريفه: قيل: هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه.
 وقيل: هو رد الشيء إلى نظيره، واكتشاف المجهول من المعلوم.
 ب- أركان القياس: المقيس عليه: وهو الأصل المعلوم.
 والمقيس: وهو المجهول.
 والشبه: وهو العلاقة، أو العلة الجامعة.
 والحكم: وهو ما يرى على المقيس مما هو في المقيس عليه.

ج- ورد في البحث بيان لأنواع القياس، وأراء العلماء فيه، وطريقتهم في استنباط قواعد القياس، وأسباب اختلافهم فيه.

د- ورد في البحث - أيضاً - تقسيم اللغة من حيث القياس الاستعمالي، والكتب المؤلفة في القياس، وال الحاجة إلى القياس في اللغة. كما ورد فيه القياس عند المحدثين.

٢٧- الإبدال أحد موضوعات فقه اللغة:

- أ- تعريفه: الإبدال في الأصل: جعل الشيء مكان شيء آخر.
- الإبدال الصرفي: هو جعل حرف مكان حرف آخر.
- الإبدال اللغوي: عند المتسعين: هو وضع حرف مكان حرف في الكلمة مع الاتفاق بين الكلمتين في المعنى، أو تقاربهما.
- وعند غير المتسعين: هو إبدال حرف مكان حرف مع تقاربهما في المخرج، واتحاد الكلمتين في المعنى والمكان، وألا يتصرف أحدهما تصرفًا كاملاً.
- ب- هناك فروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي.
- ج- هناك كتب مؤلفة في الإبدال أشهرها كتاب (القلب والإبدال) لابن السكّيت.
- وأما الكتب التي تكلمت عنه ضمناً فأشهرها كتاب (صناعة الإعراب) لابن جنبي.

د- هناك أسباب لحدوث الإبدال أشهرها: اختلاف اللهجات العربية، والتقارب الصوتي، والتحريف، والتصحيف.

هـ هناك أمور يُتوصل من خلالها إلى معرفة الأصل من الكلمتين اللتين أبدلت إحداهما من الأخرى، وأشهرها: كثرة الاستعمال، وكثرة التصرف، وأن ينص أحد من العلماء على الأصل.

وـ هناك آثار للتوسيع في الإبدال تج عنها عرض بعض المسائل التي يتبع من خلالها العلاقة بين الإبدال وغيره من موضوعات فقه اللغة كالترادف، والاشتقاق، وغيرها.

٤٨- القلب المكاني أحد موضوعات فقه اللغة:

أـ تعريفه: القلب في اللغة: هو تحويل الشيء عن وجهه.

- في الاصطلاح: تقديم وتأخير في بعض حروف اللفظة الواحدة، فتنطبق على صورتين بمعنى واحد، مثاله: جذب، وجذب.

بـ اختلف العلماء في القلب فمنهم من يراه ويوسعه، ومنهم من يضيقه، ومنهم من أنكره.

٤٩- المشجر أحد موضوعات فقه اللغة:

أـ تعريفه: المشجر في اللغة: ما دل على تداخل الشيء بعضه في بعض.

- في الاصطلاح: أن يؤتى بالكلمة المشتركة كالعين - مثلاً - فتعد شجرة يفرع من معانيها المختلفة فروع، فيسترسل في تفسير الكلام على الوجه المشترك حتى تبلغ الشجرة مائة كلمة أو أكثر.

بـ أول من وضع كتاباً في ذلك أبو عمر المطرز سماه (المدخل في اللغة) وكذلك أبو الطيب اللغوي فعل كتاباً سماه (شجر الدر) ثم جاء أبو طاهر محمد

بن يوسف التميمي فوضع كتابه الذي سماه (المسلسل).

ج- سبب التسمية: سمي المشجر بذلك لاشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخلها.

د- مثال للمشجر: العين عين الوجه، والوجهقصد، والقصد الكسر، وهكذا...

٣٠- الإتباع أحد موضوعات فقه اللغة:

أ- تعريفه: الاتباع في اللغة: هو السير في الأثر.

- في الاصطلاح: هو أن تُتبع الكلمة على وزنها، أو رويها إشباعاً أو تأكيداً.

مثال ذلك: قولهم: ساغب لاغب، خراب يباب.

ب- ورد في البحث ذكر لفرق بين الإتباع والمتراصف، وأمثلة أخرى للإتباع.

٣١- النحت أحد موضوعات فقه اللغة:

أ- تعريفه: النحت في اللغة: هو مصدر الفعل نحت ينحت نحتاً، أي شقّه وبراه، وهذبه.

- وفي الاصطلاح: هو أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، مثل عبشي من عبد شمس.

ب- النحت لون من ألوان الاختصار.

ج- النحت كان معروفاً عند القدماء، ولكنهم لم يعنوا به.

د- يعد ابن فارس رائد هذا المضمار.

هـ- أقسام النحت أربعة: النسبي، والفعلي، والوصفي، والاسمي.

و- عني المحدثون بالنحو، وجعلوه لوناً من ألوان الاشتقاء، ومن عوامل تنمية اللغة.

ز- حصل الخلاف بين المحدثين في النحو.

ح- الذي قالوا بوقوعه قيده بشروط منه الضرورة، ومراعاة أساليب العرب، والتناسب الصوتي.

٣٢- المجاز أحد وسائل تنمية اللغة :

تعريفه: المجاز في اللغة: اسم مكان كالمطاف، والمزار.

- في الاصطلاح: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل؛ لعلاقة بين المعنين الحقيقي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

- مثاله: رأيتأسداً يكر بسيفه.

ب- الحقيقة: استعمال اللفظ في ما وضع له في الأصل.

ج- ورد في البحث أمثلة لألفاظ يتبيّن بها الحقيقة من المجاز، وبيان الكيفية التفرقة بين الحقيقة والمجاز، وسبب تسمية المجاز، وأن كل مجاز له حقيقة، وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز، وأن الأصل في الكلام الحقيقة، ولا ينصرف إلى المجاز إلا بقرينة.

د- اختلف العلماء في أصل وقوع المجاز وثبوته في اللغة والقرآن على ثلاثة

أقوال:

أحدها: أن المجاز واقع في اللغة والقرآن.

الثاني: إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن.

الثالث : وقوعه في اللغة دون القرآن.

هـ- ورد في البحث بيان لحجج القائلين بمنعه ووقوعه.

٣٣- المعاجم اللغوية أحد موضوعات فقه اللغة :

أـ- تعريف المعجم في الاصطلاح : هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين ، مشروحة شرحاً يزيل إبهامها ، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث ، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده.

بـ- المدارس المعجمية: المدرسة الأولى: مدرسة التقليبات بنوعيها:
الصوتية ، والأبجدية.

وأول من ابتكرها صاحب أول معجم شامل في العربية وهو الخليل بن أحمد في كتابه (العين) حيث جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة في مكان واحد مراعياً بذلك الناحية الصوتية ، وهو يبدأ بأبعد الحروف مخرجاً.

وهذا تأليفه للحروف :

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن /
ف ب م / و ي / ه م ز .

وقد تبعه على هذه الطريقة علماءً كثيرون أشهرهم: القالي في معجمه (البارع) والأزهري في (التهذيب) ، وابن سيدة في (المحكم).

ومن أخذ بهذه الطريقة ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة) حيث راعى نظام التقليبات الأبجدي ، ولم يتبعه أحد على هذه الطريقة.

المدرسة المعجمية الثانية: مدرسة القافية: وهي التي تجعل الحرف الأخير باباً،

والأول فصلاً على حسب حروف الهجاء.
وأول من وضعها في معجم شامل هو الجوهري في معجمه (الصحاح) وتبعه على هذا النظام كثير من أصحاب المعاجم منهم ابن منظور في (لسان العرب) والفيروزآبادي في (القاموس المحيط).

المدرسة المعجمية الثالثة: المدرسة الأبجدية العادية: وهي التي اتبع فيها أصحابها ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول والثاني والثالث.

وهذه الطريقة أيسر من الطريقتين السابقتين، وأول من وضعها أحمد بن فارس في معجميه (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة).

ج- ورد في البحث دراسة لهذه المدارس المعجمية، ولبعض أصحابها، وكتبهم.

٣٤- واجهت اللغة العربية تحديات كبيرة سواء كان ذلك من قبل أعدائها، أو من قبل بعض المتسبين إليها.

٣٥- ورد في البحث دراسة لظاهرة الإعراب:

أ- الإعراب معلم من معالم العربية، ومفخرة من مفاخرها.

ب- الإعراب في اللغة: الإبانة والإفصاح.

- في الاصطلاح: أثر ظاهر، أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة.

والمراد بالأثر الظاهر: ما يُلفظ به، وبالقدر: ما ينوي من ذلك.

ج- البناء في اصطلاح النحاة: هو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة.

د- يرى علماء العربية، وجميع النحاة إلا من شذ منهم أهمية الإعراب، وأن

لعلماته وألقابه دلالاتٍ معينةً، وأغراضًا معنوية؛ فهي تدل على المعاني المختلفة التي تعثور الأسماء من فاعلية، أو مفعولية، أو غير ذلك.

٣٦- إنكار الإعراب:

أ- إنكار الإعراب ظاهرة غريبة، وقضية تستحق الوقف عندها، وبيان خطرها، وصدق عاديتها.

ب- لم يخالف النحاة في القديم في دلالة الإعراب إلا محمد المستير المعروف بـ: قطرب؛ فهو أول من قال بإنكار الإعراب في القديم؛ فهو يرى أن حركات الإعراب إنما جيء بها للسرعة في الكلام، وللتخلص من التقاء الساكنين.

ج- من المستشرقين من يرى الإعراب، ومنهم من لا يراه.

د- لم ت تعرض اللغة العربية لنقد أحد من أبنائها قديماً وحديثاً كما تعرضت من قبل د. إبراهيم أنيس وذلك في كتابه (أسرار اللغة) وبالذات في الفصل الذي عقده بعنوان (قصة الإعراب).

وكان يريد من ذلك أن يصل إلى أن الإعراب من صنيع النحاة، وليس سليقة، وأن اللغة مصنوعة، وعلامات الإعراب ليس لها دلالة.

٣٧- القول بإنكار الإعراب واضح البطلان، وذلك من وجوه عديدة ورد ذكرها في البحث.

٣٧- من القضايا التي تواجه العربية، الدعوة إلى العامية، وتيسير النحو، والخط العربي:

أ- هذه الدعاوى داخلة تحت المشكلات التي تواجه العربية، وتسعى إلى

إضعاف سلطانها في نفوس أهلها.

بـ. اللغة مرتبطة بالدين والأمة، والأعداء يدركون أهمية اللغة، وأثرها في وحدة الأمة.

جـ- هذه الدعوات تستهدف غايتين: إحداهما: تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة، والأخرى: قطع ما بين المسلمين وبين قدیهم وتراثهم.

د- بدأت تلك الدعوات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وذلك عن طريق بعض المجالات ، وبعض المنصرين والمستشرقين ، وكانت بدايتها في مصر؛ نظرًأً لمكانها العلمية والثقافية.

هذا أهم ما ورد في البحث على سبيل الإجمال، والله المستعان، وعليه التكلالن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

مُخْبَرُوكاتُ الْكِتَابِ

المفهوم

عفا الله عنـه

المقدمة

مدخل

الباب الأول : دراسة عامة لغة وفقه اللغة

الفصل الأول : تعريفات ومقدمات

المبحث الأول : مفهوم مصطلح فقه اللغة

أولاً : تعريف مفهوم اللغة باعتبار مفرديه

ثانياً : تعريف فقه اللغة

ثالثاً : مصطلح علم اللغة

رابعاً : الخلط بين المصطلحين

المبحث الثاني : موضوعات فقه اللغة

المبحث الثالث : أهداف فقه اللغة ، وثراته ، وغاياته

المبحث الرابع : مناهج البحث اللغوي :

١ - النهج الوصفي

٢ - النهج التاريخي

٣ - النهج المقارن

٤ - النهج العام

المبحث الخامس : علاقة فقه اللغة بالعلوم الأخرى

- علاقة فقه اللغة بالعلوم الشرعية عموماً

- علاقة فقه اللغة بعلم الطب

- علاقـة فـقه اللـغـة بـعلم النـفـس -

- عـلاقـة فـقه اللـغـة بـالتـارـيخ وـالـجـغرـافـيـا -

المبحث السادس : اهتمـام الإـنـسـان بـالـلـغـة

٣٥ المـبـحـث السـابـع : جـهـود الـعـلـمـاء فـي التـأـلـيف فـي اللـغـة العـرـبـيـة :

٣٥ - أـبـرـز الـلـغـويـن الـذـين عـنـوا بـجـمـع الـلـغـة

٣٦ - نـوـعـيـة التـأـلـيف فـي ذـلـك الـوقـت

٣٦ - نـمـاذـج مـن ذـلـك التـأـلـيف

٣٧ - أـبـرـز الـمـؤـلـفـات الـلـغـوـيـة فـي الـقـرـن الثـانـي الـهـجـرـي

الفـصل الثـانـي : درـاسـة عـامـة فـي فـقه اللـغـة

٤١ المـبـحـث الأول : بدـاـيـة ظـهـور فـقه اللـغـة كـلـمـ مـسـتـقلـ ، وأـشـهـر الـمـؤـلـفـات

٤٣ فـيـهـ :

٤٤ - كـتـاب الصـاحـبـي لـابـن فـارـس

٤٧ - كـتـاب الـخـصـائـص ، وـسـرـ صـنـاعـة الإـعـرـاب لـابـن جـنـي

٤٨ - كـتـبـ أـخـرى مـؤـلـفـة فـي فـقه اللـغـة

٤٨ - فـقـه اللـغـة وـسـرـ العـرـبـيـة لـأـبـي منـصـور الـثـعـالـبـي

٤٩ - الـمـخـصـص لـابـن سـيـدـة

٤٩ - الـمـعـرـب لـأـبـي منـصـور الـجـوـالـيـقـي

٤٩ - الـمـزـهـر فـي عـلـوم اللـغـة وـأـنـوـاعـها لـلـسـيـوطـي

٥٠ - الـمـؤـلـفـات الـخـدـيـثـة فـي فـقه اللـغـة

المـبـحـث الثـانـي : أـصـل نـشـأـة اللـغـة ، وأـشـهـر النـظـريـات فـي ذـلـك

٥٦ - نـبـذـة موـجـزة عـن النـظـريـات الـأـربعـ

٥٦	النظرية الأولى : نظرية التوقيف والإلهام
٥٩	النظرية الثانية : نظرية التواضع والاصطلاح
٦١	النظرية الثالثة : نظرية المحاكاة والتقليد
٦٢	النظرية الرابعة : نظرية الغريرة الكلامية
٦٣	- هل يمكن التوفيق بين النظريات السابقة؟
٦٧	المبحث الثالث : فصائل اللغات
٦٨	- الغرض من دراسة الفصائل اللغوية
٦٨	- أشهر النظريات في تقسيم اللغات في العالم
٦٨	النظرية الأولى : وهي التي تعتمد على الدراسة الوصفية والتشكيلية للغات
٦٨	- تقسيم اللغات عند صاحب هذه النظرية
٧٠	النظرية الثانية : وهي التي تعتمد على الصلات وروابط القربي ، والعلاقات التاريخية والجغرافية بين الشعوب
٧٠	- أشهر تقسيم للغات سار في هذا الاتجاه
٧٠	- فصائل اللغات في العالم
٧٢	- تقسيمُ العلماء المحدثين
٧٣	المبحث الرابع : اللغات السامية : المراد بها ، نسبتها
٧٣	- اختيار الباحثين الغربيين لهذه التسمية
٧٤	- تنبية : حول أول من تَنَبَّأَ إلى الصلات والروابط بين الشعوب السامية
	المبحث الخامس : بداية البحث التاريخي والمقارن للغات السامية وفائدة ذلك

٧٩	المبحث السادس : الموطن الأول للساميين
٧٩	- أشهر ما قيل في ذلك
٨١	- أرجح الآراء وأدلة القائلين به
٨٣	المبحث السابع : الخصائص المشتركة للغات السامية :
٨٣	- أسباب كثرة الروابط بين اللغات السامية
٨٤	- أهم الخصائص التي تجمع اللغات السامية
٨٦	- أقدم لغة سامية
٨٧	الفصل الثالث: دراسة اللهجات العربية، والمنطق العربي
٨٩	- تمهيد
٩١	المبحث الأول : مسائل في اللهجات
٩١	أولاً : معنى اللهجة
٩١	ثانياً : انقسام اللهجات والعلاقة بينها
٩٢	ثالثاً : أسباب حدوث اللهجات
٩٤	رابعاً : اللهجة الخاصة
٩٤	خامساً : اللغة المشتركة
٩٤	سادساً : لماذا ندرس اللهجات ؟
٩٧	المبحث الثاني : دراسة اللهجات العربية
٩٧	- اختلاف العلماء في نسبة اللهجة إلى القبائل
٩٨	- تقسيم أنواع الاختلاف
٩٨	القسم الأول : لغات منسوبة ملقبة ، أمثلة على ذلك :
٩٨	1 - الكشكشة
١٠٠	2 - الككسسة

- | | |
|-----|-----------------|
| ١٠٠ | ٣ - الشنشنة |
| ١٠٠ | ٤ - التللة |
| ١٠١ | ٥ - الطمطمائية |
| ١٠١ | ٦ - العنعة |
| ١٠١ | ٧ - العجعجة |
| ١٠٢ | ٨ - الوتم |
| ١٠٢ | ٩ - الوكم |
| ١٠٣ | ١٠ - الوهم |
| ١٠٣ | ١١ - الاستنطاء |
| ١٠٣ | ١٢ - القُطْعَة |
| ١٠٣ | ١٣ - اللخلخائية |

القسم الثاني: لغات منسوبة غير مُلقبة تجري في إيدال

١٠٣ الحروف، أمثلة على ذلك:

١- في لغة مازن

٤- في لغة طيء

٣- في لغة طيء - أيضاً.

٤- في لغة طيء على ما رواه ابن السكري

٥- في لغة تميم

٦- في لغة هذيل

٧- في لغة خشум وزيد

٨- في لغة بلحرث

٩- في لغة بلحرث وختعم وكناة

القسم الثالث: من تغيير الحركات في الكلمة الواحدة

١٠٥ حسب اختلاف اللهجات، أمثلة على ذلك

القسم الرابع: وهو لغات غير منسوبة ولا ملقبة، أمثلة

١٠٧ على ذلك:

١٠٧ ١- إيدال أو آخر بعض الكلمات المجرورة ياء

١٠٧ ٢- من العرب من يجعل الكاف جيماً

القسم الخامس: وهو ما يرونـه على أنه لـغـة في

١٠٧ الكلام، أو لـثـغـة من المـتـكـلـمـ، أمثلة على ذلك:

١٠٩ البحث الثالث: صفات الحروف ومخارجها:

١٠٩ أولاً: صفات الحروف:

١١٠ ١- الحرف المهموس

١١٠ ٢- الحرف المجهور

١١٠ ٣- الشديد

١١٠ ٤- الرخو

١١٠ ٥- الحرف الذي هو بين بين

١١١ ٦- الاستعلاء

١١١ ٧- الاستفال

١١١ ٨- الإطباق

١١١ ٩- الانفتاح

١١١ ١٠- التفخيم

١١١ ١١- الترقيق

١١٢ ١٢- التفسي

- ١٢ - التكرير
- ١٣ - الاستطالة
- ١٤ - الغنة
- ١٥ - الذلقة
- ١٦ - المد
- ١٧ - الصفير
- ١٨ - القلقلة
- ١٩ - ثانياً: مخارج الحروف**
- ١ - (أ، و، ي)
- ٢ - (ء، ه)
- ٣ - (ع، ح)
- ٤ - (غ، خ)
- ٥ - (ق)
- ٦ - (ك)
- ٧ - (ج، ش، ي)
- ٨ - (ض)
- ٩ - (ل)
- ١٠ - (ر، ن)
- ١١ - (ط، د، ت)
- ١٢ - (ص، س، ز)
- ١٣ - (ظ، ذ، ث)
- ١٤ - (ف)

١١٤ ١٥ - (ب، م، و)

١١٥ المبحث الرابع: عيوب المنطق العربي:

١١٥ ١- التمتمة

١١٥ ٢- الفأفة

١١٥ ٣- العقلة

١١٥ ٤- الحبسة

١١٥ ٥- اللفف

١١٥ ٦- الرتهة

١١٥ ٧- الغمغمة

١١٥ ٨- الطقطمة

١١٥ ٩- اللكنة

١١٦ ١٠- الغنة

١١٦ ١١- الخنة

١١٦ ١٢- الترخيم

١١٦ ١٣- اللثغة

الفصل الرابع: اللغة العربية: فضلها، أثر الإسلام فيها، عوامل

سيادتها

١١٧ ١١٩ المبحث الأول: لهجة قريش، وعوامل سيادتها:

١١٩ ١١٩ أولاً: سيادة لهجة قريش

١١٩ ١١٩ - كلمة للفارابي وبن فارس

١٢٠ ١٢٠ ثانياً: عوامل سيادة لهجة قريش:

١٢١ ١- المكانة الدينية لموقع قريش

- ١٢١ - العامل الاقتصادي
- ١٢١ - العامل الثقافي
- ١٢٢ - العامل السياسي والجغرافي
- ١٢٢ - أيام العرب
- ١٢٣ - سعة لغة قريش وغزارتها
- ١٢٣ - نزول القرآن بها
- ١٢٥ - المبحث الثاني : نهوض الإسلام بالعربية :
- ١٢٥ - أولاً : تأثير الإسلام في اللغة
- ١٢٦ - ثانياً : الأسباب التي ارتفعت بها اللغة في صدر الإسلام :
- ١٢٦ - ١ - ما جاء به القرآن الحكيم
- ١٢٦ - ٢ - ما تفجر في أقوال النبي ﷺ من ينابيع الفصاحة
- ١٢٦ - ٣ - ما أفاضة الإسلام على العقول
- ١٢٧ - ثالثاً : مظاهر نهوض الإسلام بالعربية :
- ١٢٧ - ١ - سمو الأغراض ، وتهذب الألفاظ
- ١٢٧ - ٢ - أن كثيراً من الألفاظ اكتسبت دلالة خاصة
- ١٢٧ - ٣ - ظهور كثير من الألفاظ الإدارية والسياسية
- ١٢٧ - ٤ - أن اللغة تهيأت لاستيعاب كافة العلوم
- ١٢٨ - ٥ - دخول كثير من المصطلحات العلمية
- ١٢٩ - ٦ - دخول كثير من المصطلحات الوافدة
- ١٢٩ - ٧ - كلام جميل لابن فارس في نهوض الإسلام بالعربية
- ١٣٣ - المبحث الثالث : فضل اللغة العربية
- ١٣٣ - ١ - من جهة اعتدال كلماتها

١٣٣	٢- من جهة فصاحة مفرداتها
١٣٣	٣- أنها أقرب سائر لغات الدنيا إلى قواعد المنطق
١٣٤	٤- تعدد أساليبها
١٣٤	٥- طرق اختصارها
١٣٤	٦- ارتقاءها مع المدنية
١٣٤	- قصيدةتان في فضل العربية للشيخ محمد الخضر حسين
١٣٥	القصيدة الأولى : فضل اللغة العربية
١٣٩	القصيدة الثانية : في افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي
١٤٣	المبحث الرابع : أسرار النظام اللغوي :
١٤٣	- رأي الرافعي في هذا النظام
١٤٣	- ابن جني أول من ناهض هذا البحث
١٤٣	أولاً : نظام الألفاظ بالمعاني : ستة أمثلة على ذلك
١٤٨	ثانياً : نظام المعاني بالألفاظ
١٤٩	ثالثاً : نظام القرينة
١٥٠	- تسعة عشر مثالاً يتحقق فيها نظام القرينة
١٥٥	الباب الثاني : دراسة عامة لبعض موضوعات فقه اللغة
١٥٧	الفصل الأول : المُعَرب
١٥٧	أولاً : تعريفه
١٥٧	ثانياً : أسماؤه
١٥٨	ثالثاً : الخلاف في المعرف
١٥٨	القول الأول : قول القائلين بالمنع
١٥٩	القول الثاني : قول القائلين بوقوعه

- القول الثالث : التوفيق بين الرأيين والجمع بين القولين ١٦٠
- رابعاً : المؤلفات في المغرب ١٦١
- خامساً : علامات العجمة أو المغرب ١٦٣
- سادساً : دوافع التعریب ١٦٥
- سابعاً : الألفاظ العربية في القرآن ١٦٧
- ثامناً : طريقة العرب في التعامل مع الألفاظ الأعجمية ١٦٨
- تاسعاً : التعریب عند المحدثین ١٧٢
- عاشرًا : معوقات التعریب ١٧٣
- الفصل الثاني: المشترک، والمتضاد، والمترادف ١٧٥**
- المبحث الأول: المشترک ١٧٧**
- أولاً : تعريفه ١٧٧
- ثانياً : الخلاف في وقوعه ١٧٨
- ثالثاً : أمثلة من المشترک ١٨٠
- رابعاً : لطائف من المشترک ١٨١
- خامساً : العلاقة بين المشترک والمتواطئ ١٨٢
- المبحث الثاني: المتضاد ١٨٧**
- أولاً : تعريفه ١٨٧
- ثانياً : الفرق بين المشترک والمتضاد ١٨٧
- ثالثاً : كيف يفهم المراد من اللفظ إذا كان متضاداً؟ ١٨٨
- رابعاً : الخلاف في وقوع الأضداد ١٩٠
- خامساً : المؤلفات في الأضداد ١٩٣
- سادساً : أمثلة وشواهد للأضداد ١٩٣

١٩٧	المبحث الثالث : المترادف
١٩٧	أولاً : تعريفه
١٩٨	ثانياً : سبب التسمية
١٩٨	ثالثاً : الخلاف في وقوعه
٢٠١	رابعاً : أسباب وقوع الترافق
٢٠٤	خامساً : فوائد المترادف
٢٠٣	سادساً : المؤلفات في المترادف
٢٠٣	سابعاً : أمثلة من المترادف
٢٠٥	الفصل الثالث: الاشتقاق، والقياس
٢٠٧	المبحث الأول : الاشتقاق
٢٠٧	أولاً : تعريف الاشتقاق
٢٠٨	- أمثلة على الاشتقاق
٢٠٨	- طريقة معرفة الاشتقاق
٢٠٩	ثانياً : أقوال العلماء في وقوع الاشتقاق في اللغة
٢١١	ثالثاً : التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق
٢١٢	رابعاً : المؤلفات في الاشتقاق
٢١٣	خامساً : أقسام الاشتقاق
٢١٤	- تقسيمات أخرى لبعض المحدثين
٢١٦	سادساً : من آراء ابن جنبي في الاشتقاق
٢١٩	المبحث الثاني : القياس
٢١٩	أولاً : تعريفه
٢٢٠	- مفهوم القياس عند علماء النحو واللغة

٤٢١	- أركان القياس
٤٢١	ثانياً: أنواع القياس
٤٢٣	ثالثاً: آراء العلماء في القياس
٤٢٥	رابعاً: طريقة العلماء في استنباط قواعد القياس
٤٢٦	خامساً: أسباب اختلاف العلماء في القياس
٤٢٧	سادساً: تقسيم اللغة من حيث القياس والاستعمال
٤٢٩	سابعاً: الكتب المؤلفة في القياس
٤٢٩	ثامناً: الحاجة إلى القياس في اللغة
٤٣١	تاسعاً: المحدثون والقياس
٤٣٥	الفصل الرابع: الإبدال، والقلب المكاني
٤٣٧	المبحث الأول: الإبدال
٤٣٧	أولاً: تعريف الإبدال ، وأمثلة له
٤٣٨	ثانياً: أمثلة أخرى للإبدال
٤٤٠	ثالثاً: الفروق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي
٤٤١	رابعاً: التأليف في الإبدال
٤٤٢	خامساً: أسباب حدوث الإبدال
٤٤٤	سادساً: الإبدال بين المتواضعين فيه والمضيقين له
٤٤٩	سابعاً: كيفية معرفة الأصل في الإبدال
٤٥٠	ثامناً: آثار التوسع في الإبدال
٤٥٥	المبحث الثاني: القلب المكاني
٤٥٥	أولاً: تعريفه
٤٥٥	ثانياً: آراء العلماء في القلب المكاني

٢٥٨	ثالثاً: من الأمثلة على القلب
٢٦١	الفصل الخامس: المشجر، والإتباع، والنحت
٢٦٣	المبحث الأول: المشجر
٢٦٣	أولاً: تعريفه
٢٦٤	ثانياً: التأليف المشجر
٢٦٤	ثالثاً: سبب التسمية
٢٦٥	رابعاً: أمثلة للمشجر
٢٦٧	المبحث الثاني: الإتباع
٢٦٧	أولاً: تعريفه
٢٦٧	ثانياً: سبب التسمية
٢٦٧	ثالثاً: الفرق بين الإتباع والترادف ، والإتباع والتأكد
٢٦٨	رابعاً: أمثلة للإتباع
٢٦٩	المبحث الثالث: النحت
٢٦٩	أولاً: تعريفه
٢٧٠	ثانياً: شروط النحت
٢٧٠	ثالثاً: أهم طرق النحت
٢٧١	رابعاً: النحت عند العلماء
٢٧٤	خامساً: أقسام النحت
٢٧٥	سادساً: أمثلة للنحت
٢٧٦	سابعاً: النحت عند المحدثين
٢٧٨	ثامناً: أسماء بعض الذين عنوا بالنحت من المحدثين، ونماذج مما وضعوه من الألفاظ المنحوة

٢٨١	الفصل السادس: المجاز
٢٨١	أولاً: تعريف الحقيقة
٢٨١	ثانياً: تعريف المجاز
٢٨٢	ثالثاً: شرح مفردات تعريف المجاز
٢٨٣	رابعاً: تطبيق
٢٨٤	خامساً: أمثلة لألفاظ يتبيّن فيها الحقيقة من المجاز
٢٨٤	سادساً: كيف يُفرَّق بين الحقيقة والمجاز؟
٢٨٤	سابعاً: لم سمي المجاز بهذا الاسم؟
٢٨٥	ثامناً: هل كل مجاز له حقيقة، وكل حقيقة لها مجاز؟
٢٨٥	تاسعاً: هل الأصل في الكلام الحقيقة أو المجاز؟
٢٨٥	عاشرأً: اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز
٢٨٦	حادي عشر: حجة القائلين بمنعه
٢٨٨	ثاني عشر: مناقشة مثبتي المجاز لمنكريه
٢٩٣	ثالث عشر: خاتمة الحديث عن المجاز
٢٩٩	الباب الثالث: دراسات في المعاجم العربية
٣٠١	مدخل
٣٠٣	الفصل الأول: مفهوم المعجم، والمدارس المعجمية
٣٠٥	المبحث الأول: مفهوم المعجم:
٣٠٥	المسألة الأولى: تعريف المعجم
٣٠٧	المسألة الثانية: تنبية حول إطلاق كلمة المعجم
٣٠٨	المسألة الثالثة: أنواع المعاجم
٣١١	المبحث الثاني: المدارس المعجمية:

- | | |
|-----|--|
| ٣١١ | أولاً : مدرسة التقليليات |
| ٣١٢ | ثانياً : مدرسة القافية ، أو نظام القافية |
| ٣١٤ | ثالثاً : مدرسة الأبجدية العادية |
| ٣١٥ | الفصل الثاني: دراسة لبعض المعاجم التي تأخذ بنظام التقليليات |
| ٣١٩ | المبحث الأول : الكتاب الأول : كتاب العين : |
| ٣١٩ | أولاً : صاحبه |
| ٣٢٠ | ثانياً : الاهتمام بكتاب العين وخلاصة الآراء حوله |
| ٣٢٢ | - الرأي الراجح حول كتاب العين |
| ٣٢٢ | ثالثاً : النهج الذي سار عليه الخليل في كتاب العين |
| ٣٢٤ | رابعاً : المآخذ على كتاب العين |
| ٣٢٩ | المبحث الثاني : الكتاب الثاني : تهذيب اللغة : |
| ٣٢٩ | أولاً : صاحبه |
| ٣٣٠ | ثانياً : هدف الأزهرى من التأليف |
| ٣٣٠ | ثالثاً : منهجه |
| ٣٣١ | رابعاً : مميزات معجم التهذيب |
| ٣٣١ | خامساً : المآخذ على التهذيب |
| ٣٣٣ | المبحث الثالث : الكتاب الثالث : الحكم والمحيط الأعظم : |
| ٣٣٣ | أولاً : صاحبه |
| ٣٣٤ | ثانياً : هدفه من تأليف كتاب الحكم |
| ٣٣٤ | ثالثاً : منهجه |
| ٣٣٤ | رابعاً : مميزات معجم الحكم |
| ٣٣٥ | خامساً : المآخذ على المعجم |

- | | |
|-----|--|
| ٣٣٧ | المبحث الرابع : الكتاب الرابع : معجم الجمهرة : |
| ٣٣٧ | أولاً : صاحبه |
| ٣٣٨ | ثانياً : سبب التسمية ، والهدف من الكتاب |
| ٣٣٩ | ثالثاً : إملاء ابن دريد الجمهرة |
| ٣٣٩ | رابعاً : منهجه |
| ٣٤٢ | خامساً : مميزات معجم الجمهرة |
| ٣٤٢ | سادساً : المأخذ على الجمهرة |

الفصل الثالث: المدرسة المعجمية الثانية مدرسة القافية، ودراسة

- | | |
|-----|---|
| ٣٤٥ | بعض المعاجم التي تسير عليها |
| ٣٤٧ | تمهيد : |
| ٣٤٧ | أولاً : تعريف مدرسة القافية |
| ٣٤٧ | ثانياً : عدد الأبواب |
| ٣٤٧ | ثالثاً : سبب التسمية |
| ٣٤٧ | رابعاً : سبب التأليف على هذا النحو |
| ٣٤٧ | خامساً : ما سبب نظرهم إلى الحرف الأخير؟ |
| ٣٤٨ | سادساً : أول من أنشأ هذه الطريقة |
| ٣٤٨ | سابعاً : أشهر المعاجم التي اتبعت نظام القافية |
| ٣٤٩ | المبحث الأول : المعجم الأول : تاج اللغة ، وصحاح العربية : |
| ٣٤٩ | أولاً : صاحبه |
| ٣٥٠ | ثانياً : اسم المعجم |
| ٣٥١ | ثالثاً : هدف الجوهري من تأليفه |
| ٣٥١ | رابعاً : منهجه |

٣٥٣	خامساً: مميزات الصحاح
٣٥٤	سادساً: المأخذ على الصحاح
٣٥٧	المبحث الثاني: المعجم الثاني: لسان العرب:
٣٥٧	أولاً: صاحبه
٣٥٧	ثانياً: هدفه من تأليف لسان العرب
٣٥٨	ثالثاً: مراجعه
٣٥٨	رابعاً: منهجه
٣٥٩	خامساً: المميزات للسان العرب
٣٥٩	سادساً: المأخذ على لسان العرب
٣٦١	المبحث الثالث: المعجم الثالث: القاموس المحيط:
٣٦١	أولاً: صاحبه
٣٦٢	ثانياً: الهدف من تأليف القاموس
٣٦٢	ثالثاً: منهج الكتاب ومميزاته
٣٦٣	رابعاً: المأخذ على القاموس
٣٦٧	الفصل الرابع: المدرسة المعجمية الثالثة مدرسة الأبجدية العادية
٣٦٩	تمهيد حول هذه المدارس:
٣٦٩	أولاً: مفهوم الأبجدية العادية
٣٦٩	ثانياً: أول من وضع هذه الطريقة
٣٦٩	ثالثاً: المعاجم التي سارت على هذه الطريقة
٣٧١	المبحث الأول: المعجم الأول: معجم مجمل اللغة:
٣٧١	أولاً: صاحبه
٣٧٥	ثانياً: هدف ابن فارس من تأليف المجمل

٣٧٦

ثالثاً : منهجه

٣٧٩

رابعاً : مميزات المجمل

٣٨١

المبحث الثاني : المعجم الثاني : معجم مقاييس اللغة :

٣٨١

أولاً : تعريف بمعجم المقاييس

٣٨٢

ثانياً : منهجه

٣٨٤

ثالثاً : مميزات المقاييس

٣٨٤

رابعاً : معنى الأصول والمقاييس

٣٨٨

خامساً : منهجه في المواد التي ليست أصولاً يقاس عليها

٣٨٩

سادساً : منهجه في الرباعي والخمساني

٣٩٠

سابعاً : طريقة في النحوت ، والمزيد ، والموضع

٣٩١

ثامناً : خصائص معجم المقاييس

٣٩٢

تاسعاً : المأخذ على معجم المقاييس

٣٩٣

عاشرأً : أثر المقاييس في المعاجم الأخرى

٣٩٥

- خاتمة الحديث عن المعاجم

٣٩٩

الباب الرابع : مشكلات تواجهه العربية

٤٠١

تمهيد

٤٠٣

الفصل الأول : ظاهرة الإعراب وإنكارها

٤٠٥

المبحث الأول : ظاهرة الإعراب :

٤٠٥

أولاً : معنى الإعراب

٤٠٦

ثانياً : أهمية الإعراب وأقوال العلماء فيه

٤١١

المبحث الثاني : إنكار الإعراب

٤١١

- أول من قال به

٤١١	- خلاصة رأي قطرب في الإعراب
٤١٥	المبحث الثالث : المستشرقون والإعراب
٤١٥	أولاً : المستشرقون الذين لا يرون الإعراب
٤١٥	١ - كارل فوللرز
٤١٦	٢ - كوهين
٤١٦	٣ - باول كاله
٤١٩	ثانياً : المستشرقون الذين يرون الإعراب
٤١٩	١ - المستشرق نولدكه
٤٢١	٢ - المستشرق يوهان فل
٤٢٣	المبحث الرابع : قصة الإعراب عند د. إبراهيم أنيس
٤٢٦	- تلخيص لنظرية إبراهيم أنيس
٤٢٣	المبحث الخامس : بطلان القول بإنكار الإعراب
٤٤٣	الفصل الثاني: الدعوة إلى العامية، وتبسيير النحو، والخط العربي
٤٤٥	المبحث الأول : مقدمات حول هذه الدعوى :
٤٤٥	أولاً : ارتباط اللغة بالدين والأمة
٤٤٩	ثانياً : إدراك الأعداء لأهمية اللغة
٤٤٩	ثالثاً : غاية هذه الدعوات
٤٥٠	رابعاً : نبذة تاريخية عن تلك الدعوات ، وبيان أشهر دعاتها
٤٥١	- قصيدة حافظ إبراهيم (اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها)
٤٥٤	- قصيدة الشيخ العلامة محمد الخضر حسين (حياة اللغة العربية)

٤٦١ المبحث الثاني : الدعوة إلى العامية :

٤٦١ أولاً : مقدمة لهذه الدعوة

٤٦٢ ثانياً : أساليب الدعوة إلى العامية

٤٦٣ ثالثاً : حجج الداعين إلى العامية

٤٦٥ المبحث الثالث : الدعوة إلى تيسير النحو :

٤٦٥ أولاً : أسماء هذه الدعوة

٤٦٥ ثانياً : سبب ظهور هذه الدعوة

٤٦٥ ثالثاً : أول من نادى بهذه الفكرة

٤٦٧ رابعاً : دعاوى المنادين إلى تيسير النحو

٤٦٩ المبحث الرابع : الدعوة إلى تيسير الخط العربي

المبحث الخامس : الرد على دعاوى العامية ، وتيسير النحو ، والخط

٤٧٣ العربي

٤٨١ - خاتمة البحث وخلاصته

٤٩٧ محتويات الكتاب

المُؤْمِنُونَ
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ

صدر للمؤلف

- ١- جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله.
- ٢- التوبة وظيفة العمر.
- ٣- رسائل في العقيدة.
- ٤- رسائل في التربية والأخلاق والسلوك.
- ٥- رسائل في الزواج والحياة الزوجية.
- ٦- أخطاء في مفهوم الزواج.
- ٧- من أخطاء الأزواج.
- ٨- من أخطاء الزوجات.
- ٩- كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ١.
- ١٠- كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ٢.
- ١١- كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ٣.
- ١٢- كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ٤.
- ١٣- سوء الخلق .. مظاهره .. أسبابه .. العلاج، قرأه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.
- ١٤- الفاحشة (عمل قوم لوط) الأسباب - العلاج.
- ١٥- عقيدة أهل السنة والجماعة، قرأه وقدم له: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.
- ١٦- الإيمان بالقضاء والقدر، قرأه وقدم له: سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله.

- ١٧- الهمة العالمية، قرأه وقدم له: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.
- ١٨- مع المعلمين.
- ١٩- شرح وتحقيق الوصية الصغرى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢٠- شرح وتحقيق القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢١- الصداقة بين العلماء (نماذج تطبيقية معاصرة).
- ٢٢- رمضان دروس وعبر تربية وأسرار.
- ٢٣- أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة.
- ٢٤- من أقوال الرافعي في المرأة.
- ٢٥- من أحوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الحج.
- ٢٦- الحج آداب وأسرار.
- ٢٧- الدعاء مفهومه -أحكامه- أخطاء تقع فيه، قرأه وعلق عليه: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.
- ٢٨- الإيمان باليوم الآخر.
- ٢٩- الشيوعية.
- ٣٠- توبه الأمة.
- ٣١- البابية.
- ٣٢- البهائية.
- ٣٣- القاديانية.
- ٣٤- الوجودية.
- ٣٥- الجوال آداب وتنبيهات.
- ٣٦- الإنترن特 امتحان الإيمان والأخلاق والعقول.

- ٣٧- المنتقى من بطون الكتب (المجموعة الأولى).
- ٣٨- المنتقى من بطون الكتب (المجموعة الثانية).
- ٣٩- المنتقى من بطون الكتب (المجموعة الثالثة).
- ٤٠- مختصر الإيمان بالقضاء والقدر.
- ٤١- لطائف في تفاصيل الأعمال الصالحة.
- ٤٢- عقوق الوالدين .. أسبابه .. مظاهره .. سبل العلاج.
- ٤٣- قطيعة الرحم .. المظاهر .. الأسباب .. سبل العلاج.
- ٤٤- التقصير في تربية الأولاد .. المظاهر .. سبل الوقاية والعلاج.
- ٤٥- التقصير في حقوق الجار.
- ٤٦- الكذب .. مظاهره .. علاجه.
- ٤٧- لماذا تدخن؟.
- ٤٨- إلى بائع الدخان.
- ٤٩- الجريمة الخلقية.
- ٥٠- العشق .. حقيقته .. خطره .. أسبابه .. علاجه.
- ٥١- الطريق إلى التوبة.
- ٥٢- رسالة إلى طالب نجيب، ترجم إلى الأردية.
- ٥٣- الهجرة دروس وفوائد.
- ٥٤- الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة.
- ٥٥- مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة؛ المفهوم والخصائص.
- ٥٦- الإيمان بالله، ترجم إلى الإنجليزية.
- ٥٧- لا إله إلا الله: معناها - أركانها - فضائلها - شروطها.

- ٥٨- توحيد الربوبية.
- ٥٩- توحيد الألوهية.
- ٦٠- توحيد الأسماء والصفات.
- ٦١- الإيمان بالكتب.
- ٦٢- الطريق إلى الإسلام، ترجم إلى عدة لغات.
- ٦٣- كلمات في المحبة والخوف والرجاء، ترجم إلى الإنجليزية.
- ٦٤- الطيرة.
- ٦٥- نبذة مختصرة عن الشفاعة، والشرك، والرقية، والتمائم، والتبرك.
- ٦٦- من صور تكريم الإسلام للمرأة.
- ٦٧- معالم في التعامل مع الفتنة.

المُنْتَهِيُّ

عفا الله عنـه

بيان بأخطاء كتاب فقه اللغة

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة	م
١٤٢٥/٩/١٥	عدم كتابة التاريخ	١٧	٦	١
نزل الضمة (تامر)	تامر	١٣	٢٤٤	٢
الضمة على الراء (دفاتر)	دفاتر	١٦	٣٧٢	٣
يصبح البيت: يا دار سدى بذات الضال من إضم	البيت فيه سقط	١١	٣٧٣	٤
يحذف التشكيل (نصت)	تصت	١٢	٤١٠	٥
يحذف التشكيل (ونحوه وصرفه وأسلوبه)	وجود الفتحة	٨	٤٦٤	٦
ارتفاعها	ارتفاعها	٥	٥٠٦	٧